


أوراق حضارية معاصرة

إيران فى عهد خاتمى

٢٠٠٣ م

أوراق إيرانية معاصرة

السنة الأولى – العدد الثانى – ديسمبر ٢٠٠٣م

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٢٧٧١

المراسلات: مركز دراسة الحضارات المعاصرة، مبنى كلية الأداب، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر. الرمز البريدى ١١٥٦٦. ت+فاكس ٦٨٥١٤٣٢ – ٠٠٢٠٢. بريد اليكترونى Aucscc@yahoo.com

الفهـــرس



افتتاحية العدد

لاجدال فى أننا نعيش فى عالم سريع التقلبات، إذ تتوالى فيه المتغيرات وتتسارع الأحداث.

وإذا كان القرن العشرون قد شهد حروباً عالمية غيرت من مجريات الأحداث، فإن القرن الحادى والعشرين بدأ بأحداث الحادى عشر من سبتمبر التى جعلت العالم يعيش حالة الغليان والفوضى ترقباً لوقوع حروب عالمية أخرى حيث فقدت الأعراف والتقاليد الدولية التى كانت ترتكز عليها الحياة الإنسانية فى عالمنا المعاصر وإذا أضفنا إلى ذلك تلك الطفرة الهائلة فى عالم الاتصالات والمعلومات أدركنا أننا فى أشد الحاجة إلى التواصل الفكرى بين الحضارات وإلى الحوار بين الشعوب وصولاً إلى قيم إنسانية تشكل إطاراً لحياتنا الاجتماعية وانطلاقاً من هذا الفهم لعالمنا المعاصر وإيماناً بأهمية المشاركة الفعالة من جانب جامعاتنا «تلك المنارة العلمية والفكرية» فى البحث عن قضايا الحضارة المعاصرة للوصول إلى كيفية الحوار مع الحضارات الأخرى بما يكفل إقامة الجسور الحضارية التى تحقق التواصل بدلاً من الصراع.

ولذلك يبادر مركز دراسة الحضارات المعاصرة برصد المتغيرات التى تعيشها الحضارات المعاصرة مع البحث عن الثوابت والقواسم المشتركة بين هذه الحضارات لكى نصل إلى الصيغة المثلى لإجراء الحوار بينها. ومن ثم يوالى المركز إصدار عدة أوراق حضارية تعد بمثابة نافذة تطل على أهم الحضارات المعاصرة، وقد بدأ المركز بإصدار الملف التركى وها هو المركز يقدم الملف الإيرانى ثم الملف الصينى.

ونحن إذ نقدم الشكر إلى القائمين على مثل هذه الأنشطة البحثية نتوجه بخالص الشكر أيضاً إلى الأستاذ الدكتور / صالح هاشم رئيس الجامعة لما يقدمه من العون المادى والمعنوى ولرعايته لكل نشاط علمى وتعليمى فى الجامعة.

والله ولى التوفيق ،،،

نائب رئيس الجامعة ورئيس مجلس إدارة
مركز دراسة الحضارات المعاصرة

أ.د / محمد فهمى طلبه

تقديـــم

يقف التاريخ شـاهداً على التبادل والتـواصل بين الحضارات، فـالحضارة الإنسـانية بمعناها الشامل مـا هي إلا شعلة تتلقفـها الأمم والشعوب لتظـل مضيئـة إلى أن يرث اللّه الأرض وما عليهـا. كما يشهـد تاريخ الحضاراتُ على أن الحـضارة الإسلامـية العربية كـانت هى الأساس الذى نشأت عليـه الحضارة الغـربية الحديثة، وبالـعكس تقوم الحضارة العـربية الحديثـة على ما ننقله من الغرب سواء فى الجانب الفكرى أو التطبيقى.

ولما كان النشاط البـشرى يقوم على ثوابت ومتـغيرات تعيشـها الحضارة الإنسانيـة اقتضت ضرورات البحث العـلمى أن تنهض البحوث العلميـة لمراجعة هذه الثوابت وإبرازها، ومـتابعة التغيـرات التى تطرأ على الصعيدين الدولى والإقليـمى، والتأمل فى مواجهتـها بالمنهج العلمى الذى يقوم أسـاساً على توفـر المعلومات، ومن ثم اضطلع مـركز دراسة الحـضارات المعـاصرة بتوفير هذه المعلومات التى يفـيد منها الباحثون فى المؤسسات العلمية المخـتلفة، كما تكون أمام صانعى القرار على المستوى الوطنى والقومى، حـتى تبنى الكشف عن المداخل الأساسية لإقامة حوار صحى بين الحضارات، كما نتوصل إلي القواسم المشتركة بين الحضارة العربية الإسلامية الحديثة وغيرها من الحضارات.

من هذا المنطلق يسـعى المركز إلى توفـير المعلومـات عن البناء الحضـارى من الداخل لكل الشـعـوب التى تشـارك فى صنع مـا يجـرى حولنا مـن الأحداث السـيـاسـيـة والاقتـصـادية والاجتـماعية، ويعـتمد المركـز فى ذلك على المصادر الأصلية لهـذه الشعوب بالرجـوع إلى ما تصدره فى لغاتها الأصلية وليس ما يتردد عنها من خلال وكالات الأنباء أو الميديا العالمية.

لذلك فقد توفر البـاحثون ممن يجيدوا اللغة الفارسيـة على إعداد الملف الخاص بإيران، وقد سبـقه إعداد الملف الـتركى، وتوفر البـاحثون الذين يـجيدون اللغـة الصينية عـلى إعداد الملف الخاص بالصين، كل ذلك من خلال المطـبوعات وشبكة الانترنت الصـادرة بلغة كل شعب من هذه الشعوب.

والمركز إذ يفخـر بتقديم هذين الملفين : الصينى والإيرانى بعد الملف التـركى يتوجه بالشكر لكل من ساهم فـى الترجمـة والتحرير والإشـراف على الإعداد، كمـا نتوجه بـخالص الشكر والتـقدير على رعـاية الأستـاذ الدكـتور/ صـالح هاشم رئيس الجامـعـة لكل نشاط بحـثى فى الجامعة ولاسيمـا نشاط مركز دراسة الحضارات وإلى الأستاذ الدكتور مـحمد فهمى طلبة على حـسن إدارته للمـركز وعلى دعـمـه المادى والمعنوى لكل أنشطة المركـز. وأتمنى لكل الزمـلاء أعضاء مجلس الإدارة وأعضاء هيئة التدريس التوفيق والنجاح.

أ.د. محمد عبداللطيف هريدى

عميد كلية الآداب ومدير المركز



مقدمة

بعد أن لقى إصدار أوراق تركية معاصرة استحساناً كبيراً إزاء الموضوعات التى تناولها عن تركيا المعاصرة، ورجوعه إلى المصادر التركية الأصلية والصادرة باللغة التركية، مما جعله مادة غنية لدارسى الحضارة التركية المعاصرة، كما سد فراغاً كبيراً فى الساحة الثقافية، وبين نخبة المثقفين والمهتمين بتركيا خصوصاً ومنطقة الشرق الأوسط عموماً، بل والنظام العالمى الجديد الذى تمثل المنطقة محور تطوراته، إن الأهتمام بهذا الإصدار الأول من أوراق حضارية معاصرة قد دفعنا إلى استكمال دراسة منطقة الشرق الأوسط من خلال الحضارات الرئيسية فيها، لذلك فنحن نتابع سلسلة إصداراتها المتعلقة بدراسة الحضارات المعاصرة، من خلال إصدار هذا العدد الخاص بحضارة إيران الحديثة تحت عنوان إيران في عهد خاتمى، باعتبار أن هذا العدد قد أثار الكثير من التساؤلات والقضايا حول توجهات إيران المعاصرة فى ظل انتقالها من الثورة إلى الدولة، والطريق الذى قطعته لتحقيق هذا الهدف المنشود، ومدى ارتباط إنجازاتها بالثوابت والأيديولوچيات التى أقرتها الثورة الإسلامية فى إيران، وانعكاسات الضغوط الغربية على برامجها الإصلاحية سواء فى مجال الديمقراطية، أو الإصلاح الاقتصادى، أو التطور العلمى خاصة فى مجال المشروعات النووية، التى أثارت جدلاً كبيرا على المستوى العالمى، وكادت تصبح أحد القضايا المطروحة على مجلس الأمن الدولى ومنظمة الأمم المتحدة لحسمها باتخاذ قرار دولى فيها.

لاشك أن إيران فى عهد خاتمى قد خطت خطوات أسرع وأوسع من تلك الخطوات التى خطاها نظام الجمهورية الإسلامية من قبل، حتى تصور البعض أن خاتمى قائد لثورة جديدة فى إيران، وأنه جورباتشوف إيران بما حدث فى عهده من تطورات وأحداث سوف يسجلها تاريخ الحضارات المعاصرة، لذلك فقد حرصنا على أن يكون كل ما ورد فى هذا الإصدار من معلومات مستقى من مصادر أصلية وباللغة الفارسية دون غيرها، لتكون الحقائق والتطورات منسوبة إلى أهلها دون تأثير من الخارج بما له من مواقف مع النظام الإيرانى أو ضده.

والله نسأل أن يحقق هذا الإصدار ما نرجوه منه من فائدة، والله الموفق والمستعان

رئيس التحرير



الشخصية القومية الإيرانية

يدرك الدارس لتاريخ إيران وحضارتها منذ العصر الأسطوري وحتى يومنا هـذا أن الشخصـية الإيرانية شخصية مركبة تكاثفت عوامل كثيرة لإنضاجها وبلورة خصائصها وقوماتها خلال تاريخها الطويل، سواء ما كان حقيقيا منه أو ما نسبته إليها مـن عهود طويلة لا تؤكد وجودها سوى الأساطير التي يؤمن بها شعب إيران ويؤكد علـى وجودها كمرحلة من مراحل حياته رغم عدم وجود آثار أو مستندات تدل عليها سـوى روايـات تناقلـتها الأجـيال، تكشف عن مكونات فكر هذا الشعب وعناصر شخصيته.

ويمكـن للـدارس من خلال قراءة علمية في تاريخ إيران أن يدرك أن مثلث الإنسان والبيئة والعقيدة هو الأساس القوي الذي بنيت عليه الشخصية الإيرانية وتكونت مقوماتهـا، إن الإنسان الإيراني بما له من صفات شخصية والبيئة بمكوناتها الطبيعية والعقيدة التي صاحبت هذا الإنسان منذ عصره الأسطوري هي المحاور الرئيسية التي تدور حولها الشخصية الإيرانية، وحتى يمكن فهم هذه الشخصية وتحديد ملامحها لابد مـن الرجوع إلى هذه المحاور ودراستها وتبين ما فيها من خصائص، على أنه ينبغي التنبه إلى أن هذه المحاور لم تكن في يوم من الأيام متوازية ولا متباعدة ولكنها ملتقية متداخلة فالإنسان ابن بيئته خرج منها وتفاعل معها وكيفها حسب قدراته ومزاجه كما شـكلت هي كثيرا من صفاته وسجاياه، بل آلامه وعقده، ولم يكن عنصر العقيدة بعيدا عن روح هذا الإنسان وبيئته بل لعله في أعماقه قبل أن يصبح موجها له ودافعا إياه.

يرى أساتذة الجغرافيا البشرية في جامعة طهران أن التركيبة السكانية الحالية لإيـران يـرجع عهدهـا إلى أواسط الألف الثانية قبل الميلاد عندما استقرت هجرات القـبائل الآريـة فـي الشـمال الشرقي لشبه الهضبة الإيرانية وامتزجت مع السكان الأصـليين الذيـن كانوا أصحاب حضارة وثقافة خاصة. ويمكن استخلاص ذلك من تحلـيل الفصـلين الأولين من كتاب الونداد _ أحد أجزاء الأفستا الكتاب المقدس عند

الزردشـــتيين _ أي قصـــة جـــم، حيـــث كانت طبقات المجتمع تبدأ بالأسرة الحاكمة والـــزعماء الدينييـــن، ثم يأتي المحاربون وأخيرا الزراع. ويقول هيرودوت إنه كان يعيش في بلاد إيران تسع وأربعون قومية من البشر، إلا أن الإيرانيين لديهم الاستعداد الـــذي يمكـــنهم من احتواء العناصر المهاجرة التي تستقر على شبه الهضبة، وهو ما ساعد على بقاء حضارة إيران القديمة واستمرار تأثيرها عبر العصور.

ومـــن المعروف أن بلاد إيران عبارة عن شبه هضبة تتوسطها صحراوان كبـــيرتان، ومـــن ثـــم فإن الحياة تتركز في وديان تحيط بها سلاسل جبلية أو واحات تحـــيطها صـــحراء ممـــتدة فضلا عن مناطق السافانا والغابات المتناثرة في الجنوب والشـــمال. كذلـــك أدى موقـــع إيران الجغرافي إلى نتيجتين تاريخيتين، هما أن إيران صارت طريق التجارة بين شرق العالم القديم وغربه، وأنها صارت مطمع الغزاة منذ بدء الحياة السياسية، مما جعل لها علاقات مع جميع الدول المعاصرة لها سلبا وإيجابا بالصـــداقة أو الحـــرب، وجعلهـــا تتبـــنى عدة قيم أهمها الصمود في مواجهة الغزو والمحافظـــة علـــى وحدة البلاد واستقرارها، والمحافظة على اللغة والعادات والتقاليد والعقيدة، وحماية اللاجئين ومساعدة الضعفاء ونشر العدل.

ويمكن الوقوف على عدد من النظريات التي تحكم الشخصية الإيرانية وتحدد ملامحها، وأصبحت ركائز لها عبر تاريخها الطويل، ومن أهم هذه المرتكزات: نظرية الـــتفويض الإلهي، فلقد كان نظام الحكم في إيران شكلا واحدا ومضمونا واحدا مهما اختلفـــت مســـمياته، وهـــو يرتبط بأصالة الشعب الإيراني وما انطوت عليه شخصيته التاريخـــية بشكل لم يتوفر في كثير من الشعوب، وبصورة ينتفي معها إمكانية التفكير فـــي تغيـــير هذا النظام بشكل أو بآخر، ولقد كان بقاء هذا النظام مرتبطا بقدرته على الـــتفاعل مـــع توالـــي الأزمنة ووقوع الأحداث بنفس النسبة مع تطور وتفاعل العقلية الإنسانية.

لقد آمن الإيرانيون أن أول ملوكهم گيومرث هو آدم عليه السلام أو هو جابر بـــن يافـــث بن نوح وما ذلك إلا لرغبتهم في إضفاء صفة القداسة على ملوكهم بحيث يرتـــبط تاريخ الحاكم بالعقيدة الدينية، كذلك صورت الأساطير الإيرانية الملك فريدون

سادس كلوكهم في صورة نوح عليه السلام عندما قسم ملكه بين أبنائه الثلاثة سلم وتور وإيـــرج، كما ذهبت الأساطير إلى أن زردشت نبي الفرس رسول من قبل السماء وأنه من أهل فلسطين وأن الديانة الزردشتية ديانة سماوية وأنها دين توحيد وأن أهورامزدا هو الله المطلق وأن أهريمن هو الشيطان، وأن الاثنينية إنما هي تحريف قام به الكهنة الجشـــعون من أجل مصالح دنيوية.(لمزيد من التفاصيل حول عقائد الإيرانيين يرجع إلـــى كتـــب التاريخ المعتبرة وخاصة تاريخ الطبري ج١) وهكذا يرى الإيرانيون أن الحكـــم السياسي له جوانب سماوية تحددت من قبل الله لتحقيق الحضارة والمدنية بين الناس مما جعل فلسفة الحكم تختلط بالدين والأخلاق منذ قديم الزمان وحتى قبل ظهور زردشـــت، وإذا تجاوزنـــا الأســـاطير إلـــى التاريخ الحقيقي نجد أن الآثار والنقوش والكتابات تشير إلى أن الحاكم لم يكن مجرد رئيس سياسي للبلاد بل كان مرشدا لشعبه بالدرجة الأولى، ولم يكن همه بناء الجسور وشق القنوات بقدر ما كان يهمه قيادة روح الشعب وفكره.

على أن نظرية التفويض الإلهي لم تسقط بدخول إيران في حظيرة الإسلام بل ظلت موجهة للشخصية الإيرانية، وتجلت آثارها في الحركات الاستقلالية عن الخلافة الإســـلامية وفي حركة الشعوبية وفي الدويلات الإيرانية التي حكمت أجزاء من العالم الإسلامي، كما تجلت في قيام الدولة الصفوية وإعلانها المذهب الشيعي الاثني عشري مذهـــبا رسميا لإيران ووسيلة لتحقيق الوحدة الوطنية وربط السياسة بالدين، ولقد ظلت هـــذه الـــنظرية تحرك الأمور في إيران خلال العصور الحديثة، ويمكن الرجوع إلى أقوال حكام إيران لتأكيد هذا المعنى سواء قبل الثورة الإسلامية أو بعدها.

ومن النظريات التي تحكم الشخصية الإيرانية وتبلور ملامحها نظرية الإثنينية لأنها تضبط التوازي القائم بين الناس وبين الأشياء، خاصة تلك التناقضات التي كثيرا ما تحكم هذه العلاقات، وهذه النظرية تضرب في عمق الشخصية الإيرانية منذ استطاع كهـــنة الديـــن الزردشتي أن يجعلوا للديانة إلهين أحدهما للخير هو أهورامزدا والآخر للشـــر هـــو أهريمـــن يتقاسمان العالم ويدور بينهما وبين أنصارهما صراع دائم عبر التاريخ لا يحسم إلا مع ظهور مبعوث الزمان، وتبدو نظرية الإثنينية هذه واضحة في

الحضـــارة الإيرانية وفكرها وآثارها، حيث سمحت للإيرانيين أن يقدسوا الماء والنار معـــا، وأن يقدروا الرسول عليه السلام وابن عمه عليا بن أبي طالب بنفس القدر بعد الإســـلام، ولقـــد انعكســـت هذه النظرية إلى حد كبير في سلوكيات الفرد والمجتمع، وصارت التقية الفردية والسياسية والجماعية أقرب إلى العقيدة منها إلى السلوك.

كذلـــك فـــإن مـــن الـــنظريات الهامـــة التي تحكم الشخصية الإيرانية نظرية الاغـــتراب، فالاغـــتراب ليس مجرد حالة نفسية استشعرها الإيرانيون عبر العصور عـــندما كانت تلم بهم النكبات أو تدهمهم الأحداث بل هو صدى للتجارب الحزينة التي عاشوها طوال تاريخهم إلى حد التمزق، والتي كان قوامها ذلك الوعي الشقي بأن حياة كـــل مـــنهم غريبة عنه وليست ملك يديه، ولعل مبعث ذلك الإدراك هو ظروف البيئة الإيرانـــية وضـــغوطها الهائلة مع تراكم المحن، فخرج الاغتراب من الإطار المجرد للأحاســـيس إلى السلوك العملي للفرد والمجتمع، فصارت الغربة اتجاهات متوازية في الشخصية الإيرانية، حيث يستشعر كل إيراني الغربة كخاصية فيه فيسلك الاتجاه الذي يرضـــيه ويمارس الأسلوب الذي يوافقه، فغدا الاغتراب مذاهب بين الواقعة الروحية وأشـــكال الحياة، وليست ضعفا ولا عجزا بل هي أشبه بالبكاء تحت شتات الحياة تدفع للإصـــلاح، فلـــم يكـــن الاغتراب فرارا بالدين أو من الدين وإنما كان مع الدين، كان اغـــترابا عـــن النفس وعن الناس والمجتمع أو تقوقعا داخل النفس أو ترك الوطن إلى بـــلاد أخـــرى أحـــيانا أو إلى الصحارى أحيانا أخرى أو التجمع في تجمعات صغيرة ظاهرة أو متخفية، أو الاستتار في الجبال أحيانا وفي التصوف أحيانا أخرى، وقد أفرز الاغـــتراب حركة الشعوبية وعدم الثقة في الغير ورفض الذوبان في الشعوب الأخرى أو التجنس في أجناس أخرى أو الاندماج في الحضارات الإسلامية أو حتى أهل السنة والجماعـــة تحت شعار غربة الإسلام وغربة القرآن الذي حول الاغتراب الذاتي إلى مفاهيم إسلامية لاتنسحب على الناحية النفسية بل على المفهوم الاجتماعي الإيراني.

ومـــن الـــنظريات الهامة التي تحكم الشخصية الإيرانية نظرية المصالحة مع الـــتاريخ والتـــي تقوم أساسا على إخفاء الجانب السيئ أو الشرير في أحداث التاريخ الإيرانـــي ســـواء بعدم التركيز عليه أو عدم ذكره وسواء بتبريره تبريرات تدعو إلى

الـــتعاطف والشـــفقة، وأحيانا بتحوير بعض الوقائع بشكل يغير مفهومها أو مضمونها، وبذلـــك يخلـــو الـــتاريخ الإيراني في المصادر الإيرانية من أية مخاري أو عيوب أو مهانـــة، ويعـــتمد الإيرانـــيون في كتابة التاريخ على منهج يقسم الفترات الزمنية على أحداث بعينها تهمهم ويصاغ من خلال النظريات التي تحكم الشخصية الإيرانية، حيث يقســـم الإيرانـــيون الكـــتابة التاريخية إلى قسمين: قسم يسمونه بالتاريخ العام ويتناول الأحداث التاريخية منذ خلق العالم حتى العهد الذي يعيشه المؤرخ، وهو رغم عموميته يـــبدو خاصـــا لأنهم يربطون بداية العالم ببداية تاريخ إيران ويستمرون في الربط إلى التاريخ المعاصر، وهم خلال ذلك يركزون أحيانا على ذكر تفاصيل دقيقة حول بعض العهود التي ترضي نظرية المصالحة أو يهملون فترات لا تتوافق معها.

والقســـم الثاني يسمونه بالتاريخ الخاص ويتناول أحداثا تتعلق بدولة من الدول المحلـــية أو ظاهـــرة من الظواهر التاريخية أو فرقة من الفرق السياسية أو المذهبية، ومـــن الأشـــياء الجديرة بالملاحظة معالجة الإيرانيين لتاريخ الحركات الخارجة على الإســـلام والخلافـــة بشـــكل يحسب لها ولا يدينها، وقد انعكست هذه النظرية في قوة الانتماء والوحدة الوطنية والاجتماعية.

ومـــن الـــنظريات التـــي تحكم الشخصية الإيرانية أيضا نظرية مبعوث آخر الزمان وتقوم على عقيدة إيرانية قديمة تعمقت عبر السنين والأجيال وغذتها الأساطير والـــروايات، تسيطر على وجدان الشعب وتحرك عقله وتوجه فكره وآماله لتدرأ عنه الإحـــباط والضعف وتمنع عنه الظلم وتحجب الضياع، وملخص هذه العقيدة أن مبعوثا من العناية الإلهية سوف يظهر على رأس كل ألف عام يقود الشعب الإيراني إلى التقدم بعـــد أن يدفع عنه الضيم، وقد امتدت هذه عبر العصور إلى العصر الإسلامي متمثلة في إمام الزمان أو المهدي المنتظر، وهي أحد ركائز العقائد الشيعية في إيران، وتبدو فـــي محاولـــة ربط الحاضر والمستقبل بالماضي ووضع الشخصية الإيرانية في بؤرة الحضـــارة، وتركز هذه النظرية على مفهوم انتظار مبعوث آخر الزمان وما يتعلق به من الصبر والكفاح والمثابرة وعدم اليأس، حيث أصبحت أمنية قيام ثورة المهدي فلسفة

اجتماعـــية ملهمة لدعم القيم الدينية وفاتحة طريق العمل للمستقبل ومرآة تنعكس عليها الأماني الشيعية.

الثورة الإسلامية في إيران

خصائصها ومنجزاتها

تعتبر الثورة الإسلامية في إيران أحد أبرز ثورات القرن العشرين في منطقة الشـــرق الأوسط، ليس لأنها ثورة شعبية بالمعنى الواقعي، ولا لخصوصيتها الواضحة أو تأثـيراتها علـــى الأحـــداث في المنطقة فحسب، بل لأنها مازالت تحتفظ بقوة الدفع الثوري الذي يجعلها مستمرة في صنع الأحداث في المنطقة، وبغض النظر عما أثارته مـــن جـــدل حولها فلا شك أنها قدمت تجربة فريدة من تجارب الشعوب، ينبغي تأملها ودراستها والاستفادة من منجزاتها.

مـــن الواضح أن الثورة الإسلامية في إيران كانت ثورة شعبية عامة وشاملة، اشـــتركت فـــيها كافـــة فـــئات الشـــعب ممن ضمتهم الأحزاب والجماعات السياسية والتنظـــيمات الســـرية والميلشيات المسلحة والجمعيات الأدبية والثقافية والتشكيلات الاجتماعية بمختلف انتماءاتها وتوجهاتها السياسية والفكرية والثقافية من أقصى اليمين إلـــى أقصـــى اليسار، بين القوميين والملكيين الدستوريين والليبراليين والاشتراكيين والشـــيوعيين والإسلاميين الأصوليين والإسلاميين الثوريين وعلماء الدين والفدائيين، وقـــد أدى هـــذا الاشـــتراك العـــام بهدف الإطاحة بالشاه ونظامه إلى انضمام الفئات المـــتخاذلة والمســـالمة والسلبية بشيوخها ونسائها وأطفالها، بل يعتبر دور المرأة في نجـــاح الثورة أحد خصائصها البارزة، حيث كان اشتراك المرأة في حركة المقاومة تكتيكـــيا بحيـــث كانت المظاهرات المكونة من الرجال والنساء والأطفال تخرج إلى الشـــوارع وتعتصم في الميادين العامة، وعندما يتدخل الجيش لقمعها تصدر الأوامر بانســـحاب الـــرجال مـــنها، وهكذا لا يجد الجيش أمامه إلا النساء والأطفال فيضطر للانســـحاب، ويفشل النظام في استخدام أهم أدواته ضد الثورة، مما جعل الإيرانيون يشـــعرون بعـــد انتصار الثورة أنها ثورتهم جميعا وأن لكل فرد إيراني حق في هذه الثورة ومنجزاتها.

وإذا كانت هذه العمومية الشعبية تمثل إحدى خصوصيات الثورة الإسلامية فلا شك أن التوجه الديني المذهبي كان الخصوصية الثانية لهذه الثورة، فلم يكن تولي علماء الدين زعامة الثورة من فراغ، وإنما أدى إليه ذلك الاستعداد الشعبي لأن تكون الثورة ضد نظام الشاه ثورة ذات توجه ديني باعتبار أن الدين أحد السمات البارزة للشخصية الإيرانية، وأن نظام الشاه قد أهان هذه الخاصية وحاول طمسها، ومن هنا كانت نتيجة الاستفتاء الشعبي على نظام الجمهورية الإسلامية القائمة على ولاية الفقيه مؤكدة لهذا التوجه، كما أن استمرار التأييد الشعبي للنظام مع الأزمات التي واجهها والضغوط التي يواجهها دليل آخر على هذه الخصوصية، ويعتبر دستور الجمهورية الإسلامية أول وثيقة رسمية تعبر عن هذا التوجه الثوري الإسلامي، فقد اشترك في صياغته فقهاء مجلس الخبراء الذي تم انتخابه من قبل الشعب في ١٩٧٩/٧/٣م وناقشه مجلس الشورى الإسلامي ثم أقره مجلس الرقابة على القوانين واعتمده آية الله الخميني زعيم الثورة، وبعد ذلك طرح للاستفتاء العام في ١٩٧٩/١٢/١م، وقد حرص هذا الدستور على الموازنة بين الخصوصيات الشيعية وبين العموميات الإسلامية مبرزا عددا من الإيجابيات التي تساعد على صلاح النظام الإيراني وإسلاميته ونموذجية خطه، فقد نص الدستور مثلا على مبدأ الشورى الإسلامي في المادة السابعة، كما نصت المادة الثامنة على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد نصت المادة الحادية عشرة على مبدأ وحدة المسلمين وواجب النظام في العمل على تحقيقها، وإذا كانت المادة الثانية عشرة قد نصت على أن الدين الرسمي لإيران هو الإسلام وأن المذهب الرسمي هو المذهب الجعفري الاثني عشري بدون تغيير إلى الأبد، وعلى الاحترام الكامل للمذاهب الإسلامية الأخرى، فقد نصت المادة الرابعة عشرة على معاملة غير المسلمين بالحسنى، وفضلا عن ذلك فقد نصت المادة السابعة عشرة على أن يكون التقويم الرسمي هو التاريخ الهجري، ونصت قبلها المادة السادسة عشرة على الاهتمام باللغة العربية باعتبارها لغة الدين الإسلامي، وهكذا تجمعت الخصائص الإسلامية للدستور إضافة إلى خاصية عقائدية أخرى تتعلق بالمذهب الشيعي وهي ولاية الفقيه، حيث نص البند الخامس من المادة الثانية على الإمامة والزعامة المستمرة

ودورها الأساسي في استمرار الثورة الإسلامية، كما نصت المادة الخامسة على ولاية الأمر وإمامة الأمة في فترة غيبة ولي العصر المهدي المنتظر للفقيه الجامع للشروط، وهو ما أكدته المادة السابعة بعد المائة[1]. ويعتبر بعض المحللين الغربيين المواد المتعلقة بولاية الفقيه مخالفة للديمقراطية لأنها تعطي سلطة مطلقة للزعيم تجعله دكتاتورا، وهو ما يعترض عليه الإيرانيون مؤكدين أن مواصفات الزعيم تمنعه من أن يصبح دكتاتورا، كما أنهم يردون على الادعاء بوجود تناقض في الدستور بين مبدأ الثورية التي تدعو لعدم الاستكانة والخروج، وبين مبدأ ولاية الفقيه التي تدعو إلى الدخول في الطاعة، بأن الشيعة هم أتباع الإمام علي بن أبي طالب زعيم الثوار وكذلك ابنه الحسين سيد الشهداء، وأن المذهب الشيعي مذهب ثوري وأن ولاية الفقيه ولاية ثورية[2].

ويدعم هذه الخصوصية خصوصية ثالثة هي قدرة الثورة على تطوير نفسها وتغيير مواقفها دون المساس بقيمها وأهدافها والاستراتيجية التي ارتضتها، استنادا إلى الأصول الدينية الشيعية التي ترفع مقام العقل إلى توأمة النص، وتجعل الاجتهاد الفقهي حيا ومتحركا ومرنا، وتستخدم شعار المصلحة الإسلامي، فلا شك أن أيديولوجية ولاية الفقيه قد قامت على أسس من المذهب الشيعي الإثني عشري الذي يدين به غالبية الشعب الإيراني، وأن الخلاف حول ولاية الفقيه خلاف يتعلق بفروع وليس بأصول في هذا الفكر، بل لعل ولاية الفقيه قد استمدت قوتها من فكرة المحافظة على المذهب ذاته والإبقاء على مقوماته، أي أن هذه الأيديولوجية تحقق مصلحة دينية يؤمن بها الشعب الإيراني وتدعم تراثه الثقافي والحضاري، مما جعل هذه الأيديولوجية تمتزج بعنصر مصلحة المسلمين الذي يقره المذهب الشيعي بل ويرفعه فوق النص الديني أحيانا، وهو الذي أتاح للفقه الشيعي الامتداد عبر باب الاجتهاد ليعايش متغيرات الزمان، ويحل معضلاته ويخرج الشعب الإيراني وقياداته من أزمة الضغوط الخارجية، إن مبدأ المصلحة ليس دخيلا على الأيديولوجية باعتباره أصيلا في الفكر الديني وطوق نجاة

---

[1]- محمد السعيد عبد المؤمن : ولاية الفقيه بين النظرية والتطبيق ص٨٦-٨٨ طبع القاهرة ١٩٩١م

[2]- راجع كتاب الحكومة الإسلامية للخميني طبع طهران ص ١٥٩ وما بعدها

للمشرعين الأصوليين من الشيعة في ملاحقة الأحداث والتطورات، ومس ثم فإن النظام الثوري يراهن في بقائه واستمراره على هذا المبدأ، وهو لا يخشى من تداعياته السلبية على المجتمع لإحكام ضوابطه ووضوح فكرته التي ترتبط ارتباطا عضويا بمبدأ التقية الديني الذي ساعد على بقاء التشيع واستمراره مع العنت والاضطهاد في العصور الإسلامية المختلفة، ويؤكد خاتمي هذا الأمر بقوله:" يقول الإمام إن المصلحة هي عماد النظام وعندما تكون المصلحة واجبة يجوز تعديل الأحكام الشرعية ولا يكون باب الاعتراض المدني مغلقا."[3] وقد شجعت هذه الأيديولوجية النظام الحاكم في إيران على طرح مبادئ الثورة على شعوب العالم الإسلامي، لكن حرب الثماني سنوات مع العراق والتي كانت من الموجهات الأساسية لإيران في علاقاتها مع دول الخليج والعديد من الدول العربية، أدت إلى أن يتخذ أسلوب طرح الثورة الإسلامية نوعا من الوسائل العنيفة التي تخلق كثيرا من الحساسية لدى الشعوب والحكومات العربية، وقد اقتضت المصلحة قبول إيران وقف الحرب مما أدخلها مرحلة جديدة في علاقاتها مع العالم عامة ومع الدول العربية خاصة، حيث استتبع هذا القرار سلسلة من التغييرات في شكل النظام وتوجهاته بما يتلاءم مع المستجدات، إلا أن اتجاه الجمهورية الإسلامية في إيران إلى الواقعية لم يكن يعني التخلي عن الأفكار الأساسية التي قامت عليها، يقول حجة الإسلام محمد علي أبطحي مساعد رئيس الجمهورية: إن الثورة الإسلامية أكبر حركة إصلاحية في تاريخ إيران حيث كانت حركة إصلاحية في مواجهة النظام الاستبدادي، وكان شخص الإمام الخميني أكبر إصلاحي في المجتمع، وكان يسعى دائما إلى تجديد محتوى الثورة، ويؤكد الإصلاحيون أن حركة الإصلاح تهدف إلى إصلاح مفاهيم وبنى وقواعد الحياة في إيران الإسلامية، لذلك فإن قوى الإصلاح تريد مواجهة تغيير الدم في عروق النظام ببنية أقوى ونشاط أوفر، وتحويل شعار الجمهورية الإسلامية إلى واقع مضيئ للعقل الوطني والنظرة العالمية، وإعادة تنظيم العلاقة بين النظام الديني والمجتمع العالمي بحيث يصبح الإصلاح استراتيجية قومية

---

[3] - صحيفة همشهري بتاريخ٥/١١/٢٠٠٠م.

إســلامية مؤسســة على التقنين بين التجمعات الشعبية[4]." ويقول الزعيم خامنئي:" إذا كانــت القــوى الثورية تريد أن تخرج من التحجر وتبعد اليأس عن المجتمع فلابد أن تــتحرك إلــى الأمــام وإلــى التقدم والتجديد على أساس قيم الثورة، وهو ما أسميته بالإصلاحات الثورية، ومن الطبيعي أن تعطي بعض الجماعات السياسية أولوية لبعض القيم على قيم أخرى، ولكن من الأفضل أن يكون الاهتمام متوجها لكل الأبعاد، ويمكن للجماعــات أن تكمــل بعضــها الــبعض في هذا الإطار، وأن تقبل كل منها الأخرى وتتحملها، المهم أن تكون حركة الجميع في إطار القيم الإسلامية حتى يستفيد المجتمع وتصل الثورة إلى أهدافها[5].

ومــن خصوصــيات الــثورة الإيرانــية كذلك قدرتها على تجميع الجماهير وحشدهم وتسيير المسيرات والمظاهرات الضخمة لمصلحة الثورة والنظام في مختلف المناسبات القومية والدينية وفي شتى الظروف والأزمات، واحتواء المعارضة الشعبية وفــتح باب الحوار معها، والاستفادة من عناصر المعارضة في ضبط إيقاع الحركة السياســية والعلاقات الخارجية، يقول علي يونسي وزير المعلومات: إن نسبة ٩٠ % مــن شــعبنا مســلمة وهذه النسبة لها تأثير كبير على وحدتنا الوطنية وأيديولوجيتنا العالــية، إن شعبنا شعب مسلم ويرفض أي نوع من التحجر أو استغلال الإسلام، إن الأكراد والبلوش والآذريين والعرب هم إيرانيون وإن الإيرانية والإسلامية هما عماد حركتــنا ولسنا بصدد إحياء الحدود القديمة، وإننا في مواجهة الإدعاءات القومية لأننا أنصــار إيران الكبيرة وأنصار الإسلام والحضارة والإيرانية والإسلامية الكبيرة، إن وزارة المعلومــات فــي نظرتها الجديدة تفكر في واجبها الأساسي قبل أي شيئ وهو جلب رضا الناس والمسئولين والمحافظة على الأمن القومي، حيث لاينبغي أن تكون وزارة المعلومات تشكيلات لأذى الناس، وينبغي أن يعلم الناس أن هذه الوزارة منهم وأن يتعاونوا معها، فإن شعارنا هو وزارة معلومات شعبية، هي من الناس ومن أجل الناس ولخدمة الناس، إن واجب وزارة المعلومات هو كشف الأزمات والقلاقل ومنع

---

[4]- صحيفة اطلاعات بين المللي بتاريخ ٢٦/٢/٢٠٠٠م

[5]- صحيفة همشهري بتاريخ١٤/٥/٢٠٠٠م.

انتشارها وتعقب الأزمات من خلال الاستفادة بالوسائل العلمية والثقافية[6]. ويرتبط بهذه الخاصية تصنيف عناصر الثورة والاستفادة منهم في مواقع مناسبة دون النظر للتدرج الوظيفي أو المناصب السياسية والحزبية على أساس القطبية الشيعية المستقاة من نظام المـــراجع الشيعي، كما أدى قبول إيران وقف الحرب مع العراق إلى تعديل الدستور وإفساح المجال لقيام جماعات سياسية جديدة، وتراجع كثير من صقور النظام وفشلهم في الوصول إلى عضوية البرلمان أو تولي مناصب قيادية.

ويرتبط بهذا الأمر أيضا خاصية القدرة على التواصل مع جميع الثورات على اختلاف هوياتها وأهدافها وأساليبها ومواقعها في الشرق أو الغرب، وهي من خلال هذا التواصل تعبر عن موقف أصولي وثابت وملتزم تجاهها، مما يوحي بصدوره عن تقييم حقيقـــي وعـــن دراســـة عمـــيقة، ومـــن أهم مظاهر التواصل هو موقفها من الثورة الفلســـطينية، حيـــث كانت إحدى اللاءات الثلاثة التي اعترض بها الخميني على الشاه والتي أدت إلى اعتقاله ثم نفيه هي: لاعلاقات مع إسرائيل، وكان الكتاب الذي ترجمه رفسنجاني من العربية إلى الفارسية وأدى إلى اعتقاله هو كتاب قضية فلسطين للكاتب أكـــرم زعيتر، وعندما عاد الخميني إلى إيران منتصرا كانت العلاقات الدبلوماسية مع إســـرائيل قـــد قطعت فقدم مكتب التمثيل الإسرائيلي في طهران هدية لمنظمة التحرير الفلســـطينية، وأثبتـــت الأيـــام التي تلت ذلك أن القضية الفلسطينية قد صارت قضية محورية في فكر نظام الجمهورية الإسلامية الذي أقامته الثورة في إيران، إلا أن إيران قـــد فرقت منذ البداية بين تعبيرين أساسيين هما اليهودية والصهيونية، فالصهيونية هي العـــدو الحقيقي لإيران لأن استراتيجيتها تتعارض تعارضا تاما مع استراتيجية النظام الإيراني كما أن أنشطتها الفعالة تتقاطع مع الأنشطة الإيرانية في مختلف أنحاء العالم، وتمـــثل إســـرائيل بؤرة النشاط الصهيوني مما يجعلها قطبا متنافرا مع إيران ويجعل العلاقـــات بيـــنهما تبدو مستحيلة، ويؤكد الإيرانيون أن تحديات هذه العلاقات تحديات أمنية بالمعنى الواسع، والموقف الإيراني من القضية الفلسطينية لاينبع من فراغ بل من معطيات عقائدية وسياسية واقتصادية وحضارية تجعل الإيرانيين يفصلون بين أمرين

6- صحيفة همشهري بتاريخ٦/١١/٢٠٠٠م.

أساسيين في القضية وهما حقوق الشعب الفلسطيني ومسألة القدس، وعلى هذا فإن المواقف الإيرانية ليست واحدة مع كلا الأمرين، حيث تبدو متغيرة حسب الظروف والأحداث تجاه حقوق الفلسطينيين وتبدو ثابتة تجاه مسألة القدس، فالقدس لها قيمة كبيرة لدى الإيرانيين منذ آلاف السنين عندما حررها الإمبراطور قورش الأول من أيدي البابليين وصاهر أهلها، ثم أصبحت قضية جهادية لدى إيران تطبق عليها قواعد الجهاد الطويل المدى، وقد جعلها الخميني أحد رموز النضال خلال الحرب العراقية الإيرانية، ووضعت خطة عمليتين كبيرتين في إطار هذه الاستراتيجية سميت الأولى عمليات طريق القدس والثانية عمليات بيت المقدس، ولكن وقف الحرب جعل هذا الشعار يفقد معناه وينسحب من مضمون الجهاد بمعناه العسكري المباشر ويدخل ساحة الجهاد الإعلامي والسياسي، وإن كان الاهتمام الإيراني بالقضية الفلسطينية لم يفتر قط إلا أنه قد حدثت تحولات في كيفية التعامل معها.

كذلك فإن من مظاهر هذا التوجه الدعوة إلى وحدة العالم الإسلامي وما تتطلبه من إجراءات حيث بادرت الثورة الإيرانية إلى تخصيص أسبوع للوحدة الإسلامية يحتفل به كل عام في ذكرى مولد الرسول عليه السلام مابين ١٢ و١٧ ربيع الأول أي تاريخي ذكرى مولده عند السنة والشيعة، يقول الزعيم خامنئي:" ينبغي على الأخوة المسلمين من سنة وشيعة أن ينسوا الماضي، وأن يوحدوا كلمتهم وتوجهاتهم وأخوتهم، ويمكن تأسيس دار للتقريب بين المذاهب على أساس التضامن والتعاون والوحدة الفكرية بين علماء السنة والشيعة، إننا لانريد أن يدخل الأخوة من أهل السنة في مذهب الشيعة أو أن يدخل الشيعة في مذاهب أهل السنة، بل ينبغي أن تكون الوحدة والتضامن الأخوي الإسلامي حول محور ومجال مشترك[٧]. وإذا كان الزعيم خامنئي قد فسر المحور المشترك بأنه محبة آل البيت باعتبارها واجبة لدى جميع المذاهب والفرق الإسلامية ولأنها تتفق مع مبدأ التولي والتبري الإسلاميين ومبدأ اللاشرقية ولاغربية اللذين تقوم عليهما السياسة الخارجية الإيرانية، وترضي فكرة إنشاء الحكومة العالمية للإسلام التي يؤمن بها علماء الشيعة، وتسهل عملية تصدير الثورة الإسلامية،

---

[7]- صحيفة اطلاعات بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٦م

فإن الثورة الإيرانية تكون قد سبقت بذلك إلى نقطة وسط يمكن التباحث حولها، ويؤدي تطبيقها إلى تحديد حجم العلاقات بين إيران والدول العربية، بل إنها سوف تجعل هذه العلاقـات فـي مـنزلة بيـن المنزلتيـن حيث تتسع وتنكمش حسبما تحدده المصالح المشـتركة، وفي هذه الحالة يمكن للتقية السياسية أن تقوم بدور فعال في حل المشاكل التي قد تطرأ بين الطرفين أصحاب المصلحة، وقد عبر الكاتب محسن شهيدي عن هذه السياسـة بقوله:" لاينبغي أن تكون سياستنا سياسة خلق أعداء، ولكننا أيضا لاينبغي أن نلبس العدو قناع الصديق، أو أن نعتبره عدوا بلاخطر[8]."

وفـي إطـار هذا التوجه أيضا تبدو علاقات الثورة بالحركات التحررية في جميع أنحاء العالم واضحة، وهي لا تفرق في هذا بين الجمهوريين الأيرلنديين وثوار التامـيل أو غيرهم، بل تذهب إلى أبعد من هذا عندما تقسم العالم إلى قوى استكبارية ومستضـعفين، إلا أن هذا التقسيم يبدو مرنا في تحديده للخط الوهمي الذي يفصل بين الفريقيـن، وعلى كل حال فقد حملت الثورة مسئولية مساندة المستضعفين في مختلف أنحـاء العـالم بوسـائل مخـتلفة تبدأ بالدعم المعنوي والإعلامي والمادي إلى الدعم العسكري.

لقـد كـان الاسـتقلال والحرية والجمهورية الإسلامية شعارات ثلاثة رفعتها الـثورة الإسـلامية فـي إيـران منذ فجر قيامها وأقسم الثوار على تحقيقها ومازالوا يـرفعونها حـتى الآن محاوليـن الحفـاظ عليها بعد أن اتخذت أبعادا جديدة في ظل المتغـيرات التـي اكتنفت مسيرة الثورة، وأصبح الجيل الثاني للثورة يختلف اليوم مع جيلها الأول على معنى هذه الشعارات وأبعادها في ظل مسيرة التطور والإصلاح إزاء تـنوع اتجاهـات الجماعات السياسية المتعددة التي ظهرت على الساحة، والتي تمثل طوائـف مـتفاوتة فـي السن والعرق والثقافة والهوية السياسية، يمثل الشباب أغلب خلاياها، فمن ولد عشية نجاح الثورة قد بلغ سن الرشد الآن ومن كان في الثانية عشرة قـد صـار متوسط العمر، كما تغيرت ظروف الحياة وأسلوب المعيشة بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، وكبرت المدن وتحولت بعض القرى إلى مدن وأنشئت محافظتان

---

[8]- صحيفة كيهان بتاريخ ١/٢/١٩٩٣م

جديدتان وفتحت آفاق جديدة وتولدت احتياجات جديدة، ولاشك أن نجاح حجة الإسلام والمسلمين سيد محمد خاتمي في الوصول إلى رئاسة الجمهورية الإسلامية في إيران وإعلانه زعيما للإصلاحيين يمثل بداية مرحلة جديدة من تاريخ الثورة الإسلامية لأنه فتح المجال أمام دعوات التغيير وتطوير النظام وإصلاح سلبياته، والخروج من العزلة وإنهاء الأزمة الاقتصادية، وأدى إلى ظهور تكتل الإصلاحيين من الشباب في مواجهة المحافظيــن الذيــن يمثل أغلبهم الحرس القديم للثورة والنظام، ولم يتوقف تأثير نجاح خاتمــي عند المجال السياسي بل تعداه إلى المجالات الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافــية، وقــد صور البعض خاتمي بأنه جورباتشوف إيران باعتبار أنه يمزج بين إيمانـــه بولايـــة الفقيه وحق الجماهير التي انتخبته في توجيه النظام، إلا أنهم يؤكدون علــى قدرتـــه علــى تجــاوز أخطاء جورباتشوف بحيث يعمل على إبقاء النظام مع إصلاحه، مما يوصل الحكومة إلى مرحلة النضج السياسي، ويخرج بالنظام من تقوقعه إلى مستوى الظروف التي تواجهه والأوضاع التي تكتنف المنطقة والعالم، وهكذا فقد قــدم ثــورة مـــن الـــنوع الواقعي تطالب بالحقوق المنسية من خلال الطرق القانونية المشـــروعة أي أنــــه يحــافظ على النظام مع جلب تعاطفه وتوافقه مع الشعب أي مع المـــالك الحقيقي للبيت[9]. وقد نجح خاتمي في أن يخرج الثورة الإسلامية من مذكرات الـــتاريخ ومـــن ضمائر جيل أو جيلين ويربطها بحياة الجماهير المعاصرة التي تعيش ظـــروفا مختلفة حتى لا تزيد شقة الخلاف بين الجيل الجديد وجيل الثورة، يقول:" إن الفكـــر والرؤية التفصيلية هي إحدى المشكلات الكبيرة للنظام الإداري للبلاد، لابد من الاهـــتمام بمطالـــب الجـــيل الجديد والسعي لتلبية احتياجاته بشكل صحيح وعملي، إن الحرية والقيادة الشعبية والمشاركة الجماهيرية والمجتمع المدني مطالب لها جذور في الثورة ومدونة في الدستور، ولن تتحقق إلا بالاعتماد على مباني وأسس الهوية القومية والدين والأخلاق، لقد بدأت الثورة الإسلامية مرحلة جديدة من حياتها الاجتماعية[10]".

---

[9]- سيد مرتضي نقوي : من خاتمي ؟ صحيفة آزادگان بتاريخ ١٣/١/٢٠٠٠م.

[10]- صحيفة ايران بتاريخ ٣٠/٤/٢٠٠٠م

ربمـــا يحاول المحافظون التمسك بأصالة شعارات الثورة من خلال المحافظة علـــى إطارهـــا العام وما حققته من إنجازات في مجالات العمل المختلفة من سياسي واجتماعي واقتصادي بغض النظر عن ثقلها وقيمتها الحقيقية في حياة الناس ودون أن تـــتحول إلـــى مجـــرد رمـــوز تتفاوت مع مايرصد تحتها من أعمال، في حين يسعى الإصلاحيون إلى تطوير هذه الشعارات لتعبر عن متطلبات المرحلة الجديدة التي تمر بهـــا إيـــران، وهذا التطوير الذي عبروا عنه بالإصلاح يقتضي إدخال عناصر جديدة إلـــيها، إضـــافة إلـــى تغيـــير بعض المفاهيم التي علقت بها نتيجة بعض الممارسات الخاطـــئة، فضـــلا عـــن إصلاح هذه الأخطاء، وكذلك إعادة النظر في بعض المسائل والقـــيم والأهـــداف، يقـــول المـــرحوم عليرضـــا نوري أمين جبهة الثاني من خرداد الســـابق:"إن مفهوم من معنا ومن علينا ليس له أية قاعدة قانونية، وأنا أعتقد أن جميع الإيرانيين في جميع أنحاء العالم عليهم أن يضعوا أيديهم في أيدي بعضهم وأن يجتهدوا فـــي تنمـــية هذه البلاد وأن يتجاوزوا حتى مفهوم القومية، إن الخط الأحمر عندي هو الدســـتور، ومـــادام هذا الدستور لم يتغير فينبغي أن يكون هو الإطار المشترك لجميع أنشطة المواطنين، وإلى جانب هذا الموقف فأنا أعتقد أن أهم مسألة فضلا عن الدستور هي أنه ينبغي أن يفكر الجميع في الحفاظ على المصالح الوطنية التي تلاحظ بشكل ما في الدستور[١١]."

لقـــد أنشأت الثورة عددا من الأجهزة الثورية التي تستلزمها أهدافها، وتغطي احتـــياجاتها في كافة المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ابتداء من الـــزعامة والأجهزة التي تتطلبها مثل مجلس خبراء الزعامة الذي يعتبر من خصائص نظام ولاية الفقيه ومعه مجمع تحديد مصلحة النظام إلى المجالس التشريعية التي تعتبر أحـــد أهـــم مظاهر الديمقراطية الإسلامية التي استهدفتها الثورة في نظامها الإسلامي، وهي ليست على غرار المجالس التشريعية الغربية من حيث النوعية أو المهام الموكلة إلـــيها، فـــإذا كـــان مجلس الشورى الإسلامي يشبه إلى حد كبير المجالس النيابية في الغرب، فإن مجلس الرقابة على القوانين (نگهبان) لا يوجد له مثيل في الغرب حيث

١١- صحيفة همشهري بتاريخ ١٣/١/٢٠٠٠م

يعمـــل علـــى ضـــبط دستورية وإسلامية القوانين وتنقية العناصر التي تشرع للنظام، يضـــاف إلـــى ذلـــك مـــا اشتمل عليه الدستور من مواد وخصائص، كما أن أسلوب الممارسة الديمقراطية سواء ما يتعلق بالانتخابات أو بأسلوب العمل داخل المجالس أو الـــنقد الذاتـــي مـــن خلال الصحافة يختلف في حجمه ونوعيته عن أسلوب الممارسة الديمقراطية في الغرب، ويؤكد الإيرانيون أن سر الاختلاف بين الديمقراطية في إيران والديمقراطية في الغرب هو أن ما يقدمونه هو الديمقراطية الإسلامية، وأن هناك سوء فهم من جانب الغرب بسبب عدم إدراكه لأسس هذه الديمقراطية، كما يؤكدون على أن الديمقراطـــية الإسلامية هي أرقى أنواع الديمقراطية في العالم لأنها مأخوذة عن تعاليم إلهية ونظم سماوية، ربما توجد بعض الاعتراضات على طبيعة الممارسة الديمقراطية خاصـــة بيـــن المجالس الدستورية، حيث نجد أن مجلس الشورى الإسلامي رغم كونه أهمها دستوريا فهو أدناها سلطة حيث تحتاج قراراته وقوانينه إلى مراجعة من مجلس الرقابة على القوانين، واحتكام إلى مجمع تحديد مصلحة النظام، وميزة المجلس ترجع إلـــى انتخاب أعضائه انتخابا حرا مباشرا من قبل الشعب، وأنه _كما قال الخميني في افتتاح أول دورة _ مركز كل القوانين والسلطات، إلا أن مجلس الرقابة على القوانين يـــتحكم فـــي هذا المجلس من ناحيتين: الأولي أنه يجري مراجعة على كل المتقدمين للترشيح لعضوية المجلس، ومن حقه حجب أي مرشح بدعوى عدم أهليته التعليمية أو الأخلاقـــية أو العقائديـــة أو السياســـية أو الاجتماعية، ثم إنه يستطيع حجب نتيجة أي مرشح عند إقراره النتائج النهائية للانتخابات بدعوى حدوث غش في عملية الإدلاء أو فـــرز الأصـــوات، أمـــا الناحية الثانية فهي مراجعة كل القوانين التي تصدر عن ذلك المجلس ورفض أو إعادة أي قانون بدعوى عدم دستوريته أو عدم توافقه مع الشريعة الإسلامية أو المذهب الشيعي، وإذا احتدم الخلاف بين مجلس الشورى الإسلامي وبين مجلس الرقابة على القوانين حول أحد القوانين ورفض مجلس الشورى سحبه أوتعديله فإنـــه يحـــتكم إلى مجمع تحديد مصلحة النظام الذي يفصل بين المجلسين فيوافق على رأي أحدهما مما يعني أنه يستطيع إحباط عمل مجلس الشورى الإسلامي بدعوى عدم المطابقة مع مصلحة النظام، وهناك أيضا الزعيم الذي من حقه أن يرفض أي قانون أو

يمـــنع مناقشته دون إبداء أية أسباب، كما أن طبيعة العمل داخل المجلس ذاته لا تسمح بوجـــود تكتل أغلبية ثابت طوال الدورة التشريعية بسبب عنصر المصلحة، وعلى كل حـــال تـــبقى الممارســـة داخـــل هذه المجالس معيارا حقيقيا لمدي تطبيق الديمقراطية الإســـلامية، ومن الواضح أن قواعد الممارسة الديمقراطية قد تطورت تطورا ملحوظا منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران وحتى الآن، كما أن الممارسة أوجدت مساحة أكبر من الديمقراطية وعددا أكبر من المؤسسات الديمقراطية.

لم يمنع اتخاذ حكومة الرئيس خاتمي سياسة إزالة التوتر في الداخل والخارج مـــن الاستمرار في دعم القوات المسلحة وقوى الأمن، وقد كان متصورا أن الرئيس خاتمـــي مـــع إعلانه سيادة القانون وتثبيت أوضاع المؤسسات الدستورية والقانونية، والالـــتزام بدولة المؤسسات أن تراجع أوضاع المؤسسات الثورية والتي تخرج عن إطـــار الدســـتور والقانون، وعلى رأس المؤسسات التي تجري مراجعتها وتصفيتها جـــيش حـــراس الـــثورة الإســـلامية، وقد ثار الجدل حول وضع هذا الجيش ومدى دستوريته، وهل أدى المهمة التي أنشئ من أجلها؟ وهل حان الوقت لحل هذا الجيش أو دمجه مع الجيش النظامي؟ كما ثار الجدل حول المؤسسات التابعة له وكيفية توفيق أوضـــاعها، وقـــد وقـــف جيش حراس الثورة في وجه هذا الاتجاه بحزم، وكان من الواضـــح أن جيش حراس الثورة الإسلامية إزاء ما قدم من خدمات للثورة والنظام، ومـــا قـــدم مـــن تضـــحيات خلال الحرب العراقية الإيرانية، وما حقق من إنجازات وانتصـــارات ضـــد أعداء الثورة والنظام، وإزاء الجهد الذي بذله في تصدير الثورة الإسلامية في الخارج وتثبيت أركان نظام الجمهورية الإسلامية في الداخل، إزاء كل مـــا أعلـــن عن هذه الجهود ومالم يعلن فقد أصبح له نفوذ في جميع مؤسسات الدولة علـــى مخـــتلف مســـتوياتها، كمـــا صار له تأثير على قادة الدولة والنظام إبتداء من الـــزعامة وحـــتى الشارع الإيراني، ومن هنا فقد وجد جبهة عريضة تسانده وتدعمه وتصـــر علي بقائه واستمراره، وقد استطاع جيش حراس الثورة الإسلامية في عهد خاتمـــي وبعد خروج اللواء محسن رضائي من قيادته أن يثبت أحقيته في الوجود من خـــلال عرض القوة الذي يقوم به في المناسبات المختلفة وخاصة المناسبات المتعلقة

بالإمـــام الحســـين سواء في ذكرى ميلاده أو ذكرى استشهاده أو ذكرى الأربعين من وفاتــه، حيث يمثل الإمام الحسين الأب الروحي للحراس والقدوة الدينية المعلنة لهم، ومازال جيش حراس الثورة الإسلامية يسعى لدعم قدراته العسكرية خاصة في مجال التزود بالصواريخ وهو المجال الذي يتفوق فيه على الجيش النظامي.

كمـــا تولي الثورة الإيرانية اهتماما كبيرا بجهاز المعلومات والأمن والشرطة بقدر اهتمامها بدعم سيادة القانون، وقد أكدت القيادة هذا المعنى في أكثر من مناسبة، حيــث اعتبر الزعيم خامنئي أن الواجب الهام لقوات الأمن في الإقرار الكامل للأمن هو أكثر الأسس ضرورية للشعب والبلاد، مؤكدا أنه في حال استقرار الأمن تستطيع القطاعـــات المختلفة للبلاد أن تقوم بواجباتها علي الوجه الأمثل وإزاء اهتمام الثورة بالأمن في مختلف أبعاده فقد اهتمت بتحويل جهاز الأمن والمعلومات (الساواما) الذي أنهـــى عمـــل جهاز الساواك إلى وزارة للمعلومات ودعمتها وحددت واجباتها، يقول حجة الإسلام والمسلمين علي يونسي وزير المعلومات: إن بلادنا الآن من أكثر دول المنطقة استقرارا، وإن واجبنا في وزارة المعلومات هو كشف العناصر الخطرة التي تســـعى لتنفيذ المؤامرات وضياع الأمن من البلاد، إن إثارة الفتنة الاضطرابات يضر بمصالحنا القومية وينبغي مواجهتها بقوة القانون[١٢].

وتـــبدو محاولة الجيل الثاني للثورة بقيادة رئيس الجمهورية لدعم صلاحيات الرئيس الرقابية والتصحيحية وصلاحيات مجلس الشورى الإسلامي جادة وتهدف إلى تحقيق تطور كبير في موضوع إقامة المجتمع المدني في ظل سيادة القانون، وما يدفع الرئيس خاتمي للمضي في هذا السبيل هو إدراكه أنه لن يخسر شيئا، لأن الدستور لن يمـــنحه مدة رئاسة ثالثة تجعله يراجع حساباته مع القوى الأخرى في النظام، وأنه إذا اســـتطاع أن يحقـــق شيئا فسوف يكتب له في تاريخه السياسي ربما يدفعه إلى كرسي الزعامة.

أمـــا التحدي الآخر الذي يواجهه خاتمي فهو تصحيح أخطاء المرحلة الأولى والتي دفعت خاتمي إلى أن يستغني عن ثمانية وزراء مقربين ويستبدلهم بوجوه جديدة،

12- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٥/٩/٢٠٠٠م.

ومن الواضح أن هذه الخطوة لم تكن على سبيل التغيير فقط لأن الوزارات التي تغير وزراؤها هي وزارات مشاكل، وهي وزارات الشئون الاقتصادية والمالية، العمل والشئون الاجتماعية، جهاد الزراعة، النقل والطرق، التعاون، التربية والتعليم، الصحة والعلاج، البرق والبريد والهاتف، وهي باستثناء وزارتي الشئون الاقتصادية والمالية والتعاون وزارات خدمات، مما يعني أن التغيير يسير في نسق القيادة الشعبية التي تضع خدمات المواطنين على رأس أولوياتها، وإذا كان الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني قد بدأ مسيرة التحول في الاقتصاد الإيراني من اقتصاد موجه واقتصاد حرب إلى اقتصاد تنمية ثم اقتصاد حر، فإن الرئيس خاتمي مع استفادته من خطوات سابقه كان أكثر واقعية في وضع أولوياته الاقتصادية، معتبرا أن مايقوم به إنما هو حركة تصحيحية للاقتصاد الإيراني في إطار قيم الثورة التي قامت لنصرة المستضعفين ورفع الحرمان عن المحرومين، والواقع أنه إذا كان قد بدأ يحصد بعض الثمار بافتتاح المشروعات التي تمت في عهد سابقه لتجهيز البنية التحتية للاقتصاد في كافة مجالاته، إلا أن المشكلات المؤجلة بدأت تلاحقه فضلا عن الانخفاض في سعر البترول والحظر الاقتصادي الذي جسم هذه المشكلات مثل مشكلة البطالة والتضخم الحاد ودعم السلع الأساسية وانهيار سعر صرف العملة المحلية والديون الخارجية، وكان على الرئيس خاتمي أن يستمر في تنفيذ الخطة الخمسية الثانية التي وضعتها الحكومة السابقة ويدرس في نفس الوقت أوجه النقص والسلبيات التي تعاني منها لتلافيها في الخطة الخمسية الثالثة، فكانت أول الخطوات الإصلاحية التي اتخذها هو وضع برنامج موسع لخصخصة الصناعات الرئيسية في البلاد بما فيها الاتصالات والسكك الحديدية والتبغ، وكان من أهم إجراءات هذا البرنامج عملية التعويم المحدود للعملة وخصخصة ٢٤٠٠ مؤسسة[١٣]، وتعتبر الخطة الخمسية للتنمية من أهم المنجزات التي حققتها حكومة خاتمي فقد كانت أكثر فعالية وتنظيما من الخطتين السابقتين، وحركت الاقتصاد الإيراني من حالة الركود التي سيطرت عليه خلال الفترة السابقة في اتجاه الانتعاش، خاصة مع ارتفاع أسعار البترول، والانفتاح الواضح لإيران على

---

[13]- حسين ملك محمد : اقتصاديات الطاقة في ايران . صحيفة همار بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢٩م

العـــالم نتـــيجة الـــزيارات الموفقـــة التي قام بها الرئيس خاتمي لعدد من دول العالم، والاتفاقات التي وقعتها إيران مع دول عديدة في مجالات اقتصادية مختلفة، ويرى عدد من المحللين أن ظروفا أفضل قد تهيأت للاستثمار في إيران مع تغير المناخ السياسي في الداخل، كما أصبحت الأنظار معلقة على دخل البترول من النقد الأجنبي للوصول إلـــى معـــدلات نمـــو عالية، وقد كان الاقتصاد الإيراني ومازال مرتبطا إلى حد بعيد بالدخل النفطي مما جعله يتأثر كثيرا بانخفاض سعر النفط حيث تشكل عائداته أكثر من نصف إيرادات ميزانية الدولة و٨٠% من الدخل الحكومي من العملة الأجنبية. وهكذا يبدو أن المشكلة الاقتصادية وتداعياتها هي محور التحدي الثاني الذي يواجه الحكومة، ومـــن ثـــم قد أكدت وزارة الاقتصاد على ضرورة اتجاه النظام المصرفي من خلال السياســـات التـــي يضعها سوق المال إلى تشجيع الاستثمار، والتخطيط للنظام النقدي بشـــكل لا يجعل عدم سداد التعهدات النقدية يسيئ إلى نظام الاعتماد، ودراسة معوقات الإنـــتاج والاســـتثمار والمشكلات المصرفية والتأمين والجمارك، وإصلاح نظام اتخاذ القرارات ونظام التخطيط وأسلوب وضع الميزانية. وهناك تحد آخر لا يقل خطرا عن التحديات السابقة وهو الاحتكار والسوق السوداء، فقد شكل الرئيس خاتمي لجنة تنسيق لمواجهـــة الفســـاد برئاسة مساعده الأول محمد رضا عارف وكلفها باكتشاف وتدوين أوجـــه القصور، وكذلك الإجراءات التي تحول دون الاحتكار والاستغلال، حيث أنهما يمثلان واقعا اقتصاديا مرا خلال السنوات الأخيرة ضيق على الناس وأفسد المعادلات الاقتصـــادية، وتمـــثل هـــذه اللجنة بارقة أمل للجماهير، ولكن منتقدي حكومة خاتمي يؤكدون أن مثل هذه اللجان لا تخرج من حيز الكلام إلى حيز العمل ولا يتعدى الهدف مـــنها محاولة إسكات الناس، وتدرك هذه اللجنة أن سبيلها الوحيد للوصول إلى هدفها هو تعاون الجماهير، ولن يتأتى هذا إلا من خلال الشفافية والإعلام الدقيق والمسئول، ثـــم وضع برنامج مدروس يتضمن خطوات عملية مثل إصلاح نظام الجمارك، تنظيم ضـــوابط الصادرات والواردات، مركزية الصلاحيات الاقتصادية، الرقابة على نظام الإنـــتاج والـــتوزيع وإصلاح نظام الضرائب، ولكن التحدي الحقيقي لهذا الإنجاز هو كيفية إغلاق الطريق على الأساليب المتداولة في ساحة المعاملات الاقتصادية، وكذلك

الأخذ في الاعتبار الدفاع عن الحقوق والمصالح الوطنية بدفع كل النفقات المحتملة في هـذا الصدد، ولكن الكلمة الأخيرة في نجاح أعمال هذه اللجنة ستكون للجماهير ومدى تعاونهم معها.

رفع خاتمي شعار إزالة التوتر كوسيلة لإخراج ثورة إيران من عزلتها ودعم علاقاتهـا مع دول المنطقة والسعي لإقامة علاقات جديدة مع الدول الغربية، وقد تعهد بنفسه المهام الكبيرة في هذه السياسة، ثم كان إعلانه عن مشروعه لحوار الحضارات الذي يشكل مفارقة كبرى في توجهات إيران تجاه العالم عما كان عليه الحال قبل ذلك، يقول الرئيس خاتمي:" إن الترحيب العام العالمي لمشروع حوار الحضارات هو نجاح كبـير للشعب الإيراني العظيم، إن آمال هذه البلاد تكمن دائما في المحبة وليس العالم المعاصر بالنسبة لنا مجال خوف ورعب، ولذلك فإنه من أجل أن يتحقق هذا المشروع الإيرانـي فـي مختلف أبعاده لابد أن نجعل منه شأنا ثقافيا وأساسيا وقوميا، وأن تنظم المؤسسات والصروح العلمية والثقافية السبل للتعامل مع الثقافات العالمية، من الممكن أن يكـون مشروع الحوار بين الحضارات مرآة جديدة للحياة والعالم، حيث أن الشرط الأول للحـوار هو تواضع الطرفين مع التصديق فبغير هذه الخصلة الإنسانية لا يمكن إقامة حوار يؤدي إلى معرفة دقيقة بهوية كل طرف"[١٤].

مـن الواضح أن العلاقات الإيرانية الخارجية في هذه المرحلة تحكمها ثلاثة متغيرات أساسية لها تأثير عميق على السياسة الخارجية الإيرانية وخاصة تجاه الدول العربـية، وهـذه المتغيرات الثلاثة إحداها عالمي يتمثل في بروز القوة الأمريكية من خلال النظام العالمي الجديد وتأثيراته الإيجابية والسلبية على المنطقة، ويتمثل المتغير الثانـي فـي استقلال دول آسيا الوسطى الإسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، أما المتغـير الثالـث فهو تحولات القوة العربية ذاتها، ولاشك أن الإصلاحيين يسعون مع الحكومة في التعامل مع هذه المتغيرات بشكل إيجابي خاصة مع المتغير الأول، ويبدأ سـعيهم لإيجـاد قـنوات حوار مع الولايات المتحدة الأمريكية للوصول إلى حل في القضـايا المعلقة بين البلدين مثل الأموال الإيرانية المجمدة في أمريكا والغرب، تحييد

---

[14]- صحيفة همشهري بتاريخ ١/٣/٢٠٠٠م.

الــدور الإيرانـــي في التأثير على عملية السلام في المنطقة، الاتفاق على استراتيجية أمنية مقبولة من جميع الأطراف في الخليج وخاصة الدول العربية، ومكافحة الإرهاب، وتسعى الدبلوماسية الإيرانية للاستفادة من كل فرصة تسنح لها داخل الولايات المتحدة لشـــرح وجهـــات نظرها ومواقفها الأصولية للشعب الأمريكي، من أجل الضغط على الحكومـــة الأمريكـــية لاتخـــاذ خطوات جادة وعملية تبرهن بها على حسن نيتها تجاه إيـــران، لكـــي تعطي حكومة الإصلاحيين الأرضية المناسبة للتحرك في اتجاه عودة العلاقات السياسية بين البلدين[١٥].

أمـــا فيما يتعلق بالمتغير الثاني فإن إيران تسعى لدعم علاقاتها مع دول آسيا الوســـطى والقوقاز، كما سعت إلى حل مشاكلها مع تركيا خاصة مشاكل الحدود والتي تتـــيح الفرصة للدخول غير القانوني إلى البلدين، كذلك سعت للمساهمة في حل مشكلة أفغانســـتان حرصـــا علـــى إقرار الأوضاع على حدودها الشرقية، وعلى صعيد آخر اتجهـــت إيـــران إلـــى توطيد علاقاتها بالهند في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافـــية والصـــناعية والعلمـــية، وقد أكد الرئيس خاتمي أن إيران والهند تستطيعان الاضـــطلاع بـــدور ممـــيز على الصعيد الدولي في مجال حوار الحضارات، كما أن الـــتعاون والمصـــالح المشـــتركة للبلديـــن بإمكانهما القيام بدور هام في إقرار الأمن والاستقرار في المنطقة، وتسعى إيران إلى المساعدة على حل المشاكل القائمة بين بين الهـــند وباكســـتان[١٦]. وتعتبر اليابان أولى الدول الأسيوية التي تحظى باهتمام حكومة خاتمي حيث تسعى إلى دعم علاقاتها بها بشكل قوي ومباشر، وقد توجت الزيارة التي قـــام بهـــا خاتمـــي أخيرا لليابان جهوده في هذا السبيل والتي وصفتها أجهزة الإعلام الإيرانـــية واليابانـــية بأنها بداية فصل جديد في العلاقات بين طوكيو وطهران، حيث أســـفر لقاء خاتمي بالامبراطور الياباني ورئيس وزرائه وكبار المسؤولين في حكومته والـــبرلمان وست مؤسسات اقتصادية كبيرة وكبار رجال الأعمال والمستثمرين هناك عـــن عـــدد من الاتفاقيات الضخمة بين البلدين، كان أهمها دعم حكومة اليابان لإيران

---

[15]- صحيفة همشهري بتاريخ ١٠/٥/٢٠٠٠م.

[16]- وكالة الأنباء الإيرانية بتاريخ ٢٤/٥/٢٠٠٠م

بمبلغ ٧٠٠ مليون دولار كتغطية لتأمين المشروعات الاقتصادية الإيرانية، كذلك الاستثمار المباشر لليابان في مجال النفط والغاز الإيراني، فضلا عن الاستثمار المباشر للقطاع الخاص الياباني في المشروعات الاقتصادية الإيرانية[١٧]. كما تولي حكومة خاتمي اهتماما كبيرا بعلاقاتها مع دول أوربا وقطعت شوطا كبيرا في تحسين علاقاتها بها خاصة تلك الدول التي لم يكن بينها وبين إيران مشاكل سياسية وأيديولوجية مثل أسبانيا، كذلك دخلت العلاقات الإيرانية الألمانية مرحلة جديدة بعد أن أصيبت بصدمة لا تقل عن صدمة اتهام محكمة ألمانية وزير المعلومات الإيراني بالاشتراك في عملية اغتيال معارضي النظام الإيراني في ألمانيا وهي عقد مؤتمر برلين الذي فهمت منه إيران مساهمة ألمانيا في محاولات الإطاحة بالنظام الإيراني والذي أفسد نتائج زيارة الرئيس خاتمي لألمانيا في صيف عام ٢٠٠٠م، وقد أشاد محسن ميردامادي رئيس لجنة الشئون الخارجية للمجلس بمباحثاته مع الألمان ورغبتهم في دعم العلاقات مع إيران في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية[١٨]. وفي إطار التقارب بين إيران والمملكة المتحدة أعلنت الحكومة البريطانية أن انتخابات مجلس الشورى الإسلامي الأخيرة في إيران دليل على أن النظام الإيراني نظام شعبي[١٩]. وقد جاءت زيارة رئيس برلمان إيطاليا لإيران خطوة كبيرة في سبيل دعم العلاقات بين البلدين ودعم دعوة الرئيس خاتمي للحوار بين الحضارات والتعاون المشترك بين البلدين للقضاء على الجماعات الإرهابية التي تهدد الأمن الإيراني[٢٠]. كذلك فقد أصبحت العلاقات مع فرنسا قوية لدرجة تقترب من الشراكة.[٢١]

وفيما يتعلق بالمتغير الثالث فإن إيران لها علاقات حميمة مع بعض الدول العربية ومن الطبيعي العمل على دعم هذه العلاقات وتنميتها إلى الحد الذي يمكن أن تصل بها إلى الحلف، وهناك دول عربية أخرى بدأت معها إيران تعاملات اقتصادية

[17]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٩/١٠/٢٠٠٠م.
[18]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٦/١١/٢٠٠٠م.
[19]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٦/١١/٢٠٠٠م.
[20]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٦/١١/٢٠٠٠م.
[21] - صحيفة كيهان بتاريخ ٦/٦/٢٠٠٣م.

وسياسية وثقافية ومن المتوقع الارتقاء بها وتوسعتها، لكن الامتحان الحقيقي يكمن في طـريقة تعامل الثورة إزاء الدول العربية التي لها مشاكل مع إيران مثل قضية الجزر الإماراتية الثلاث، ومع الدول المترددة في تطبيع علاقاتها مع إيران مثل مصر.

وقـد اعـتمدت الثورة الإيرانية في تقاربها مع الدول العربية أسلوب المبادأة وهـو أسـلوب ضاغط لا ينتظر مبادرات بل يقدمها وردود أفعاله جاهزة ليس فيها مجـال للتردد، وهذا يعني أنها حريصة على هذا التقارب قد خططت له على المدى القريـب والبعـيد، ووضـعت في خططها كافة الاحتمالات معتمدة على خبرتها في علاقاتهـا مـع هذه الدول وعلى قدرتها على التحرك السريع الفعال وإمكانات الفقه السياسـي المساعدة، بحيث لا يكون على حساب مكاسب حققتها إيران في المنطقة أو في غيرها أو حتى داخل إيران، قبل الثورة أو بعد انتصارها.

إيران وثورة يوليو:

عـندما أجهـض انقلاب زاهدي ثورة مصدق في إيران دب اليأس في قلوب الإيرانيين، وإن ظل الأمل يراودهم في ظهور مخلص من ذلك الكابوس الذي تمثل في السـيطرة الأمريكـية على مقدراتهم، لذلك عندما قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢م في مصـر حملت لهم البشرى وقوت عزيمتهم، فتشكلت الجماعات والأحزاب المعارضة للـنظام وحماتـه الأمريكيين، وأخذت تعمل في السر والعلن، وتتحمل ضغوط السلطة الحاكمـة وتصـبر علـى القمع والتنكيل، ومع اتخاذ ثورة يوليو خطا قوميا معارضا لمحاولات السيطرة الأمريكية، وقيام الثورة بتأميم قناة السويس أدرك الثوار الإيرانيون أن طـريقها هـو طـريقهم الذي اتسق مع تأميم مصدق للنفط الإيراني، فاتصلوا بها ورحـب بهم قادة ثورة يوليو التي كانت تسعى لنشر الحرية والاستقلال وبعث الشعور الوطني المناهض للاستعمار في المنطقة، وفتحت لهم معسكراتها، فأرسل إليها الثوار الإيرانـيون صـفوة رجالهم، وعلى رأسهم الثائر مصطفى چمران الذي تلقى تدريبه العسـكري في معسكر أنشاص مع قوات الصاعقة المصرية، ويعتبر مصطفى چمران الذي أخلصت ثورة مصر في تدريبه وزملائه ليكون لائقا لتعيينه أول وزير للدفاع بعد نجـاح الـثورة الإسلامية في إيران، أحد القادة البارزين في الثورة وهو رفيق آية الله

طالقاني زعيم فدائي الإسلام وآية الله مطهري منظر الثورة، كما وصفه شريعتي الأب الروحي لشباب الثورة بأنه شجاع جسور ومقاوم، درس العلوم الدينية منذ سن الخامسة عشـــرة وحصل على درجة الدكتوراه في الإلكترونيات والبلازما من الولايات المتحدة الأمريكية، ثم رافق الإمام موسى الصدر في لبنان، وبعد عودته من التدريب في مصر أســس المقاومـــة الإسلامية التي تحولت بعد ذلك إلى جيش حراس الثورة الإسلامية، وتمكــن مع حراس الثورة الذين تدربوا في مصر، من فك حصار باوه خلال الحرب العراقـــية الإيرانية، كما انتصر في معارك سوسنگرد ودهلاوية وخطط للهجوم على بســتان، لكــن المنية وافته بعد أن ترك رباطا متينا بين الثورة الإيرانية وثورة يوليو، ويعتـــبر مصـــطفى چمران نموذجا لحسن تلقي قادة الثورة الإسلامية في إيران تعاليم الثورة المصرية، وأصبح الزعيم جمال عبد الناصر أحد رموز القدوة لديهم، وأصبحت الناصـــرية أحد أهم مناهل ثورتهم فنهلوا من تعاليمها وأصبح كتاب فلسفة الثورة أحد أهـــم مـــراجعهم، لقـــد أدرك الإيرانيون أن ثورة يوليو ثورة شعبية حقيقية ضد الظلم والطغيان والاستعمار وأن من قاموا بها هم أبناء مصر الحقيقيون بعد خمسة وعشرين قـــرنا تعاقبـــت فـــيها قوى البغي والاستعمار على حكم مصر منذ الأسرة الفرعونية السادســـة والعشـــرين، كمـــا أدرك الإيرانيون أن ثورة يوليو يحكمها الميراث الثقافي المصري الذي جمع بين الفرعونية والقبطية والإسلام.

لقد اعتبرت الثورة الإيرانية نجاح عبد الناصر في إيقاظ شعوب الشرق بموقفه المترصد للغرب أمرا يدخل في إطار مقاومة الشرق لتراكم القهر الاستعماري الغربي عليه ونهبه لثرواته، واستشف الإيرانيون من فلسفة الثورة المصرية أن مركز الدائرة الإســـلامية في فكر الناصرية ليس مركز الدائرة العربية بل هي مكملة لها في مقاومة الاســـتعمار الغربـــي وحماتـــه، وأنه قد تعمق في وجدان الناصرية وعيها منذ البداية بالدائرتيـــن العربـــية والإسلامية، وأن انضمام عبد الناصر وزملائه إلى حزب مصر الفـــتاة القومي واتصالهم بحزب الإخوان المسلمين الإسلامي خلال فترة دراستهم يدل علـــى هذا الأمر، وأن البعد الإسلامي للناصرية قد أصبح داعما للبعد القومي العربي بتوجهاته المدنية مما أضفى على الكفاح الثوري المحتوى الثقافي الشرقي بكل أبعاده،

واستشــف الإيرانــيون أيضا أن الناصرية اعتبرت حروب تحتمس الثالث ورمسيس الثانــي وصلاح الدين في حطين وقطز والظاهر بيبرس في عين جالوت ثورة للشرق ضد ظلم الغرب، كما اعتبر الإيرانيون أن مؤتمر باندونج الذي كان الزعيم جمال عبد الناصــر رئــيس لجنة تدوين ميثاقه تجمعا شرقيا متحضرا ضم تسعا وعشرين دولة أفريقــية وأسيوية عانت من ويلات الغرب، وقد اعتبرت الثورة الإيرانية هذا المفهوم الكفاحي أمرا مشتركا بين الثورة والناصرية، كما اعتبرت الثورة الإيرانية جمال عبد الناصــر زعــيما عظيما للعالم الثالث ورائدا لعدم الانحياز ومدافعا عن حقوق شعوب الشرق وعاملا على استقلال الشمال الأفريقي وساعيا لحصول الشعب الفلسطيني على حقوقــه، بل اعتبرته المسيح المجنون الذي ينشر دعوته مع حوارييه في أرجاء العالم المستضــعف، وأن صــيحته "ارفع رأسك يا أخي" في وجه الغرب تتماثل مع صيحة المســيح فــي وجه الرومان واليهود وأنها قد عبرت الحدود إلى أبعد نقاط قارتي آسيا وأفريقــيا، وهــو مــا يــتجاوب مع اتجاه الثورة الإيرانية لتصدير الثورة في المنطقة والعالم.

كما تؤكد الثورة الإيرانية أنه بالرغم من أن عبد الناصر ورفاقه كانوا يديرون أعمـــالهم من القصور، إلا أنهم لم يعيشوا فيها عيش الملوك أو الفراعنة وإن كان عبد الناصــر قد مات مثل الفراعنة بدليل ما شهدته مصر من أمواج بشرية تملأ الشوارع والميادــن تهدر مثل النيل في صوت واحد لا إله إلا الله عبد الناصر حبيب الله، وهو مـــا لم يحدث في مصر إلا عند تنحيه وخروج الجماهير المعارضة لهذا التنحي، وهو ما يتناغم مع قيام الثورة الإيرانية بالعمل على تواجد الجماهير في الساحة وتنظيمهم.

لــم يقل تقدير الثورة الإيرانية للناصرية مع نكسة يونيو عام ١٩٦٧م لإيمانها بــأن الغــرب يترصد الثورات الشعبية في العالم الإسلامي ويحشد إمكاناته لإفشالها، حيــث يــدرك الإيرانــيون أن الناصرية في تألقها على الساحة العربية التي كان عبد الناصــر فارسها طوال ثمانية عشر عاما لا يمكن فهمها من خلال حدث ضمن سلسلة أحــداث مــرت بهــا فــي انتصاراتها أو انكسارها وإنما من خلال معرفة الشخصية الحضـــارية لمصــر والتي كانت بوتقة صهرت كافة الحضارات التي تعرضت لغزو

أصـــحابها مـــثل اليونانـــية الهيلينـــية والرومانية البيزنطية وحتى الفارسية الأكمينية والساســـانية، والتـــي قبلـــت المســـيحية من خلال فكرها القبطي وأسست لها كنيستها القبطـــية، كما قبلت الإسلام بروح ثقافتها المنفتحة فكان إسلامها الوسط ومحبة شعبها لأهل البيت، وترحيبه بفكر الإصلاح لجمال الدين الأفغاني، تلك الشخصية الحضارية التـــي تمثلتها الناصرية اجتهدت في أن تلعب دور الموحد كما فعل الفراعنة والبطالسة والزعماء المسلمين من الفاطميين إلى محمد علي باشا، وأن استراتيجيتها في التحرير بأبعادهـــا العربية والإسلامية والأفريقية ناتجة عن إيمانها بالتاريخ الوسيط والمعاصر الـــذي يرفض النظرة الضيقة للحرية في إطارها الإقليمي العربي أو الإسلامي، وهو الدور الذي تسعى الثورة الإيرانية للقيام به.

وتـــرى الثورة الإيرانية أن الناصرية كانت دائما عدوا للديمقراطية الليبرالية من ناحية وللماركسية من ناحية أخرى، حيث لم تكن الليبرالية والماركسية هما محور البنية الفكرية للناصرية كما كانت محور البنية الفكرية الغربية التي لم يكن عبد الناصر يلقـــي بالا لها حتى أنه لم يزر طوال فترة حكمه دولة غربية كبرى، فكانت برجماتيته الحديثة على أساس أيديولوجية إسلامية، وأن الناصرية قد حققت إنجازين واضحين في العمل السياسي هما تصفية الشيوعية بعد تصفية الديمقراطية الليبرالية، وأعادت تقاليد الحكـــم البيروقراطـــي المصري الذي تشكل خلال سبعين قرنا واتسم بالوحدة، وحدة الوطن ووحدة المجتمع ووحدة الفكر والعمل ووحدة الحكم ووحدة الدين والفلسفة فكانت مصر أقدم الأمم الموحدة، وكان طابع الأمن والنظام يسود نظام حكمها، وإن كان عبد الناصـــر قـــد مثل هذه التقاليد إلا أنه لم يستخدم السلطة لمصلحته الشخصية ولم يمنح الـــتاج والعرش والثراء لأسرته فكان يعيش في بيت متواضع مع أسرته، وهو ما فعله آية الله الخميني زعيم الثورة الإيرانية وما يفعله خلفاؤه.

تلـــك العناصر التي استشفها الإيرانيون من أسس الناصرية يعتبرونها أساسا للتقارب بين فكر الثورة الإسلامية في إيران وفكر الناصرية في مصر ومدخلا للتفاهم بين الإيرانيين والمصريين في إطار مواجهة التحدي الغربي الذي يتكالب على محاولة قهر الروح الشرقية والثورات التي تمثلها.

إن القضـــية الهامة التي تشغل حيزا في أيديولوجية الثورة الإيرانية والتي تحتاج فيها إلـــى الـــتعاون الثقافي العربي الإيراني هي قضية بناء الثقافة الإسلامية الحديثة التي تـــتواءم مع أصالة الثقافة الإسلامية العريقة التي بناها الأجداد من العرب والإيرانيين، وتواكـــب الثقافة العالمية، والتي تعتبرها إيران قدر العرب وإيران في الوقت الراهن، ومـــن الواضـــح أن إعلان الرئيس سيد محمد خاتمي عن مشروعه لحوار الحضارات الذي يشكل مفارقة كبري في توجهات إيران تجاه العالم عما كان عليه الحال قبل ذلك، يمكن أن يكون أحد الوسائل الفعالة في طرح إيران ثقافة إسلامية حديثة.



تطورات الأوضاع السياسية

مقدمة :

لاشــك أن نجاح حجة الإسلام والمسلمين سيد محمد خاتمي في الوصول إلى رئاسة الجمهورية الإسلامية في إيران وإعلانه زعيما للإصلاحيين يمثل بداية مرحلة جديــدة مــن تــاريخ نظام الجمهورية الإسلامية لأنه فتح المجال أمام دعوات التغيير وتطويــر الــنظام وإصلاح سلبياته، والخروج من العزلة وإنهاء الأزمة الاقتصادية، وأدى إلــى ظهــور تكتل الإصلاحيين من الشباب في مواجهة المحافظين الذين يمثل أغلــبهم الحــرس القديــم للثورة والنظام، ولم يتوقف تأثير نجاح خاتمي عند المجال السياسي بل تعداه إلى المجالات الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد صور البعض خاتمي بأنه جورباتشوف إيران باعتبار أنه يمزج بين إيمانه بولاية الفقيه وحق الجماهير التي انتخبته في توجيه النظام إلا أنهم يؤكدون على قدرته على تجاوز أخطاء جورباتشــوف بحيــث يعمل على إبقاء النظام مع إصلاحه، مما يوصل الحكومة إلى مرحلة النضج السياسي، ويخرج بالنظام من تقوقعه إلى مستوي الظروف التي تواجهه والأوضاع التي تكتنف المنطقة والعالم، وهكذا يبدو عصر خاتمي من هذه الزاوية في نظــر هــؤلاء رمادي اللون فلا هو بالأسود ولا هو بالأبيض فقد قدم ثورة من النوع الواقعــي تطالب بالحقوق المنسية من خلال الطرق القانونية المشروعة أي أنه يحافظ علي النظام مع جلب تعاطفه وتوافقه مع الشعب أي مع المالك الحقيقي للبيت[٢٢].

---

[22]- سيد مرتضي نقوي : من خاتمي ؟ صحيفة آزادگان بتاريخ ١٣/١/٢٠٠٠م.

لقــد كــان الاستقلال، الحرية، والجمهورية الإسلامية شعارات ثلاثة رفعتها الــثورة الإســلامية فــي إيــران منذ فجر قيامها وأقسم الثوار علي تحقيقها ومازالوا يــرفعونها حــتى الآن محاوليــن الحفــاظ عليها بعد أن اتخذت أبعادا جديدة في ظل المتغــيرات التــي اكتنفت مسيرة الثورة، وأصبح الجيل الثاني للثورة يختلف اليوم مع جيلها الأول على معنى هذه الشعارات وأبعادها في ظل مسيرة التطور والإصلاح إزاء تــنوع اتجاهــات الجماعــات السياسية المتعددة التي ظهرت علي الساحة والتي تمثل طوائــف مــتفاوتة فــي السن والعرق والثقافة والهوية السياسية، يمثل الشباب أغلب خلاياها، فمن ولد عشية نجاح الثورة قد بلغ سن الرشد الآن ومن كان في الثانية عشرة قــد صــار متوسط العمر، كما تغيرت ظروف الحياة وأسلوب المعيشة بين الطبقات الاجتماعية المختلفة وكبرت المدن وتحولت بعض القري إلى مدن وأنشئت محافظتان جديدتــان وفتحــت آفاق جديدة وتولدت احتياجات جديدة، فكان على خاتمي أن يخرج الــثورة الإســلامية مــن مذكرات التاريخ ومن ضمائر جيل أو جيلين ويربطها بحياة الجماهــير المعاصــرة التي تعيش ظروفا مختلفة حتي لاتزيد شقة الخلاف بين الجيل الجديد وجيل الثورة، يقول هاشمي رفسنجاني:" لقد حدثت تحولات اجتماعية كبيرة أبعد مــن الحركة الطلابية، عندما كنت أزور القري في فترة رئاستي كان الناس يطالبون بالمــاء والخــبز وكــان الشــباب يطالبون بفرص عمل أما الآن فإنهم يطالبون بقناة تليفزيونــية ثالثة ، يطالبون بالجامعات، أصبح في القرية متعلمون ومثقفون من أبناء الفلاحين وتصلهم الصحف وكل القضايا واضحة لهم، يناقشون قضية المحاكم الخاصة وغيرها.[٢٣]" ويقول خاتمي:" إن الفكر والرؤية التفصيلية هي إحدى المشكلات الكبيرة للنظام الإداري للبلاد، لابد من الاهتمام بمطالب الجيل الجديد والسعي لتلبية احتياجاته بشــكل صــحيح وعملي، إن الحرية والقيادة الشعبية والمشاركة الجماهيرية والمجتمع المدني مطالب لها جذور في الثورة ومدونة في الدستور ولن تتحقق إلا بالاعتماد على

[23]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/١/٩م.

مباني وأسس الهوية القومية والدين والأخلاق، لقد بدأت الثورة الإسلامية مرحلة جديدة من حياتها الاجتماعية[٢٤]".

ربمـــا يحاول المحافظون التمسك بأصالة شعارات الثورة من خلال المحافظة علـــى إطارهـــا العام وما حققته من إنجازات في مجالات العمل المختلفة من سياسي واجتماعي واقتصادي بغض النظر عن ثقلها وقيمتها الحقيقية في حياة الناس ودون أن تـــتحول إلـــى مجـــرد رمـــوز تتفاوت مع مايرصد تحتها من أعمال، في حين يسعى الإصلاحيون إلى تطوير هذه الشعارات لتعبر عن متطلبات المرحلة الجديدة التي تمر بهـــا إيـــران، وهذا التطوير الذي عبروا عنه بالإصلاح يقتضي إدخال عناصر جديدة إلـــيها، إضـــافة إلـــى تغيـــير بعض المفاهيم التي علقت بها نتيجة بعض الممارسات الخاطـــئة، فضـــلا عـــن إصلاح هذه الأخطاء، وكذلك إعادة النظر في بعض المسائل والقـــيم والأهداف، يقول الزعيم خامنئي:" إذا كانت القوى الثورية تريد أن تخرج من التحجر وتبعد اليأس عن المجتمع فلابد أن تتحرك إلى الأمام وإلى التقدم والتجديد على أساس قيم الثورة، وهو ما أسميته بالإصلاحات الثورية، ومن الطبيعي أن تعطي بعض الجماعـــات السياســـية أولوية لبعض القيم على قيم أخرى ولكن من الأفضل أن يكون الاهـــتمام مـــتوجها لكـــل الأبعاد، ويمكن للجماعات أن تكمل بعضها البعض في هذا الإطـــار وأن تقبل كل منها الأخرى وتتحملها، المهم أن تكون حركة الجميع في إطار القيم الإسلامية حتى يستفيد المجتمع وتصل الثورة إلي أهدافها[٢٥]".

ظهور الحركة الإصلاحية :

رغـــم أن مصطلح الإصلاحيين لم يكن متداولا بين النخبة حتي انتهاء الحرب مع العراق إلا أن رموز حركة الإصلاح يؤكدون أصالة المصطلح، يقول حجة الإسلام ســـيد محمـــد أبطحي مدير مكتب رئيس الجمهورية:" إن الثورة الإسلامية أكبر حركة إصلاحية في تاريخ إيران فالثورة الإسلامية كانت حركة إصلاحية في مواجهة النظام الاستبدادي وكان شخص الإمام الخميني أكبر إصلاحي في المجتمع وكان يسعى دائما

[24]- صحيفة ايران بتاريخ ٢٠٠١/٤/٣٠م.

[25]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠١/٥/١٤م..

إلــى تجديد محتوى الثورة ليتناسب مع احتياجات الجماهير لذلك فإن حركة الإصلاح حركة من قلب الثورة وليس الإصلاح بمعني التوبة أو الندم على ماضي الثورة بل إن الإصـــلاح بمعـــنى النمو والحركة في اتجاه تسامي الثورة ويجب أن يتناسب مع تلبية احتياجاتها"[٢٦] .

يؤكد الإصلاحيون أن حركة الإصلاح تهدف إلى إصلاح مفاهيم وبنى وقواعد الحــياة فــي إيــران الإسلامية ولذلك فإن قوى الإصلاح تريد مواجهة تغيير الدم في عــروق النظام ببنية أقوى ونشاط أوفر، وتحويل شعار الجمهورية الإسلامية إلى واقع مضــيئ للعقــل الوطنــي والــنظرة العالمية وإعادة تنظيم العلاقة بين النظام الديني والمجــتمع العالمــي بحيث يصبح الإصلاح استراتيجية قومية إسلامية، يقول الكاتب رســول أصـــغري:" أعتقد أن مقولة الإصلاح في إيران- بناء علي دلائل عديدة- قد تحولــت إلــى مقولة أيديولوجية، ومن أهم هذه الدلائل أن حركة الإصلاح ناشئة من تحديــد رؤيـــة واسعة لمعارضي المحافظين والوقوف علي نقاط الضعف البارزة في أسلوبهم وأهدافهم وفكرهم ، كما أن مشروع الإصلاحيين في إيران يبدو أكثر في دور مقولـــة انفعالـــية وسلبية أمام مقولة ثورية ليس مطعونا عليها[٢٧]." ومن هذه المنطلقات بـــدت حـــركة الإصـــلاحيين أكثر وعيا من حركة المحافظين حيث نجحت في وضع تصور لمطالب الجماهير ورغبتهم في التغيير مع إدراك ظروف المجتمع كما استفادت مـــن أخطـــاء حـــركة المحافظين وممارساتهم فنقدتها نقدا موضوعيا كشف عن مدى خطـــرها علي المجتمع والثورة والنظام، وأكثرت من إصدار الصحف واستثمرتها في هـــذا المجال، وقدمت نفسها كوسيلة ربط وتفاهم بين الجماهير والنظام، يقول عطاءالله مهاجراني:" إننا لاينبغي أن نتخذ مواقف انفرادية أو سلطوية لأن من الطبيعي في هذه الحالـــة أن لا نتمكـــن مـــن الحصـــول علـــي الأغلبية الضرورية، سوف نفقد الحجم

---

[26]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٢/٢/٢٠٠٠م

[27]- صحيفة عصر آزادكان بتاريخ ١٠/١/٢٠٠٠م

الاجتماعي اللازم للحصول على الأغلبية إذا قمنا بإبعاد المعارضين أو تحطيمهم ولكن إذا نقدنا كلام المعارضين باحترام سوف نكون متفائلين بالحصول علي الأغلبية[٢٨]".

وبغض النظر عن الشعارات التي رفعها الإصلاحيون ومدى جديتها فقد استفادوا بشكل جيد من نفس العناصر التي ساهمت في نجاح الرئيس خاتمي وأهمها الشباب والنساء فضلا عن أسلوب الدعاية المبتكر وحسن اختيار الرموز التي تمثل شباب النظام والتي خاضت انتخابات مجلس الشورى الإسلامي الأخيرة على رأس قائمة الإصلاحيين من الجنسين، وقد أثبتت نتائج الانتخابات قيمة هذا الأسلوب وفعاليته، يقول المحلل السياسي ناصر بيران:" إن الذي أدى إلى أن يصبح تكتل الثاني من خرداد موجا فكريا مواجا في نسيج المجتمع وتاريخ إيران والعالم هو أن كوادره يمؤسسون الأفكار والتعاليم فهم من ناحية يعرضون توجهات عملية لإصلاح البنية التقنينية والرقابية للمجلس في كافة المجالات القضائية والثقافية والسياسية والأمنية والاقتصادية، وهم من ناحية أخرى يحطمون الحواجز الموجودة والتقليدية بين مؤسسة التقنين وبين التجمعات الشعبية[٢٩]." ويقول سيد رضا خاتمي رئيس جبهة المشاركة:" إن الأولوية الأساسية لهذه الجبهة هي تعميق التنمية السياسية إلى جانب التنمية الاقتصادية والثقافية وسوف نقوم في المجلس بإلغاء القوانين التي تحول دون حرية الإعلام" ويقول محسن صفايي فراهاني رئيس اللجنة التنفيذية لجبهة المشاركة :" إن أهم أولويات هذه الجبهة تشكيل تكتلات إصلاحية [٣٠]." ويقول عليرضا نوري أمين جبهة الثاني من خرداد :"إن مفهوم من معنا ومن علينا ليس له أية قاعدة قانونية وأنا أعتقد أن جميع الإيرانيين في جميع أنحاء العالم عليهم أن يضعوا أيديهم في أيدي بعضهم وأن يجتهدوا في تنمية هذه البلاد وأن يتجاوزوا حتى مفهوم القومية، إن الخط الأحمر عندي هو الدستور ومادام هذا الدستور لم يتغير فينبغي أن يكون هو الإطار المشترك لجميع أنشطة المواطنين وإلى جانب هذا الموقف فأنا أعتقد أن أهم مسألة فضلا عن

28- صحيفة همشهري بتاريخ ١٩٩٩/١٢/٢٨م

29- صحيفة اطلاعات بين المللي بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٦م

30- صحيفة اخبار ايران بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٣م

الدستور هي أنه ينبغي أن يفكر الجميع في الحفاظ على المصالح الوطنية التي تلاحظ بشكل ما في الدستور[٣١]."

الانقلاب البرلماني :

من الواضح أن الصراع الذي بدأ في عهد خاتمي بين اليمين المحافظ واليسار الإصـــلاحي ليس صراعا بين فريقين يتنافسان على الحكم والإدارة، بل إن الأمر في حقيقـــته أبعد من ذلك لأن تولي علماء الدين المناصب الكبيرة في الدولة لايعني زيادة المكاسب الدينية والمعنوية بل ربما يعني نقصها ، والعكس بالعكس ، فالخروج من هذه المناصـــب لايعني خسارة مادية أو معنوية بل لعله يعني مكاسب أكبر، وإذا أردنا أن نعـــرف حقيقة الصراع بين المحافظين والإصلاحيين ينبغي أن ندرك أن علماء الدين يحكمـــون بطريقة نظام الحوزة العلمية الدينية أي أنهم يرتبون المسؤوليات والوظائف حســـب هـــذا النظام[٣٢]، وينسحب هذا أيضا على كبار المسئولين من غير علماء الدين فليس غريبا أن ينتقل وزير إلى وظيفة أقل كأن يكون مديرا لهيئة تابعة لوزارة أخرى، كمـــا حـــدث لأكـــبر تركان وزير الدفاع ودعم القوات المسلحة ووزير النقل والطرق السابق فلم يكن تعيينه في وظيفة رئيس هيئة دعم الصادرات عقابا له، وأصبح عباس علي زالي وزير الزراعة السابق رئيسا لمركز الإحصاء العام، كما أصبح هادي نجاد حسينيان مندوبا لإيران لدى منظمة الأمم المتحدة بعد أن كان وزيرا للصناعات الثقيلة، وقـــد صار محمد نعمت زاده مديرا لهيئة الاستثمار بعد أن كان وزيرا للصناعة، وقد صار يحي آل اسحاق وزير التجارة السابق نائبا لرئيس مؤسسة المستضعفين، وصار عطـــاء الله مهاجرانـــي وزيرا للثقافة والإرشاد الإسلامي بعد أن كان مساعدا للرئيس للشئون القانونية والبرلمانية، وكذلك حدث لحجة الإسلام والمسلمين عبدالواحد موسوي لاري حيـــث أصـــبح وزيـــرا للداخلـــية بعد أن كان مساعدا للرئيس للشئون القانونية والبرلمانـــية، فالمكسب والخسارة ليس متعلقا بالوجود في المناصب الكبيرة، ومن هذا

---

[31]- صحيفة همشهري بتاريخ ١٣/١/٢٠٠٠م

[32]- لمزيد من المعلومات حول هذه المسألة يمكن الرجوع إلي كتاب إيران وآفاق المستقبل للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن : فصل المؤسسة الدينية في إيران طبع القاهرة ١٩٩٦م

المنطلق نزل آية الله علي أكبر هاشمي رفسنجاني ساحة الانتخابات التشريعية ليكون عضوا في مجلس الشورى الإسلامي تاركا منصب رئيس مجمع تحديد مصلحة النظام الذي يرأس رئيس السلطة التشريعية، كما سبق أن ترك باختياره منصب نائب القائد الأعلى لكل القوى.

لقد دلت الأحداث التي اكتنفت الساحة السياسية مع الاستعداد لخوض الانتخابات البرلمانية على التحول المتوقع الذي أسماه علي أصغر ناطق نوري رئيس مجلس الشورى الإسلامي السابق "انقلابا" وقد أراد من هذا التعبير مهاجمة الإصلاحيين ومحاولة فضح تدبيرهم للسيطرة على مجلس الشورى الإسلامي تمهيدا لإدخال التغييرات التي يريدونها والتي تشبه الانقلاب علي النظام ، وقد أدى هذا التصريح إلى تعرض ناطق نوري لهجوم من جانب كثير من الشخصيات ونفيهم أن يكون هناك تفكير في انقلاب، يقول محسن رضائي أمين مجمع تحديد مصلحة النظام وقائد جيش حراس الثورة السابق والذي استقال من منصبه لكي يرشح نفسه في انتخابات مجلس الشورى:" إن المجلس القادم ليس انقلابا ضد النظام، وسوف يشرع جميع قوانينه وفق الدستور، وليس هناك معنى لانقلاب برلماني في بلد يجتهد فيه زعيم وحكومة خادمة للشعب بهذا الشكل، إن مثل هذا التصور غير ممكن وإن هذا الاصطلاح ليس في محله [٣٣]." وقالت صحيفة آزاد في مقال لها تحت عنوان:" الانقلاب البرلماني سيناريو آخر لتأزيم الانتخابات ": إن حديث ناطق نوري الأخير في ندوة علماء الدين وأئمة الجمعة والجماعات في غرب طهران قد أثار اعتراض أكثر أعضاء المجلس واعتبره الكثيرون إهانة لهم وللمواقف الحاسمة، خاصة والانتخابات علي الأبواب.[٣٤]" وقد أرجع مهدي كروبي زعيم اليسار الإصلاحي تصريح ناطق نوري إلى خوف الجناح اليميني وإدراكه أنه فقد ثقة الرأي العام[٣٥]. وقال النائب البرلماني جعفر گلباز: لاينبغي استخدام كلمة انقلاب في أي موضع، فليس لدينا انقلاب

---

[33]- صحيفة اطلاعات بتاريخ ١٩٩٩/١٢/١٥م

[34]- صحيفة اطلاعات بتاريخ ١٩٩٩/١٢/١٣م

[35]- صحيفة ايران بتاريخ ١٩٩٩/١٢/١٣م

برلمانـــي، ومن المحتمل أن يكون ناطق نوري قد استخدم هذه الكلمة مجازا أو بحسن نـــية، كمـــا أكد نائب قوجان (قربانعلي قندهاري) أن إيران أرض الأحاسيس والفكر والوعي وليست أرض الانقلابات، وهذا النوع من التصريحات لا مجال له ويدل على خــوف وقلق، إن طرح كلمة انقلاب في بلد إسلامي وشعبي ليس مستحبا [٣٦]، ولعل ما أثار ناطق نوري وجعله يصرح بهذا هو ما أعلنه هاشمي رفسنجاني لصحيفة انتخاب من أنه سوف يرشح نفسه في الانتخابات البرلمانية[٣٧]، وهو ما أثار ضجة في المحافل السياســية وشغل المحللين السياسيين والرأي العام حيث أن هذه الخطوة سوف تحدث ارتباكا شديدا في صفوف الجماعات السياسية حيال الموقف الذي يمكن أن تتخذه تجاهه سواء بالترحيب أو المعارضة باعتباره شخصية محورية في النظام ووضعه على قائمة يــزيد من ثقلها خاصة قوائم المحافظين مما يجعل فرص الإصلاحيين في الفوز عليهم تتضاءل، والعكس بالعكس، كما أن نجاحه سوف يفرض بالضرورة تغييرا في سياسات الجماعات السياسية لأنه رغم كونه محسوبا على المحافظين فهو إصلاحي في منهجه وإذا تحالف مع الإصلاحيين فهو لن ينسى تطلع المحافظين إليه خاصة وأنه على رأس القائمة التي سوف يخلف أحدها زعيم الثورة[٣٨]، بل إن تطور الأمور قد أدى إلى تدبير مؤامــرة لاغتــياله واغتــيال خاتمــي أيضـــا كشفتها وزارة المعلومات[٣٩]، مما جعل رفســنجاني يتــنازل عن مقعده في المجلس بعد نجاحه في الانتخابات خوفا من تفاقم الموقف[٤٠].

قضايا المنافسة الانتخابية :

لقــد تزامـــن مـــع قضـــية ترشيح رفسنجاني نفسه لعضوية مجلس الشورى الإســـلامي قضايا أخرى تفجرت في إطار الاستعداد للانتخابات البرلمانية، منها قضية حجــة الإسلام والمسلمين عبدالله نوري وزير الداخلية السابق ورئيس تحرير صحيفة

36- صحيفة ايران بتاريخ ١٣/١٢/١٩٩٩م

37- صحيفة همشهري بتاريخ ١٦/١٢/٢٠٠٠م.

38- صحيفة امروز بتاريخ ١٤/٢/٢٠٠٠م.

39- صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٢/٤/٢٠٠٠م

40- الحديث عن تفصيلات هذا الموقف سوف يأتي لاحقاً.

"خرداد" المحظورة التي أعيد إصدارها تحت اسم "فتح" الذي أدين بتهمة إهانة الإسلام وإهانـــة الزعيم الخميني وعوقب بالحبس خمس سنوات مع تغريمه ١٥ مليون ريال، وعبدالله نوري ليس شخصا عاديا فهو من علماء الدين الإصلاحيين النشطين، ويعتبر أحـــد أعمدة النظام حيث شارك في الجهاد مع تلامذة الخميني وعمل بعد نجاح الثورة فـــي هيئة جهاد التعمير وصار ممثل الزعيم الخميني فيها (٨١/١٩٩٨م) وصار ممثل الزعـــيم الخمينـــي في هيئة الإذاعة والتليفزيون، ثم ممثلا له في جيش حراس الثورة الإسلامية (٨٨/١٩٩٨م) وعينه الخميني عضوا بلجنة تغيير الدستور ١٩٨٩م، وعمل وزيـــرا للداخلـــية (٨٩/١٩٩٣م) وصـــار عضـــوا في المجلس الأعلى للأمن القومي وعضـــوا في اللجنة الإدارية العليا وعضوا في المجلس الأعلى للشباب وممثلا لرئيس الجمهوريـــة بكامل الصلاحيات في مناطق الزلازل بمحافظة گيلان، وعين عضوا في مجمع تحديد مصلحة النظام، وانتخب رئيسا للجنة التخطيط والميزانية بمجلس الشورى الإســـلامي ورئيسا لتجمع خط الإمام بالمجلس ومنافسا على رئاسة المجلس، ثم وزيرا للداخلـــية فـــي حكومـــة خاتمي، ثم استقال من الحكومة إزاء ضغط المحافظين عليه لنزعته التقدمية وأسس صحيفة خرداد وهو الاسم الذي يشير إلى انتفاضة علماء الدين ضـــد نظـــام الشاه وهو أيضا اسم الشهر الذي انتخب فيه خاتمي كزعيم للإصلاحيين رئيسا للجمهورية، وقد أصر علي ترشيح نفسه في الانتخابات رغم ضغوط المحافظين لمـــنعه[41]، وقد صرح محسن رهامي محامي نوري بأن الحكم ضد عبدالله نوري ليس نهائيا ولايسلبه الحق في ترشيح نفسه استنادا إلى تصريح كل من قاضي محكمة علماء الديـــن الخاصـــة ووزير الداخلية[42]، ولاشك أن المقالات التي كتبها نوري في الآونة الأخـــيرة هي التي جرت عليه هذه المتاعب، والتي اعتبرها المحافظون خروجا على مـــبادئ النظام، لكنه دافع عن هذه المقالات في حديثه لقناة الجزيرة القطرية مؤكدا أنه لم يخرج عن مبادئ الإسلام بدليل أنه يستشهد في آرائه التقدمية بأقوال وأعمال الإمام علـــي بن أبي طالب، وأن مرشده في كتاباته هو كتاب نهج البلاغة للإمام علي، وأنه

41- صحيفة كيهان بتاريخ ١٩٩٩/١٢/١٥م.

42- صحيفة اطلاعات بتاريخ ١٩٩٩/١٢/١٥م

لايعترف بهذه المحكمة ولايعتبرها دستورية ولكنه يمثل أمامها لكي يقول كلمته ويعلن رأيـــه من فوق منبرها حتى يعرفه الجميع دون تحريف وسيترك الحكم للرأي العام[43]، وبذلـــك يكـــون عبدالله نوري قد أثار قضية فقهية أساسية بخروجه على الفقه التقليدي الشيعي ورفضه محكمة علماء الدين الخاصة باعتبارها محكمة غير دستورية لأن هذا في حقيقته رفض لإجراء لايقره مذهب الشيعة ولاعلماؤه، فإذا كان رئيس المحكمة قد برر دستوريتها بأن الولي الفقيه هو الذي أمر بإقامتها والدستور يعطيه هذه الصلاحية فـــإن عـــبدالله نوري لم يقصد الدستورية من هذه الناحية باعتبارها دستورية شكلية بل كـــان يريد الاحتكام إلى النظام الشيعي نفسه حيث لم يرد في تاريخ الشيعة كله أن أقام أحد علماء الدين – ولو كان مرجعا – محاكمة لعالم دين آخر، لا في العهد الأول ولا في عهد الدولة الصفوية ولاحتى في عهد الإمام الخميني، حقيقة أن الخميني هدد علماء الدين الذين يريدون الخروج علي النظام أو الذين يريدون التخلي عن العباءة والعمامة لمصـــلحة دنيوية بطردهم من الحوزة الدينية وجلدهم إذا اقتضى الأمر ولكنه ظل حتى آخـــر وقـــت يقارعهم الحجة بالحجة على الملأ، كما فعل مع آية الله طباطبائي قمي، وكـــان أقصى مافعله هو إبعادهم عن الساحة السياسية وإلزامهم بالاقتصار على مقعد الـــدرس فـــي حوزاتهـــم أومنازلهم كما فعل مع آية الله حسين علي منتظري، وكان يسترضـــيهم أحـــيانا كما فعل مع آية الله علي گلبايگاني ، وإذا فعدم دستورية محكمة علمـــاء الديـــن يرجع إلى كونها سابقة خطيرة في تاريخ الشيعة تشبه محاكم التفتيش المســـيحية في العصور الوسطى وعودة بالإسلام إلى عصور الظلام، وهو أمر لايدين المحكمة فقط بل يدين من أمر بإقامتها ويدين من أسهموا فيها وأقروا أحكامها، ومن ثم فـــإن موقـــف عبدالله نوري يمثل انقلابا سلميا على قادة النظام، خاصة مع وجود دعم شـــعبي له فضـــلا عـــن دعـــم شباب الحوزة الدينية الذين تشربوا أفكاره الإصلاحية ويتطلعون إلى تطوير الحوزة.

وفي إطار المعركة الانتخابية بين المحافظين والإصلاحيين نجح الإصلاحيون في معالجة أزمة الصدام بين طلاب جامعة طهران والشرطة، حيث قام طلاب جامعة

43- صحيفة كيهان بتاريخ ١٩٩٩/١١/٢م.

طهران بمظاهرات حاشدة اعتراضا على بعض ممارسات القيادات الإدارية والسياسية التـــي تحـــد مـــن حـــرية الطلاب في التعبير عن أنفسهم ومطالبهم، وقد امتدت هذه المظاهرات إلى الجامعات الأخرى، وتشكلت قيادات طلابية جعلت من المدينة الجامعية فـــي طهران مقرا لها، وبلغ الأمر ذروته عندما قام الطلاب بالتحصن والاعتصام في المدينة الجامعية مما اضطر قوات الأمن لمهاجمتها والاشتباك مع الطلاب المعتصمين وقد أدى هذا إلى مقتل أحد الطلاب وإصابة العشرات، وقد أدانت القيادات الإصلاحية هـــذا العمـــل وقـــام الرئيس خاتمي بعزل قيادات الأمن وتقديمهم إلى المحاكمة ووعد الطـــلاب بتحقيق مطالبهم ومعاقبة المسيئين، وقد شملت المحاكمة عشرين شخصا من القيادات على رأسهم العميد "حراس" فرهاد نظري قائد قوات الأمن في طهران ونائبه العميد جمشيد خدابخشي قائد الوحدة الخاصة للحراس (ناجا)، والعقيد فرهاد ارجمندي قـــائد القـــوات "نوپـــو" الضاربة الخاصة ونائبه النقيب رامين نظري[44]، وتدل وقائع المحاكمـــة مدى نجاح الإصلاحيين في تغيير مناخ الحرية في إيران واتساع رقعته في عهـــد خاتمـــي حيـــث وصل الأمر بالدكتور محسن رهامي محامي الطلاب أن يقوم بمواجهـــة فـــي المحكمة تمس كبار المسؤولين في النظام عندما سأل العميد نظري إذا ماكـــان قـــد أصـــدر بنفسه أمر اقتحام المدينة الجامعية أم تلقاه من سلطة أعلى، وأن الاقتحام كان معدا مسبقا وكان ينتظر حجة لتنفيذه وأنه قد حدث تعاون واضح منسق له بين القوات النظامية وقوات غير نظامية، وأن هذا الاقتحام من الأسباب التي تؤدي إلى ســـوء الظـــن بالـــنظام والجمهورية الإسلامية في الداخل والخارج خاصة وأن بعض الطلاب المتضررين قد دافعوا عن الوطن واشتركوا في استرداد أراضيه من المعتدي العراقي خلال الحرب وهم في سن الثالثة عشرة، فضلا عن أن بعض المعتدى عليهم كـــانوا مـــن الطـــلاب الأجانب من آذربيجان وتانزانيا وباكستان وقزاقستان ونيجيريا والجابون والمغرب والأردن والهند وهم المفروض أن يقدموا صورة طيبة عن إيران الثورة تسهم في تصدير الثورة الإسلامية، ثم وجه سؤاله للمتهمين قائلا: هل من قمتم بقتلهم أو ضربهم أو إيذائهم متآمرون ضد النظام أو مجرمون؟ وقد أعلن أحد الطلاب

[44]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢/٣/٢٠٠٠م.

المصـــابين ويدعـــى علـــي نوروزي للقاضي في المحكمة أن الطلاب لم يتمكنوا من الشـــكوى لأحـــد المسؤولين حتى في لقائهم مع الزعيم لم يمكنونا من الحديث وتحدث شـــخص بـــدلا منا، وقد اضطر حجة الإسلام سيد أحمد طباطبائي القاضي الذي نظر القضـــية إلـــى مطالبة الصحفيين بعدم إلقاء الكثير من الضوء على هذه المحاكمة وأن تكـــون تغطيتهم لوقائعها خالية من التلميحات السياسية حتى لاتتأثر مجريات المحاكمة بالمؤثرات السياسية، في الوقت الذي لم تخصص المحكمة للصحفيين أكثر من مقعدين داخـــل القاعة[٤٥]، ومع تطور مجريات المحاكمة طالب محسن رهامي محامي الطلاب القاضي بجعل جلسات المحاكمة سرية حتى يمكن كشف الستار عن عناصر تنتمي إلى جماعـــات سياســـية تجمعت في معسكر الغدير بملابس عادية وقامت بتوزيع السلاح وحركـــت الأمـــور في اتجاه إضعاف حكومة خاتمي، وكذلك إزاحة الستار عن شبهة اســـتقالة وزيـــر العلـــوم والتقنية والتعليم العالي ورئيس جامعة طهران الذي أكد أن اســـتقالته بسبب عدم قدرته علي توفير الحماية للطلاب وليس لأن النظام يدعم حادث اقتحام المدينة الجامعية[٤٦].

ومـــن ناحية أخرى تخطي مهاجراني وزير الثقافة أزمة سحب الثقة منه في مجلـــس الشورى الإسلامي والتي كادت أن تعرضه للمحاكمة، وقد صرح للصحفيين عقـــب انتهاء جلسة استجواب غير علنية له في مجلس الشورى الإسلامي بأنه سيبقى فـــي الـــوزارة وأن الملـــف الذي أعدته هيئة الادعاء العام لم يصل إلى المحكمة لعدم اكـــتماله وهـــو يتعلق بكيفية سير الأمور في الوزارة وليس بشخصي وإذا استطاع أن يصـــل إلى المحكمة فسوف أدافع عن سير العمل في الوزارة وليس عن شخصي وأنا متفائل ومتأكد من أن الأمر لن يصل إلى القضاء[٤٧].

وقد نجح الإصلاحي مرتضي الويري في الحصول على رئاسة مجلس مدينة طهران خلفا لغلامحسين كرباسجي الذي أدين بالفساد، كما نجح الإصلاحيون في إفساد

45- صحيفة همشهري بتاريخ ٢/٣/٢٠٠٠م.

46- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٢/٥/٢٠٠٠م.

47- صحيفة همشهري بتاريخ ٩/١١/٢٠٠٠م.

محاولـــة تجديد مدة رئاسة آية الله يزدي للسلطة القضائية وتعيين رئيس محايد هو آية الله محمود هاشمي شاهرودي، وكذلك تولي وزير محايد وزارة المعلومات وهو علي يونســي، وتولي إصلاحي وزارة الداخلية وهو عبدالواحد موسوي لاري، فضلا عن زيادة شعبية الإصلاحيين بين الأوساط المؤثرة في الشعب الإيراني.

فـــي حيـــن نجح المحافظون في تحقيق عدة مكاسب أهمها: إدانة غلامحسين كرباسچي رئيس مدينة طهران الإصلاحي وسجنه خمس سنوات بتهمة الفساد والمحاباة وتـــبديد أمـــوال الشـــعب، الحصـــول على دعم من الزعيم خامنئي في مواجهة اتجاه الإصـــلاحيين نحـــو تطبيع العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أدى هذا إلى ارتفـــاع حـــرارة الشـــارع الإيرانـــي في الاحتفالات بذكرى احتلال الطلاب للسفارة الأمريكـــية فـــي طهـــران تأييدا للمحافظين، كما نجح المحافظون في استصدار أحكام بإغلاق عدد من صحف الإصلاحيين وإدانة عدد من رؤساء التحرير الإصلاحيين مثل ماشـــاء الله شمس الواعظين رئيس تحرير صحيفة امروز وحبسه ثلاث سنوات بتهمة بلـــبلة الرأي العام، فضلا عن عبدالله نوري رئيس تحرير صحيفة خرداد، إضافة إلى حث رفسنجاني على قيادة اليمين المحافظ في المرحلة القادمة باعتبار أن هذا ضروري لأن الساحة في حاجة إلى موجهين وشخصيات حسنة السمعة يثق فيها الناس[٤٨].

الانتخابات التشريعية :

أثـــارت الانـــتخابات التشريعية جدلا كبيرا في الأوساط السياسية والإعلامية داخـــل إيران وخارجها، سواء فيما يتعلق بعدد المرشحين أو إقبال الناخبين أو الكيفية التي دارت بها أو النتائج التي تمخضت عنها، فلقد قام ٦٨٥٨ شخصا بترشيح أنفسهم لعضوية مجلس الشورى الإسلامي الذي يبلغ عدد مقاعده ٢٩٠ مقعدا من خلال ٢٠٧ دائـــرة وقد استقر عدد المرشحين بعد التصفية عند ٥٧٢٨ مرشحا منهم ٤١٧ سيدة ، واشترك في هذه الانتخابات ست جماعات سياسية لكل منها قوائم انتخابية تشمل معظم الدوائر الانتخابية، وهذه الجماعات الست هي: جمعيت روحانيت مبارز (علماء الدين المناضلين – يمين محافظ)، مجمع روحانيون مبارز (مجمع علماء الدين المكافحين –

[48] - صحيفة ايران بتاريخ ١٣/١٢/١٩٩٩م

يســـار إسلامي تقدمي)، كاركزاران سازندكي (مسؤولو التعمير – إصلاحيون)، جبهه مشـــاركت (جـــبهة المشـــاركة – وسط إصلاحي)، سازمان مجاهدين انقلاب اسلامي (مـــنظمة مجاهدي الثورة الإسلامية – يسار إسلامي)، جمعيت مؤتلفه انقلاب اسلامي (جمعية مؤتلفة الثورة الإسلامية – يمين محافظ)، وأسفرت عملية الاقتراع التي جرت في ٢٩ بهمن ١٣٧٨هـــ.ش.(١٨/٢/٢٠٠٠م) واشترك فيها ٣٢ مليون ناخب من بين ٣٨/٧ مليونا لهم حق التصويت عن وصول ٢٢٥ مرشحا إلى عضوية المجلس وإعادة انتخاب ٦٥ مرشحا في ٥٢ دائرة، وقد أشارت النتائج النهائية للانتخابات إلى وصول ٢٧٩ مرشـــحا إلى عضوية المجلس بينهم إحدى عشرة امرأة ، و٩٤ عضوا أقل من سن الأربعين، ١٤١ عضوا بين سن الأربعين والخمسين، مما يعني وجود نسبة كبيرة مـــن الشباب إزاء متوسط العمر في إيران، كما قل عدد علماء الدين ٣٦ عضوا وهو أدنى عدد دخل البرلمان حتى الآن، وقد دخل المجلس أغلبية من الأعضاء الجدد ١٧٣ عضـــوا في حين كان عدد من سبق لهم عضوية المجلس ١٠٦ عضوا من بينهم ٧٠ عضوا شاركوا في الدورة السابقة، كما كان الاشتراك في العمل العسكري ضد أعداء الثورة والجمهورية سببا في نجاح ١٥٥ عضوا بنسبة ٥٦% من أعضاء المجلس، وقد نجـــح الإصـــلاحيون فـــي السيطرة على الهيئة المؤقتة لرئاسة المجلس، حيث اختار الأعضـــاء زعيم اليسار الإصلاحي مهدي كروبي رئيسا للمجلس، مجيد أنصاري نائبا أول، أبوالقاسم سرحدي زاده نائبا ثانيا، سهيلا جلودارزاده وناصر خالقي ومحمد قمي وعلـــي شكوري راد واسماعيل جبارزاده وجلالي زاده أعضاء في هيئة الرئاسة، سيد حسين هاشمي وسازكار نژاد أمينين عاميين للمجلس وكلهم من الإصلاحيين[٤٩]. ثم عاد الإصلاحيون فسيطروا على الهيئة الدائمة لرئاسة المجلس فتولى مهدي كروبي الرئاسة وصار كل من بهزاد نبوي ورضا خاتمي نوابا للرئيس[٥٠].

هكـــذا نجـــح الإصلاحيون في إيران في القيام بانقلاب برلماني ينهي سيطرة المحافظيـــن على مجلس الشوري الإسلامي، وبغض النظر عن الشعارات التي رفعها

---

[49]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٧-٢٨/٥/٢٠٠٠م

[50]- صحيفة همشهري بتاريخ ٣٠/٧/٢٠٠٠م.

الإصلاحيون ومدى جديتها فقد استفادوا بشكل جيد من نفس العناصر التي ساهمت في نجـاح الرئـيس خاتمـي وأهمها أصوات الشباب والنساء فضلا عن أسلوب الدعاية المبـتكر وحسن اختيار الرموز التي تمثل شباب النظام والتي خاضت الانتخابات علي رأس قائمـة الإصلاحيين من الجنسين بحيث شعر الناخب سواء كان شابا أو فتاة بأنه يعطـي صـوته لمـن يتمثل فيه نفسه، وقد أثبتت نتائج الانتخابات قيمة هذا الأسلوب وفعاليته، لقد اتحد الإصلاحيون الذين يشكلون ثماني عشرة جماعة في تكتل "الثاني من خـرداد"، وأهـم هـذه الجماعات "جبهة المشاركة" التي تضم جمعيتين رئيسيتين هما جمعـية أنصار خاتمي بقيادة أخيه سيد محمد رضا خاتمي وجبهة أحرار الفكر بقيادة عليرضـا نـوري نيابة عن أخيه حجة الإسلام عبدالله نوري المحكوم عليه بالسجن، إضـافة إلـى كوادر البناء بقيادة عطاء الله مهاجراني نيابة عن غلامحسين كرباسچي الممنوع من ممارسة السياسة، فضلا عن اليسار الإسلامي بقيادة مهدي كروبي رئيس جمعية روحانيون مبارز، مع عدد من الجمعيات الصغيرة نسبيا والجمعيات النسائية.

وإذا كانـت حركة الإصلاحيين قد نجحت في توجيه جماهير الشباب للالتفاف حولهـم ودعمهم في الانتخابات أمام تقاعس الشيوخ عن دعم المحافظين، فإن ظروف الإصـلاحيين داخـل المجلس اختلفت اختلافا كبيرا عن ظروفهم أثناء الانتخابات لأن القواعـد التـي تحكـم حركة أعضاء المجلس تختلف عن القواعد التي تحكم العملية الانتخابـية في إيران، فالعملية الانتخابية بعد تحديد مجلس الرقابة على القوانين لقائمة المرشـحين الذيـن يدخلـون تحـت مظلة النظام تصبح مفتوحة وتعتمد على أسلوب المرشحين وقدرتهم على اكتساب الدعم الجماهيري لإنجاحهم، أما الحركة داخل مجلس الشـورى الإسـلامي فتحكمها قاعدة المصلحة التي تضع مجموعة من الدوائر كإطار لـتجمعات النواب داخل المجلس وهذه الدوائر لها أقطابها التي تشبه المغناطيس القوي الـذي يجـتذب إليه العناصر الأضعف فكريا وسياسيا مهما كان عدد الأصوات التي حصلت عليها.

ومن هنا فإن تكتل "الثاني من خرداد" يعاد تشكيله من جديد إثر أي تفكك فيه وتتسـبب عملـية التفكـيك عادة في تناثر بعض أجزائه لتلتقطها بعض الأقطاب في

تشــكيلات جديــدة تضم بعض العناصر المحافظة غير المتشددة، لذلك انقسم المجلس الجديــد إلـــى أربعـــة تكتلات حقيقية هي "جبهة المشاركة" و"كوادر البناء" و "اليسار الإسلامي" و "ائتلاف خط الإمام والزعامة" وتتدخل قاعدة المصلحة في التحالفات التي تــتم بيـــن بعضها عند عرض كل قانون أو قضية، وتشير أسماء من وصلوا في هذه الانـــتخابات إلـــى عضـــوية المجلس إلي إمكانية حدوث نوع من التوازن بين أجنحة المجلس من محافظين وإصلاحيين بحيث يكون تمرير أي قانون في حاجة إلي موافقة أغلبـــية مشتركة أو متحالفة خاصة فيما يتعلق بالقوانين المؤثرة على مستقبل النظام أو تلـــك التي تتعلق بقطاعات كبيرة من الشعب، ليس معنى هذا أن المجلس الجديد سوف يشـــبه المجلس القديم، أو أنه لن يساعد الرئيس خاتمي في تطبيق برنامجه الإصلاحي وإنمـــا لن يدع مسيرة الإصلاح تبتعد عن أصول الثورة ومبادئها، ففعالية هذا المجلس ســـوف تســـتمد زخمهـــا من ذلك الدفع الجماهيري الذي تجلى في الإقبال على عملية الاقتراع.

لاشك أن هناك تغيرا كبيرا طرأ على معطيات الساحة الإيرانية من قمة النظام نزولا بعناصره إلى المواطن البسيط الذي يعيش في الأحياء الفقيرة في طهران أو في المـــدن الصـــغيرة والقـــرى أو التجمعات البدوية، وهو مادلت عليه نتائج الانتخابات التشـــريعية، هـــذا التغير ليس موجها ضد النظام بقدر ماهو دخول بالنظام إلى مرحلة جديـــدة اقتضتها ظروف النظام العالمي الجديد، وإذا كانت أجهزة الإعلام قد أظهرت هذا التغيير في الصورة التي أرادها النظام والتي توحي بما نشر من قبل في إيران عن وقـــوع انقـــلاب برلمانـــي إلا أن المحلل لمجريات الأحداث منذ بدء روح التغيير في الظهـــور أي منذ قبول إيران قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ بوقف الحرب مع العراق يـــدرك أن الانقـــلاب البرلماني ماهو إلا حلقة في سلسلة التغييرات التي خططت لها النخـــبة لكـــن الـــذي يمكـــن ملاحظته في هذا الانقلاب البرلماني أنه امتداد للانقلاب الرئاســـي الذي أتي بالرئيس خاتمي، وقد استخدم فيه نفس الأداة وهي اجتذاب الشباب لهذا التغيير، وقد تطلب هذا أن يدفع النظام بدماء جديدة تتمثل فيها روح الشباب، فكما ظهـــرت وجوه جديدة شابة في حكومة الرئيس خاتمي ظهرت وجوه شابة جديدة أيضا

بيـــن مرشـــحي مجلس الشورى الإسلامي استطاعت أن تحصل على أعلى الأصوات وتتصـــدر قوائم الناجحين وتسبق إلى عضوية المجلس شخصيات لها اسمها وتاريخها فـــي الحياة السياسية وكان لها دورها البارز في نجاح الثورة الإسلامية وثبات النظام القـــائم، وهـــذا ليس معناه التضحية بهذه الشخصيات وإنما التأكيد على طبيعة التغيير، حيث أن هذه الشخصيات سوف تستمر في دورها سواء من نجح منها في الوصول إلى عضوية البرلمان أو لم ينجح، فالرموز السياسية القديمة التي وصلت إلى البرلمان في هـــذه الانتخابات سوف تظل بمثابة الأقطاب التي سوف يدور في فلكها المستقلون من ناحـــية والمنشقون عن التكتلات السياسية الإصلاحية من ناحية أخرى ثم المحافظون الذيـــن تمكـــنوا مـــن دخـــول البرلمان، أما الرموز السياسية القديمة التي لم تنجح في الانتخابات فإنها سوف تجد لها مسئوليات أخري في خدمة النظام، كماحدث مع محسن رضـــائي الـــذي أعيد تعيينه أمينا لمجمع تحديد مصلحة النظام، أو سيد محمود دعائي الـــذي انتخـــب عضوا بمجلس الخبراء وأعيد إلى رئاسة مؤسسة اطلاعات الصحفية، وهكـــذا تكون النخبة قد نجحت في إجراء التغيير الذي تتطلبه المرحلة الجديدة والذي يكفـــل للنظام البقاء والثبات والتطور فضلا عن المكاسب التي سوف يحققها من وراء هـــذا التغيير علي الصعيدين المحلي والخارجي. إن الأسماء الفائزة في دوائر طهران الانتخابـــية خـــير دلـــيل على نجاح هذا التغيير، حيث تمثل هذه الأسماء رغم انتماء معظمها إلى الإصلاحيين عددا من الاتجاهات السياسية المختلفة وعددا من الانتماءات غير المحددة مابين اليمين والوسط واليسار، فالأسماء الخمسة الأولى مثلا تمثل أربعة تـــيارات محددة الشعارات والأهداف ولكنها متباينة الأفكار والأساليب رغم عضويتها جميعا في تكتل "الثاني من خرداد" (رضا خاتمي – جبهة المشاركة)، (جميلة كديور – كـــوادر البـــناء)، (عليرضـــا نـــوري – جبهة أحرار الفكر)، (محسن آرمين – مجـــاهدي الثورة الإسلامية)، (سيد هادي خامنئي – يمين الوسط وهو شقيق الزعيم المحـــافظ)، أمـــا الأســـماء الخمســـة التالية فتمثل اليسار الإسلامي مع فروق فكرية واضحة، خاصة بين أعضاء مجاهدي الثورة الإسلامية وروحانيون مبارز [51].

---

[51]- وكالة الأنباء الإيرانية بتاريخ ٢٤/٥/٢٠٠٠م

وإذا كـان الرئـيس خاتمـي يـبدو قائدا لهذا الانقلاب البرلماني في الظاهر باعتباره الشخصية التي اكتسبت مصداقية العمل الجاد مع الجماهير[52] فإن الشخصيتين الأوليين في النظام لم تكونا بمنأى عن هذه الحركة الكبيرة بل إن هذا التغيير لم يكن يـتم بدون دعمهما فالزعيم خامنئي بحياده وعدم ضغطه لصالح اليمين المحافظ الذي ينتمـي إليه دليل على مشاركته في هذه الحركة كموجه وداعم لا كمستسلم لها[53]، أما الرئـيس رفسـنجاني فهو الذي قاد هذا التغيير منذ بدايته ونزل بشجاعة إلى الساحة لضبط إيقاع التغيير بعد أن خطط له[54].

إن مـا أتت به نتائج الانتخابات البرلمانية مع تلك الحملة الإعلامية الناجحة التـي صاحبت هذا التغيير، يشير إلى أن مايجري في إيران حقيقة هو تطوير لمواقف النظام الحاكم وليس تطويرا لطبيعته، ورغم أنه لا يتفق مع طموحات المراقبين إلا أن هـذا الـتطور إيجابي وليس بسلبي، وعلينا أن ندرس تأثير هذه النتائج من خلال هذا الواقع الجديد.

الديمقراطية الإسلامية:

تعتـبر المجالس التشريعية أحد أهم مظاهر الديمقراطية الإسلامية في إيران، وهي ليست على غرار المجالس التشريعية الغربية من حيث النوعية أو المهام الموكلة إلـيها، فـإذا كـان مجلس الشورى الإسلامي يشبه إلى حد كبير المجالس النيابية في الغـرب فـإن مجلس الرقابة على القوانين (نگهبان) ومجمع تحديد مصلحة النظام لايوجد لهما مثيل في الغرب فضلا عن مجلس الخبراء الذي يعتبر من خصائص نظام ولايـة الفقـيه، يضاف إلى ذلك ما اشتمل عليه الدستور من مواد وخصائص، كما أن أسـلوب الممارسـة الديمقراطـية سواء ما يتعلق بالانتخابات أو بأسلوب العمل داخل المجـالس أو الـنقد الذاتي من خلال الصحافة يختلف في حجمه ونوعيته عن أسلوب الممارسة الديمقراطية في الغرب، ويؤكد الإيرانيون أن سر الاختلاف بين الديمقراطية

52- صحيفة اطلاعات بين المللي بتاريخ ٢٠٠٠/١/٢١م.

53- صحيفة اطلاعات بين المللي بتاريخ ٢٠٠٠/د/١٨م

54- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/١/٢٩م.

فـــي إيران والديمقراطية في الغرب هو أن ما يقدمونه هو الديمقراطية الإسلامية، وأن هــناك ســوء فهــم من جانب الغرب بسبب عدم إدراكه لأسس هذه الديمقراطية، كما يؤكــدون على أن الديمقراطية الإسلامية هي أرقى أنواع الديمقراطية في العالم لأنها مــأخوذة عــن تعالــيم إلهية ونظم سماوية، وإذا جاز لنا أن نتساءل عن مدى اقتراب الديمقراطــية فــي إيــران مــن الأصول الإسلامية فمن الضروري أن نتعرف على مظاهــرها ابتداء من الدستور وكافة الأجهزة التشريعية وعلى أسلوب ممارستها وحق النقد.

أولا : الدستور ومعوقات الديمقراطية:

يعتــبر دســتور الجمهوريــة الإســلامية أول وثــيقة رسمية تعبر عن هذه الديمقراطــية الإسلامية، اشترك في صياغته فقهاء مجلس الخبراء الذي تم انتخابه من قبل الشعب في ١٩٧٩/٧/٣م وناقشه مجلس الشورى الإسلامي ثم أقره مجلس الرقابة على القوانين واعتمده الخميني زعيم الثورة، وبعد ذلك طرح للاستفتاء العام في ١٢/١ /١٩٧٩م، وقــد حــرص هذا الدستور علي الموازنة بين الخصوصيات الشيعية وبين العمومــيات الإسلامية مبرزا عددا من الإيجابيات الإسلامية التي تساعد على صلاح الــنظام الإيراني وإسلاميته ونموذجية خطه، فقد نص الدستور مثلا على مبدأ الشورى الإســلامي فــي المــادة السابعة، كما نصت المادة الثامنة على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد نصت المادة الحادية عشرة على مبدأ وحدة المسلمين وواجب النظام في العمل على تحقيقها، وإذا كانت المادة الثانية عشرة قد نصت على أن الدين الرسمي لإيران هو الإسلام وأن المذهب الرسمي هو المذهب الجعفري الاثني عشري بــدون تغيــير إلى الأبد وعلي الاحترام الكامل للمذاهب الإسلامية الأخرى فقد نصت المادة الرابعة عشرة على معاملة غير المسلمين بالحسنى، وفضلا عن ذلك فقد نصت المادة السابعة عشرة على أن يكون التقويم الرسمي هو التاريخ الهجري، ونصت قبلها المــادة السادســة عشــرة على الاهتمام باللغة العربية باعتبارها لغة الدين الإسلامي، وهكذا تجمعت الخصائص الإسلامية للدستور إضافة إلى خاصية عقائدية أخرى تتعلق بالمذهــب الشــيعي وهي ولاية الفقيه حيث نص البند الخامس من المادة الثانية على

الإمامة والزعامة المستمرة ودورها الأساسي في استمرار الثورة الإسلامية، كما نصت المادة الخامسة على ولاية الأمر وإمامة الأمة في فترة غيبة ولي العصر المهدي المنتظر للفقيه الجامع للشروط، وهو ما أكدته المادة السابعة بعد المائة[٥٥].

يعتبر بعض المحللين الغربيين المواد المتعلقة بولاية الفقيه مخالفة للديمقراطية لأنها تعطي سلطة مطلقة للزعيم تجعله دكتاتورا، وهو ما يعترض عليه الإيرانيون مؤكدين أن مواصفات الزعيم تمنعه من أن يصبح دكتاتورا، كما أنهم يردون على الادعاء بوجود تناقض في الدستور بين مبدأ الثورية التي تدعو لعدم الاستكانة والخروج، وبين مبدأ ولاية الفقيه التي تدعو إلى الدخول والطاعة، بأن الشيعة هم أتباع الإمام علي بن أبي طالب زعيم الثوار وكذلك ابنه الحسين سيد الشهداء، وأن المذهب الشيعي مذهب ثوري وأن ولاية الفقيه ولاية ثورية[٥٦].

مؤسسات الديمقراطية الإسلامية:

ذا تجاوزنا الدستور إلى المؤسسات الديمقراطية نجد أن مجلس الشورى الإسلامي رغم كونه أهمها دستوريا فهو أدناها سلطة حيث تحتاج قراراته وقوانينه إلى مراجعة من مجلس الرقابة على القوانين، واحتكام إلى مجمع تحديد مصلحة النظام، وميزة المجلس ترجع إلى انتخاب أعضائه انتخابا حرا مباشرا من قبل الشعب، وأنه – كما قال الخميني في افتتاح أول دورة – مركز كل القوانين والسلطات، إلا أن مجلس الرقابة على القوانين يتحكم في هذا المجلس من ناحيتين: الأولى أنه يجري مراجعة على كل المتقدمين للترشيح لعضوية المجلس، ومن حقه حجب أي مرشح بدعوي عدم أهليته التعليمية أو الأخلاقية أو العقائدية أو السياسية أو الاجتماعية، ثم إنه يستطيع حجب نتيجة أي مرشح عند إقراره النتائج النهائية للانتخابات بدعوى حدوث غش في عملية الإدلاء أو فرز الأصوات، أما الناحية الثانية فهي مراجعة كل القوانين التي تصدر عن ذلك المجلس ورفض أو إعادة أي قانون بدعوى عدم دستوريته أو عدم

55- محمد السعيد عبد المؤمن : ولاية الفقيه بين النظرية والتطبيق ص٨٦-٨٨ طبع القاهرة ١٩٩١م

56- راجع كتاب الحكومة الإسلامية للخميني طبع طهران ص ١٥٩ وما بعدها

توافقــه مــع الشــريعة الإسلامية أو المذهب الشيعي. وإذا احتدم الخلاف بين مجلس الشورى الإسلامي وبين مجلس الرقابة علي القوانين حول أحد القوانين ورفض مجلس الشــورى سحبه أوتعديله فإنه يحتكم إلى مجمع تحديد مصلحة النظام الذي يفصل بين المجلسين فيوافق على رأي أحدهما مما يعني أنه يستطيع إحباط عمل مجلس الشورى الإســلامي بدعوى عدم مطابقة القانون مع مصلحة النظام، وهناك أيضا الزعيم الذي من حقه أن يرفض أي قانون أو يمنع مناقشته دون إبداء أية أسباب.

هــناك معــوق آخر لعمل أكبر مجلس ديمقراطي في إيران لايقل أهميته عن معوقاته السابقة وهو طبيعة العمل داخل المجلس ذاته التي لا تسمح بوجود تكتل أغلبية ثابت طوال الدورة التشريعية حيث يؤدي عنصر المصلحة الذي يحكم تكتلات المجلس إلي التفاف كل مجموعة من الأعضاء حول قطب من أقطابه لتكوين مجموعة برلمانية ليســت ثابــتة أيضا طوال الدورة، وتتم الصفقات بين هذه المجموعات عند التصويت علــى كل قانون، ولعل السبب في ذلك هو عدم وجود نظام حزبي قوي بالإضافة إلى عدم وجود انتماء قوي لجماعة سياسية محددة.

هــذه المجــالس الــثلاثة التي لها صلة مباشرة بالتشريع وسن القوانين هي الواجهة الرئيسية للديمقراطية في إيران، وهي رغم تحدد مهامها إلا أن تداخلها سلاح ذو حدين، لأنها من ناحية تضبط إيقاع العمل الديمقراطي والعمل السياسي بشكل عام وتمنع حدوث تطرف من أي نوع أو استئثار مجلس منها بالعمل التشريعي حتي إذا ما وجد خلل في أي من هذه المجالس يمكن التحكم فيه من خلال المجلسين الآخرين، وهو مــن ناحية أخرى يؤدي إلى نوع من الصراع بين هذه المجالس يعوق العمل التنموي وإن كــان الإيرانــيون يعتبرونه ظاهرة صحية، لكن الواضح أن المجالس التشريعية تشــوبها الازدواجــية فمن حق مجمع تحديد مصلحة النظام أن يضع السياسات العامة للبلاد وأن يقدم الدراسات والاستشارات للزعيم باعتبار أن له مهمة استشارية للزعامة، فــإذا كان الزعيم هو الذي يعتمد هذه السياسات فإن اقتناعه بالمقترحات التي يصعدها إلــيه المجمــع يحد من حرية عمل مجلس الشورى بل إنه يصادر على عمله كلية في بعض الأحيان ويوقف فاعليته في أحيان أخرى. أما فيما يتعلق بمجلس الخبراء المنوط

به اختيار الزعيم فهو يتكون من فقهاء منتخبين من قبل الجماهير ويشوب هذا المجلس بعـــض المسائل، أولها أن مرشحي هذا المجلس ينتمون إلى مدرسة فقهية واحدة تؤمن بـــنظرية ولاية الفقيه مما يعني عدم إمكانية تغيير النظام أو تطويره إذا ثبت عليه أي قصور، ثانيها أن المرشحين في المحافظات ينجحون في الوصول إلى مقاعد المجلس لمـــا لهـــم من مقلدين في دوائر ترشيحهم إزاء طبيعة الإفتاء في المذهب الشيعي التي تملي على الجماهير الالتزام بمرجع ديني معين، ثالثها أن تعديل الدستور الذي تم بعد وفـــاة الخمينـــي ســـمح للمجتهد تولي الزعامة ولم يقصره علي المرجع مما جعل من الممكن عقد صفقات في المجلس لتولي زعيم أقل كفاءة بدعاوي مختلفة[٥٧].

علـــى كل حال تبقي الممارسة داخل هذه المجالس معيارا حقيقيا لمدي تطبيق الديمقراطية الإسلامية، ومن الواضح أن قواعد الممارسة الديقراطية قد تطورت تطورا ملحوظا منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران وحتي الآن ، فعندما جرت أول انتخابات لمجلـــس الشـــوري الإســـلامي فـــي ١٣٥٨/١٢/٢٤هـــ.ش.(١٩٨٠/٣/١٥م) كانت توجـــيهات الخمينـــي تسبق الجماهير إلى صناديق الاقتراع لتحثهم على انتخاب نواب معتقدين في النظام الإسلامي، كما كان الخميني يرسم للمجلس أسلوب ممارسته ومنهج عملـــه وأهدافـــه، حيـــث قال في افتتاح أول مجلس بعد الثورة:" إن مجلس الشورى الإســـلامي المقـــدس الذي يفتتح اليوم هو أول مجلس في الجمهورية الإسلامية وأول مجلس يقوم من خلال انتخابات حرة، وإني آمل أن يكون هذا المجلس المبارك مجلس عـــدل تـــابع للاسلام ولمصلحة المسلمين ودولة المسلمين، إن المجلس هو مركز كل القوانيـــن والســـلطات فـــإذا حاول رئيس الحكومة أو رئيس الجمهورية إضعافه فإنه سيسقط قبله وإذا حاول المجلس إضعاف الحكومة فإنه يضعف نفسه[٥٨]." وقد وضع هذا المجلـــس قانونا جديدا للانتخابات وكذلك وضع النظام مبادئ ستة للممارسة السياسية تضـــمن الاشتراك الفعال والجاد لجميع طوائف الشعب في الانتخابات باعتبارها واجبا دينيا ووطنيا إلا أن المعضلة الأساسية التي واجهت النظام- كما عبر عنها رفسنجاني-

---

[57]- محمد السعيد عبد المؤمن : العمامة والعباءة في السياسة والحكم ص٢٦٧ طبع القاهرة ١٩٩٣م

[58]- صحيفة بامداد بتاريخ ١٩٨١/٥/٢٩م.

هـــي عدم تعريف المرشح الصالح للجماهير، فإذا كان النظام قد نجح في إيصال عدد لابـــأس به من علماء الدين والعناصر المؤيدة للنظام إلى عضوية أول مجلس فقد نجح في إحكام قبضته علي الدورة الثانية رغم وجود بعض المشاكل في المناطق البعيدة عن مراكز الضغط المؤيدة للنظام، وقد حرص النظام علي إشراك النساء وكسب أصواتهن مع إبعاد بعض الأجنحة المعارضة للولاية المطلقة للفقيه، وقد ساعدت ظروف الحرب علـــى أن تنحصر الممارسة الديمقراطية في المجلس خلال دورتي الحرب بين أنصار ولاية الفقيه في إطار دعم النظام وتوجيه كافة الامكانات لخدمة قضية الحرب[٥٩].

تعديل الدستور وملابساته:

أدى قـــبول إيــران وقــف الحـــرب إلى تعديل الدستور وإفساح المجال لقيام جماعـــات سياســـية جديدة، كما أدت وفاة الخميني إلى تراجع كثير من صقور النظام وفشـــلهم فـــي الوصول إلى عضوية البرلمان وتمكن مهدي كروبي زعيم اليسار من الوصول إلى رئاسته، لكن تعجل اليسار القيام بإصلاحات سياسية لم يمهد لها أدى إلى هزيمته في الدورة الرابعة للمجلس، لقد كان شعار التكتل اليميني الذي خاض انتخابات الدورة الرابعة هو الالتزام بخط الإمام الخميني وإطاعة الزعيم خامنئي ودعم الرئيس رفســـنجاني، وقـــد نجـــح معظم مرشحيه وشكلوا أغلبية مطلقة في هذه الدورة ولكن ممارسات المجلس مع الحكومة أدت إلى التفريط في دعم الرئيس رفسنجاني ورغم أن هـــذه الممارسات قد أوجدت مساحة أكبر من الديمقراطية إلا أنها قد أوجدت في نفس الوقـــت صـــراعا بيـــن المحافظيـــن والإصلاحيين أدى إلى تعويق مسيرة الإصلاح والـــتطوير، ومـــع الاســـتعداد لانتخابات الدورة الخامسة بدأت محاولات الاستقطاب والجذب السياسي وصفقات الائتلاف وتبديل الأماكن والمواقف وإثارة القضايا الساخنة ممـــا أدى إلى حدوث اختلاط بين الجماعات السياسية وعدم وضوح في المواقف، لقد ســـارع تكتل المحافظين إلى تنظيم صفوفه وتكوين جبهة حزب الله بينما قام المعتدلون بتشكيل عدة جمعيات كان من أقواها جمعية كوادر البناء فضلا عن اليسار الإسلامي،

[59]- محمد السعيد عبد المؤمن : ولاية الفقيه بين النظرية والتطبيق ص١٢٤

وقـد لوحـظ في انتخابات المجلس في هذه الدورة زيادة عدد المرشحين عن الدورات السـابقة وتمـت تصفيتهم من خلال مجلس الرقابة إلي ٣٢٢٨ مرشحا يتنافسون على ٢٧٠ مقعـدا فـي ١٩٦ دائـرة انتخابية، كما لوحظ زيادة عدد الشخصيات السياسية المرشـحة وزيادة عدد النساء عن الدورة السابقة في حين امتنع عدد كبير من أعضاء المجلـس السـابق عـن الترشيح، كما لوحظ زيادة عدد الفنيين والمثقفين ونقص عدد علمـاء الديـن المرشـحين، وتشير نتائج هذه الانتخابات إلى أغلبية نسبية للمحافظين مكنتهم من تولي رئاسة البرلمان ورئاسة لجانه، وقد بلغ عدد النواب الجدد ١٥٩ نائبا من مجموع ٢٥٦ كما بلغ عدد النساء ١٠ نائبات وهو عدد أكبر من الدورات السابقة، وبلـغ عـدد علمـاء الدين ٥٠ نائبا وهو عدد تناقص تدريجيا وبلغت نسبة مرشحي الأجنحة السياسية ٣٠% لروحانيت مبارز و٣٣% لكوادر التعمير و٢٠% للمستقلين و ٧% للأقليات الدينية[٦٠].

وقد اعتبر المحللون هذه العلامات أرضية طيبة لاتساع الممارسة الديمقراطية فـي الـبرلمان وتشـجيع قـيام أحـزاب لكن تصور المحافظين أنهم في صراع مع الإصـلاحيين يخـول لهم محاولة الإطاحة برموزهم وفرض توجه معين علي السلطة التنفـيذية وإعاقة عملية التطوير والإصلاح من خلال ممارسات غير واعية قد أفقدهم دعـم الجماهـير، ويؤكد المحللون أن الصراع بين المحافظين والإصلاحيين كانت له آثـار سلبية تمثلت في أحداث إعلان نتائج انتخابات العاصمة طهران الذي تأخر أكثر مـن ثلاثة أشهر، فقد حدث تضارب في النتائج الأولية المعلنة ثم استقرت عند إعلان لجنة فرز الأصوات التابعة لوزارة الداخلية عن فوز قائمة تتضمن ثلاثين مرشحا تبدأ بمحمـد رضا خاتمي وتنتهي بهاشمي رفسنجاني، وإزاء شكوي بعض المرشحين إلى مجلس الرقابة على القوانين بوقوع تجاوزات وأخطاء وتزوير في فرز الأصوات تولي هذا المجلس عملية إعادة فرز الصناديق فتبين له بعد فرز ١٠% منها وجود مخالفات جسيمة ربما تستدعي إعادة الانتخابات في دوائر طهران مما أثار حفيظة الإصلاحيين

---

[60]- صحيفة اطلاعات بتاريخ ١٩٩٦/٤/٢٤م

وهــاجموا مجلس الرقابة على القوانين، كما قام المحافظون باتهام الإصلاحيين بإثارة الفتنة[61]، وقد ثارت وزارة الداخلية أيضا على المجلس إزاء بياناته التي تطعن في عمل الــوزارة وتــتهم العاملين في اللجان الانتخابية بالتواطؤ والمساهمة في الغش لصالح الإصلاحيين، وعندما احتدم الجدل رفع مجلس الرقابة الأمر إلى الزعيم خامنئي الذي اتخــذ موقفــا حاســما فأمر باعتماد بتائج طهران بعد تعديلها على ضوء ما ظهر من تلاعب وإحالة المتلاعبين إلى القضاء ، يقول آية الله جنتي، أمين مجلس الرقابة على القوانيــن فــي رســالته إلى الزعيم خامنئي:" بعد فرز ٥٢٨ صندوقا بواسطة اللجنة التنفــيذية ولجــنة الرقابة في أواخر عام ١٣٧٨هــ.ش. (مارس٢٠٠٠م) أرسل ملف انــتخابات دائــرة طهــران إلى مجلس الرقابة، ونتيجة لشكوى بعض المرشحين قام المجلــس بالتحقــيق وأعاد فرز الصناديق وتوصل إلى عدد من المخالفات منها: عدم تطــابق أوراق الانــتخاب مــع عــدد الناخبين، عدم وجود أختام الرقابة علي أوراق انتخابــية، عــدم وجــود شمع وأختام علي بعض الصناديق، وجود خطين في الورقة الانتخابــية الواحدة، اختلاف عدد الأوراق داخل الصندوق مع قائمة الفرز، وعدد آخر من المخالفات، ونظرا لطول المدة التي يستغرقها إعادة الفرز وإزاء الظروف الراهنة وعــدم قــدرة مجلس الرقابة على تأكيد صحة الانتخابات نرفع الأمر لمقامكم المعظم للتوجيه." وقد جاء في رد الزعيم على هذه الرسالة قوله:" أشكر المجلس الموقر على جهــوده، ومــع تقديري لكافة المسئولين عن الانتخابات، أعلن مايلي: تبطل الصناديق التــي وجدها مجلس الرقابة غير قابلة للاعتماد، واعتماد نتائج باقي الصناديق وتعلن النــتائج التــي تحــددت على ضوء الأمر، على الجهات القضائية والتحقيقية مساءلة المتسببين في المخالفات[62]." وقد اختلفت القائمة التي اعتمدها مجلس الرقابة عن القائمة التــي أعلنــتها وزارة الداخلية في أربعة وعشرين موضعا، أهمها صعود اسم هاشمي رفســنجاني مــن المرتــبة الثلاثين إلى المرتبة العشرين، حذف اسم عليرضا رجائي لإبطــال الأصــوات التي تمنحه الأغلبية المطلوبة، صعود غلامعلي حداد عادل إلى

61- خطبة الجمعة التي ألقاها آية الله محمد يزدي بتاريخ ١٩/٢/٢٠٠٠م.

62- وكالة الأنباء الإيرانية بتاريخ ١٩/٥/٢٠٠٠م.

المرتبة الثامنة والعشرين بعد أن كان قدفشل في الحصول على الأغلبية اللازمة، هبوط رســول منتجب نيا من المرتبة السابعة والعشرين إلى انتخابات الإعادة، هبوط إلياس حضــرتي مــن المرتــبة التاسعة والعشرين إلى انتخابات الإعادة، صعود علي أكبر محتشمي بور من خارج القائمة إلى انتخابات الإعادة، تبادل كل من سيد هادي خامنئي ومحســن آرمين مكانيهما فصعد الأول درجة وهبط الثاني درجة، هبط ميردامادي من المرتــبة السادســة إلى الثامنة، صعدت سهيلا جلودار زاده من العاشرة إلى السادسة، هــبط كل من بهزاد نبوي وأحمد بورقاني درجة، صعدت وحيدة طالقاني من المرتبة السادســة عشرة إلى الحادية عشرة، هبط داود سليماني من الحادية عشرة إلى الثالثة عشــرة، هبطت إلهه كولايي من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة، هبط علي شكوري راد من الرابعة عشرة إلى السادسة عشرة، صعد موسوي خوئيني درجة، صعد محسن صــفايي من السابعة عشرة إلى الخامسة عشرة، هبط محمد رضاسعيدي درجة، هبط سيد شمس الدين وهابي من التاسعة عشرة إلى الثانية والعشرين، هبطت فاطمة حقيقت جــو درجــة، هبط بهروز أفخمي من الحادية والعشرين إلى الرابعة والعشرين، هبط نعيمــي پــور من الثانية والعشرين إلى الخامسة والعشرين، صعد سرحدي زاده من الثالــثة والعشرين إلى الثامنة عشرة، هبطت فاطمة راكعي من الرابعة والعشرين إلى الســابعة والعشــرين، صــعد مهــدي كروبــي مــن الخامسة والعشرين إلي الثالثة والعشرين[63]، وقد فجر آية الله هاشمي رفسنجاني مفاجأة كبيرة عندما أعلن عن تنازله عــن مقعــده فــي المجلس ، وذلك بسبب اللغط الذي أثير حول تصعيده إلي المرتبة العشرين في القائمة الأخيرة وما يترتب علي ذلك من ارتفاع أسهمه لرئاسة البرلمان، يقول عباس عبدي عضو جبهة المشاركة:" إن هاشمي رفسنجاني منذ اللحظة التي جاء فيها في آخر قائمة الناجحين عن دائرة طهران لم يكن لديه أية نية لدخول المجلس لأنه لايســتطيع حضــور المجلس كأي عضو عادي، ورفسنجاني رجل كبير ناضج وكان علــى مدار عشرين سنة يضع يده على كثير من أجهزة الدولة، وعليه أن يوضح الآن

63- وكالة الأنباء الإيرانية بتاريخ ٢١/٥/٢٠٠٠م.

كـيف أن مجموعة قليلة القدرة في هذا الزمن قد استطاعت تخريب صورته![64]، وقد حـاول رفسـنجاني أن يفسر الموقف في خطاب استقالته من عضوية مجلس الشورى الإسـلامي بقوله:" إنني شاركت في انتخابات مجلس الشورى على الرغم من رغبتي القلبـية إعمـالا للواجب الشرعي ورسالتي القومية والثورية وإصرار أصحاب الرأي والشخصيات السياسية المحترمة وبعد التشاور مع الزعيم لكن الدعايات السلبية الكاذبة الكثيرة سيطرت على ساحة المنافسات الانتخابية قبل إجراء انتخابات وفي فترة الدعاية وحتـي أثـناء التصـويت وفرز الأصوات، بل إن الأعداء في الداخل والخارج قاموا بدعايـات سـلبية ضد أساس النظام وضد مكاسب الثورة والدفاع المقدس والبناء مما أوجد مناخا محاطا بالشبهات والغموض والتلوث أثناء الانتخابات بل وحتى بعد إعلان النـتائج، إن من حسن الحظ أن تدبير الزعيم المعظم كان حائلا دون ظهور مشكلات سياسـية واجتماعـية، إنـه على الرغم من إصراري وطلبي من المسئولين التنفيذيين والمراقبيـن للانتخابات لإزالة أي نوع من الإبهام وكشف الحقيقة كاملة، وكذلك رغم محاولات مجلس الرقابة ووزارة الداخلية إلا أنه حتى الآن لاتزال الإبهامات والشبهات قائمـة حـول نتائج انتخابات طهران، وهو مايمكن أن يصبح وسيلة لأعداء الأمة من جانب ويخدش وحدة القوى المعتقدة في النظام من جانب آخر[65]." وقد دعا رفسنجاني من جانبه إلى إنهاء المنافسة والاتجاه للوفاق الوطني[66].

برامج الحركة الإصلاحية:

إذا كـان الإصـلاحيون قـد نجحوا في القيام بانقلاب برلماني ينهي سيطرة المحافظيـن على مجلس الشورى فقد أدت التشكيلة التي تكون منها التكتل الإصلاحي التـي ضـمت جـبهة المشـاركة وكوادر البناء وروحانيون مبارز وجمعيات اليسار الإسلامي وخط الإمام والزعامة والجمعيات الإسلامية للطلاب والمهنيين والعمال إلى تنوع البرامج التي طرحوها، كما أثرت طبيعة تخصصات نخبة الحركة الإصلاحية في

64- صحيفة بيان بتاريخ ٢٧/٥/٢٠٠٠م

65- صحيفة بيان بتاريخ ٢٧/٥/٢٠٠٠م

66- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٦/٢/٢٠٠٠م.

طبيعة هذه البرامج، حيث يبدو البرلمان الإيراني الجديد متعاونا مع الحكومة في تحقيق اللاءات الثلاثة التي أعلنها الإصلاحيون، وهي: لاتراجع عن الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لاتراجع عن مبادئ الثورة وأهدافها، لا تراجع عن تأييد الرئيس خاتمي في سياسته الخارجية الرامية إلى تحسين علاقات إيران مع كافة دول العالم، وكان الإصلاحيون قد قدموا خلال الانتخابات التشريعية للجماهير برنامجا يتكون من النقاط التالية:

١- إعادة مجلس الشورى الإسلامي إلى وظيفته الرئيسية وهي تشريع القوانين مما يستلزم إعادة النظر في بعض القوانين التي مررتها المجالس السابقة مثل قانون الانتخابات، فضلا عن تقنين الحريات العامة وتحديد الجريمة السياسية بدقة.

٢- تعديل قانون الصحافة وإلغاء الرقابة التصحيحية ومنع المصادرة وحماية الصحفيين وتأمين مستقبلهم.

٣- تعديل قانون الأحزاب.

٤- الاهتمام بالمشاركة الجماهيرية من خلال إنشاء تكتل طلابي وتشكيل لجنة خاصة بالشباب في المجلس وتسهيل عودة المغتربين وتشجيع الاستثمارات الوطنية والأجنبية وتأمينها والعمل على منع فرار العقول.

٥- إصلاح النظام الإداري علي أساس الكفاءة، وتعديل الوزارة، ودمج الهيئات المتوازية في مجال القضاء والقوات المسلحة والأمن والاقتصاد والسياسة، وتشديد الرقابة علي وزارة المعلومات من خلال لجنة خاصة، وإخراج الإذاعة والتليفزيون من احتكار الشخصيات الرسمية.

٦- دعم سياسة إزالة التوتر في العلاقات مع دول العالم ودعم الحوار بين الحضارات.

وحول أهمية تنوع تشكيل الإصلاحيين في تناول المسائل الهامة داخل البرلمان تقول جميله كديور عضو اللجنة المركزية لكوادر البناء:"إن دخول الصحفيين البرلمان كممثلين عن الركن الرابع للسلطات الثلاث يمكن أن يكون له آثار إيجابية علي الصحافة بشكل خاص وعلى المجتمع كله بشكل عام، فوجود الصحفيين في

مجالـــي التقنيـــن والـــرقابة اللذين هما أساس دور المجلس يمكن أن يكون منشأ خير للمجـــتمع[67]." ويقـــول الـــياس حضـــرتي أمين حزب التضامن حول ترتيب أولويات الإصـــلاحيين:" ينبغـــي أن تكون أول خطوات المجلس السادس هي العودة إلى القيام بواجـــبه القانونـــي والأساســـي وهـــو الاهـــتمام بالقضـــايا الكبيرة للبلاد." كما سعى الإصـــلاحيون إلـــى إبراز أهمية الدور الذي يقومون به، يقول داود سليماني المتحدث باســـم جماعـــات خط الإمام والزعامة:" لقد خطت حركة الإصلاح خطوة واسعة في سبيل التنمية السياسية في إيران وساعدت على سيادة القانون وأعطت الدور الأساسي للجماهير وخاصة الشباب وزادت من أجهزة الإعلام ولكن المجلس الخامس لم يتجاوب مـــع هـــذه التنمـــية[68]." ويقول أحمد بورقاني عضو اللجنة المركزية لتكتل الثاني من خرداد:" لأول مرة في تاريخ الانتخابات الإيرانية لم يعط الناخبون أصواتهم لفرد وإنما أعطوهـــا للجماعات التي لديها برنامج منسجم لإصلاح الأمور في البلاد [69]." ويقول محســـن آرميـــن عضو اللجنة المركزية لتكتل الثاني من خرداد:" يستطيع المجلس أن يعمـــل علـــى تنظيم وتقنين عالم الصحافة والإعلام من قانون أو لائحة تجعله مؤثرا وبـــناء." وتقول الدكتورة الهه كولايي عضو اللجنة المركزية لتكتل الثاني من خرداد:" ســـوف يســـعى المجلس لإيجاد إدارة منسقة ومخططة لارئاسية للمجلس." ويقول سيد علـــي أكبر موسوي عضو جبهة المشاركة:" إن أهم أولويات المجلس تمرير القوانين التـــي تحقـــق الأمـــن للاســـتثمارات الأجنبية وإصلاح بنية الإدارة على أساس مبدأ الكفـــاءة[70]." ويقـــول أحمـــد بورنجاتي عضو جبهة المشاركة:" إن هدفنا الأساسي هو الوصول إلى تنمية شاملة، إن حركة الإصلاح لن تكون مقبولة بدون تطلعات الجماهير وقيادة رشيدة." ويقول حجة الإسلام مهدي كروبي زعيم اليسار الإسلامي:" لاينبغي أن نغتر بنجاحنا ويجب أن نأخذ العبرة من الأحداث، وأن لانتصور أن الجماهير قد عقدت معـــنا ميثاق أخوة دائم، ولاينبغي أن يجعلنا الفوز نقوم بشطب الآخرين وأن لا نتحدث

---

[67]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/١/١١م

[68]- صحيفة اطلاعات بين المللي بتاريخ ٢٠٠٠/١/٢٦م

[69]- صحيفة اخبار ايران بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٤م

[70]- صحيفة ايران بتاريخ ٢٠٠٠/٣/٣م

باللمز والتقريع[٧١]." ويقول هاشمي رفسنجاني زعيم كوادر البناء:" لقد انتهت منافسات الانتخابات، وحان الآن دور الوفاق الوطني[٧٢]."

من مجموع تصريحات قادة الإصلاحيين الذين وصلوا إلى عضوية البرلمان يمكن إدراك أن حركة الإصلاحيين لن تتوقف عند باب المجلس وإنما سوف تسعى إلى تحقيق برنامجها داخله وأنها مصممة على الاستمرار في طريقها، كما تشير كافة الشواهد إلى أن التحول البرلماني في إيران تحول حقيقي وجاد، وسوف يستمر خلال الدورة القادمة وينبئ عن إنجازات كبيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي، ويسعى الإصلاحيون إلى القيام بالمحاولات التالية:

١- محاولة تعديل قوانين الصحافة والأحزاب والانتخابات لإعطاء مزيد من الحريات العامة وممارستها من خلال الدستور والقوانين المختصة والساحات الشرعية، مع عدم استبعاد تعديل الدستور في هذا الإطار، وقد اصطدمت هذه المحاولة مع خطط الزعامة حيث تدخل الزعيم وأمر مجلس الشورى الإسلامي بوقف المناقشات في هذا الموضوع، وأمر بايقاف إصدار قانون جديد للصحافة.

٢- محاولة رفع القيود عن حركة السياسة الخارجية في إطار إعادة الوضع الطبيعي للدورالإيراني في الساحة الدولية من ناحية وانسجام المواقف الإيرانية مع الظروف الراهنة في العالم من ناحية أخرى، ويبدو هذا واضحا في الزيارات التي يتبادلها المسئولون الإيرانيون سواء في السلطة التنفيذية أو السلطة التشريعية وخاصة الرئيس خاتمي مع المسؤولين في سائر دول العالم.

٣- محاولة دفع الاقتصاد الإيراني في اتجاه التحرر لمواكبة الظروف الاقتصادية في العالم والاندماج في الاقتصاد العالمي، وسوف يرد الحديث عن هذه المحاولة في إطار الحديث عن التطورات الاقتصادية .

---

[71]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٩م

[72]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٨م

٤- السـعي لإيجاد قنوات حوار مع الولايات المتحدة الأمريكية للوصول إلى حل فـي القضـايا المعلقـة بين البلدين مثل الأموال الإيرانية المجمدة في أمريكا والغـرب، تحيـيد الـدور الإيراني في التأثير في عملية السلام في المنطقة، الاتفـاق على صيغة مقبولة للأمن في الخليج، وسوف يأتي الحديث عن هذه المسائل عند الحديث عن السياسة الخارجية الإيرانية.

٥- السـعي لكسـب ثقة دول الخليج العربية من خلال دعم العلاقات الاقتصادية والسياسية مع هذه الدول والسعي لبدء حوار مباشر مع دولة الإمارات العربية المتحدة حول حقوق محدودة لأبناء الإمارات في الإقامة والرعاية والاستثمار في الجزر الثلاث في إطار القوانين الجديدة للاستثمار وتملك الأراضي، وإن كـان هـذا السعي يبدو بطيئا ومتحفظا وخاضعا لضغوط الجماعات السياسية الأخرى.

٦- السـعي لتطبـيع العلاقات مع مصر من خلال العمل على حل كافة القضايا المعلقـة بيـن البلدين ودعم أسلوب رشيد للتعامل مع مصر والدول العربية، وذلـك من خلال تنشيط دور جماعات الصداقة وزيادتها وتفعيلها فضلا عن دعم التعاون في المحافل الدولية وتبادل الزيارات بين المثقفين ورجال الفكر.

وإذا كـان الإصلاحيون لم يفتحوا بعض الملفات الحساسة بعد فهم بصدد فتح ملـف الفساد، ولعل دعوة رضا خاتمي لإنشاء لجنة الحقيقة والمصالحة لتقوم بالتحقيق في أعمال الفساد والعنف لبعض المسؤولين السابقين يؤكد هذا الأمر[٧٣].

تفجر قضايا أصولية:

قـد يبدو أن الصراع الدائر بين المحافظين والإصلاحيين يتمركز حول شعار واحد من هذه الشعارات وهو شعار الحرية وماله من أبعاد سياسية وثقافية واجتماعية واقتصـادية، تجسم في قضية حرية الصحافة باعتبارها وسيلة النقد وكشف الانحراف عن مبادئ الثورة وشعاراتها إلا أن هذه القضية تتزامن مع قضيتين جوهريتين أخريين

---

[73]- صحيفة همشهري بتاريخ ١/٣/٢٠٠٠م.

هما قضية تقنين ولاية الفقيه تعميقا للديمقراطية وتجسيدا لشعار الجمهورية الإسلامية، وقضـية تحديـد أبعـاد الإصلاح بواقعية ودون تطرف في كافة المجالات السياسية والاجتماعـية والاقتصادية والثقافية وتتداخل معها مسألة العلاقات مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي تجسد شعار الاستقلال.

وقـد اشتد الصراع حول هذه القضايا الثلاث منذ وجدت حركة الإصلاحيين ترحيـبا جماهيريا كبيرا خاصة في أوساط الشباب والأوساط النسائية والذي أدى إلى نجاح أحد الإصلاحيين في تولي منصب رئيس الجمهورية وهو الرئيس خاتمي وكذلك نجـاح الإصـلاحيين فـي الحصول علي أغلب مقاعد مجلس الشورى الإسلامي في الانتخابات الأخيرة، وإذا كانت النخبة قد وجدت في حركة الإصلاحيين وسيلة لتطوير الـنظام ليتجاوب مع الظروف العالمية الراهنة مما جعلها تسارع إلى دعمها فإن هذا الدعم قد أسهم في اتساع هذه الحركة لتضم عددا من المتطرفين من مختلف الاتجاهات بيـن ليبراليين وديمقراطيين غربيين ورافضين لولاية الفقيه وغيرهم ممن وجدوا في الحـركة الإصـلاحية فرصة لإحياء مطالبهم وتحقيقها، وقد عبر رفسنجاني عن هذا الأمـر في حديثه إلى صحيفة همشهري بقوله:" لاشك أن الساحة السياسية قد صارت أكثر انفتاحا ولكن حدث فيها بعض الأعمال المتطرفة وهي ليست متعلقة بالسيد خاتمي ولابحكومته، هناك أشخاص يظنون أنفسهم تحت عباءة السيد خاتمي وأنا أنصحهم أن يـتركوا السيد خاتمي يستمر في عمله بالقوة التي بدأ بها وقد قلت لمن يسمون أنفسهم بخط الإمام في أول لقاء معهم إن الشعب قد أعطى صوته للاعتدال ولم يعطه للتطرف فلا تسعوا إلى جذب السيد خاتمي إلى خط مخالف للاعتدال[٧٤]." ويبدو أن خاتمي يدرك هـذه المشكلة وحذر منها مرارا حيث يقول في رسالته إلى وزير المعلومات:" لاينبغي أن نغفل لحظة عن خطر مثيري الفتنة في الداخل فما أكثر ما تنقبت الفتنة بثوب التدين فـإذا لم نجفف جذور الفتنة بحسم فمن الممكن أن تؤدي إلى مشاكل وخسائر جمة[٧٥]." كمـا قام الزعيم خامنئي بدعوة جميع الأطراف علي مختلف توجهاتهم إلى الإخلاص

---

[74]- صحيفة انتخاب بتاريخ ١٠/١٢/١٩٩٩م.

[75]- صحيفة ايران بتاريخ ٢٨/٣/٢٠٠٠م.

في العمل والولاء للقيم الإسلامية والتحلي بالصبر لأن هذا هو السبيل لتحقيق الأهداف المنشـــودة[٧٦]، وحدد خامنئي في موضع آخر الأخطار التي تهدد العمل السياسي والقيم الإسلامية مؤكدا أنها تتجمع في أمرين هما التحجر والانحراف، أما الخطر الذي يتهدد الجماعـــات السياســـية فهـــو خطـــر المتســـللين الذين ينفذون إلى كل من المحافظين والإصـــلاحيين ويعارضون أي تحول متخفين تحت شعارات القيم الإسلامية لينحرفوا بمسيرة الثورة وخاصة في مجال الثورة الثقافية وحذف اسم الإسلام، وقد قسم خامنئي هؤلاء المتسللين إلى قسمين: قسم من أنصار النظام السابق الذين استغلوا رفع شعارات الحرية والديمقراطية والقيادة الشعبية لتحويل البلاد إلي التوجه الأمريكي، وقسم يتحدث عـــن الإسلام ولكنه يتعامل مع من يهاجمون الإسلام ويعتقدون في التطور ولكن بغير القـــيم الإســـلامية، مؤكدا أن النظام وأنه شخصيا لن يسمح لهم باللعب بمصالح البلاد مادام مسئولا ومادام حيا[٧٧].

والحـــق أن الصراع الدائر على الساحة السياسية الإيرانية صراع حقيقي لأن عناصره عناصر جادة ومصممة على المضي في تحقيق ما انتوت عليه فضلا عن أن كـــلا منها لديه الامكانات التي تسمح له بالاستمرار، وقد بلغ الأمر حد الهجوم العنيف علـــى شخصـــيات معروفة بعينها علي صفحات الجرائد وأن يقوم أعضاء في مجلس الشورى الإسلامي بمهاجمة رئيس الجمهورية وصار طبيعيا أن ينتقد علماء الدين في عقـــر دارهـــم، يقول عطاء الله مهاجراني في كلمة له في جمعية التوحيد:" لقد هجرنا سلوك الإمام الحسين وقدمنا بدلا منه صورة مثيرة للاشمئزاز عن الدين في إطار من العـــنف، إن الحوزات الدينية في وضع لا يجعلها تهتم بنهج البلاغة ولا تقرره ضمن كتـــبها الدراســـية حتى القرآن لولا جهود العلامة طباطبائي لما وجد مكانا في دروس الحوزة[٧٨]." كما أصبحت المجالس الكبيرة مثل مجلس الرقابة على القوانين (نگهبان)

76- صحيفة ايران بتاريخ ٦/٣/٢٠٠٠م.

77- صحيفة همشهري بتاريخ ١٤/٥/٢٠٠٠م.

78- صحيفة همشهري بتاريخ ١١/٤/٢٠٠٠م.

ومجمع تحديد مصلحة النظام والسلطة القضائية موضع هجوم ونقد، وإن قراءة واعية للأحداث التي تقع في إيران تكشف عن طبيعة هذا الصراع وطبيعة أطرافه.

إن محاولـــة اغتـــيال الزعيم الإصلاحي سعيد حجاريان نائب رئيس المجلس المحلـــي لطهـــران وأســـلوب محاكمة المتهمين الذي يفسره الإصلاحيون بأنه وسيلة للحـــيلولة دون اكتشـــاف الخـــيوط الســـرية التي تربط المتهمين ببعض مراكز القوة العســـكرية والدينـــية هو إحدى النماذج الصارخة، فعلى رغم آراء الخبراء القانونيين ومطالبة الصحف والرأي العام بأن لايتعجل القاضي في إصدار الحكم ويتيح الفرصة للإمساك بشبكة الاغتيالات التي قامت باغتيال سعيد حجاريان وعدد آخر من الأبرياء، وحـــتى يـــدرك هـــو نفسه أيضا الأبعاد السياسية والأيديولوجية لهذه الحركة، فقد قام القاضـــي بإصدار الحكم قبل الموعد المحدد ولم ينتظر سماع شهادة المجني عليه التي ربما تكشف كثيرا من الأشياء المبهمة، كما تراوحت العقوبة التي حكم بها على خمسة مـــن المتهمين مابين ١٥ و٣ سنوات وهي أقل عقوبة ممكنة بعد الخدع القانونية فضلا عن تبرئة ثلاثة متهمين[٧٩].

قام المحافظون بتعبئة الرأي العام ضد الإصلاحيين بحجة اشتراك بعضهم في مؤتمر دولي عقد في برلين تحت عنوان (إيران بعد الانتخابات)، واعتقال أربعة من كبار الإصلاحيين المشاركين فيه وهم أكبر كنجي وحميد رضا جلائيبور وعلي رضا علويتبار وحجة الإسلام يوسفي اشكوري الذي اتهم بالارتداد زيادة في إذلاله، وتعنيف المسئولين في الإذاعة والتليفزيون لإذاعة بعض وقائعه، مما أدى إلى تصاعد الصراع بيـــن المحافظين الإصلاحيين، حيث قامت بعض القيادات من المحافظين بإغلاق عدد من صحف الإصلاحيين، ويفسر المحلل السياسي ناصر بيران هذه الأحداث بقوله:"إن القـــوى المعارضـــة للإصلاح هي من قام بهذه الأحداث خلال الشهور الأخيرة بهدف إحـــداث مواجهـــة بيـــن الإصلاح وبين القيم والمعتقدات الدينية في حين أن مجموع الـــتحديات الجاريـــة بين الإصلاح والقيم له وجهان متمايزان: الأول طبيعي وتاريخي ولايمكن تجنبه ويمكن أن نلمسه في إدراك المعارضين له وقلق طائفة من علماء الدين

---

[79] - صحيفة مشهري بتاريخ ١٩/٥/٢٠٠٠م.

والمتدينين حول أبعاد الإصلاح، أما الوجه الثاني فهو صوري ومصطنع وغير واقعي تماماً حاكته طائفة من اللاعبين السياسيين كنوع من الحرب النفسية وإثارة المشاعر الدينية للجماهير وتشويش أذهان النخبة[80]." إن قضية الإغلاق المستمر للصحف – كما يقول كامبيز نوروزي أمين نقابة الصحفيين للشؤون القانونية – لاتتفق مع القوانين المعمول بها في البلاد من نواحي متعددة لذلك فهي ليست قانونية لأن المستندات التي عرضت مستندات غير صحيحة والطريقة التي تتم بها طريقة غير قانونية[81]. ويقول بيان جبهة الثاني من خرداد:" إن هذا الإجراء لم يسبق له مثيل ويثير التساؤلات ويستهدف إضعاف إدارة السلطة القضائية واستقلالها وأركان نظام الجمهورية الإسلامية، إن هذا الإجراء ينبغي أن ينظر إليه كحلقة من سلسلة الإجراءات المتتابعة التي خططت لها قيادات خلق الأزمات كجزء من الاستراتيجية الفعالة لأعداء الحكومة، إن تركيز الدعاية ضد مؤتمر برلين والترويج المستمر لها من إدارة هيئة الإذاعة والتليفزيون التي نزلت من مستوى الهيئة الوطنية إلى مستوي أداة حزبية، وتفصيل الشعارات وترويجها من أجل إثارة المشاعر الدينية للجماهير وعقد الاجتماعات وإصدار البيانات وأعمال الاعتصام والمسيرات المشبوهة كل هذه الأعمال تشير إلى خلق الأزمات وإيجاد التوتر وتوجيه الاتهام إلى جبهة الثاني من خرداد والقوى المتدينة الإصلاحية وأبناء الثورة والإمام المخلصين، إن حرية الصحافة من جملة الانجازات القيمة لنظام الجمهورية الإسلامية وإن إصلاح الساحة الصحفية وتلبية احتياجاتها بما يتناسب مع الأسس العقائدية والموازين القانونية والأخلاق الإسلامية ضرورة لايمكن إنكارها وهي أكبر وأولى من الجميع ويجب أن تتحقق في أجهزة الإعلام ومنها الإذاعة والتليفزيون وجميع المنابر الرسمية وغير الرسمية[82]." ويعبر حجة الإسلام أبطحي مدير مكتب رئيس الجمهورية عن موقف الرئيس بقوله:" إن تعطيل الصحف حركة متعجلة ولامبرر لها فلاهي رغبة من الزعيم ولاهي حل لمشكلات البلاد[83]." في

---

[80]- صحيفة اخبار ايران بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٠م.

[81]- صحيفة اخبار ايران بتاريخ ٢٧/٤/٢٠٠٠م.

[82]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٠م.

[83]- صحيفة اخبار ايران بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٠م.

حيـــن أكـــد وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي أن هذا الإجراء سوف يؤدي إلى الهرج والمرج في الساحة الصحفية والإعلامية وسوف يغرق مستقبل حرية البيان والقلم في الغموض الإبهام[٨٤]. فإذا كان آيةالله هاشمي شاهرودي رئيس السلطة القضائية قد وعد بمـــراعاة الحقـــوق الصـــحفية وفقـــا للدستور وطلب ذلك من المسئولين في السلطة القضـــائية[٨٥]. فقد أكد الزعيم خامنئي أن صحف الإصلاحيين قد صارت قاعدة للعدو وأيـــده في ذلك آيةالله رفسنجاني الذي أيد إغلاق هذه الصحف مؤكدا أن مؤتمر برلين مؤامـــرة أمريكـــية، وإذا كـــان رفسنجاني قد ألمح إلي استخدام القوة ضد من وصفهم بـــالأعداء والمتسللين فقد بادر علي شمخاني وزير الدفاع إلى التصريح بأنه ينبغي أن نعمل بشكل نبعد به أية شبهة لتدخل القوات المسلحة في السياسة[٨٦]. لكن جيش حراس الثورة الذي لا يخضع لسلطة شامخاني لم يقل كلمته بعد وسيظل العصا التي يمسك بها قـــادة الـــنظام لتهديد المتطرفين من الإصلاحيين خاصة إذا أثاروا قضية تقنين ولاية الفقـــيه وتحديـــد صـــلاحياته بالدستور لأن هذا سيكون معناه إحداث تغيير جذري في النظام وقد أصدر مجلس الخبراء بيانا أكد فيه هذه الحقيقة، وجاء في البيان:" إن نظامنا الإســـلامي يتمـــيز بميزتيـــن أساسيتين هما الحركة الشعبية والالتزام الإسلامي وإن استمراره وقوته رهن بهما وإن إضعاف أحدهما يلحق الضرر بالنظام، إن ولاية الفقيه هـــي محور الوحدة الشعبية ونقطة ارتكاز جيع أحباء الثورة، وإن كلام ولي الأمر هو فصـــل الخطـــاب للمناقشات وحكمه فصل في الخلافات ومبدأ ولاية الفقيه هو العمود الفقري للنظام الإسلامي وإن خدشه أو الطعن عليه بشبهات لا أساس لها يعتبر مخالفا للشرع المقدس والدستور[٨٧]." وإذا كان الزعيم خامنئي قد رفض فتح ملف العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية واعتبر تطبيع العلاقات معها منافيا لمبدأ الاستقلال وقد أيده في ذلك آية الله رفسنجاني والمحافظون إلا أن الإصلاحيين لم يتوقفوا عن إثارة القضية فـــي غمـــرة الصراع، حيث أكدت صحيفة ايران نيوز الإصلاحية أنه لامفر من بدء

---

[84]- صحيفة اخبار ايران بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٠م.

[85]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٠م.

[86]- صحيفة ايران بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٠م.

[87]- صحيفة همشهري بتاريخ ١٢/٤/٢٠٠٠م.

المفاوضـــات بين طهران وواشنطن قريبا بهدف إعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما لأن هذا يخدم مصالح الطرفين فالتنمية في إيران بحاجة إلى التكنولوجيا ورؤوس الأموال الأمريكـــية فـــي حين أن الولايات المتحدة تستطيع الاستفادة من الموقع الاستراتيجي لإيـــران في الحفاظ على مصالحها في الشرق الأوسط[٨٨]. ولم يصدر حتي الآن قرار بوقف الصحيفة.

وعلـــى كل حال فقد توقف مسلسل مصادرة الصحف واعتقال الصحفيين بل وتـــم الإفـــراج عن بعض الصحفيين المعتقلين وإلغاء أحكام وقف الصحف المصادرة دعمـــا للرغـــبة في إعادة الهدوء واستقرار الأوضاع، إلا أن الإصلاحيين في مجلس الشـــورى الإسلامي تقدموا بتعديل لقانون الصحافة أثار كثيرا من المناقشات والجدل، وقد أكد الإصلاحيون أن وجود صحافة حرة ومستقلة يخلق المجال للقيام بالإصلاحات ويحقـــق تكـــامل الجمهورية الإسلامية والمجتمع المدني ويكفل التعادل بين السلطات الـــثلاث وســـائر المؤسسات الحاكمة، يقول رجب علي مزروعي عضو البرلمان عن دائـــرة أصفهان:" إن خدش أمن الصحافة واستقلالها المهني يضر بالحكومة والشعب". ويقـــول عليرضا نوري ممثل طهران:" إذا لم يتمتع الصحفي بالحرية المكفولة له في الدســـتور فكيف يمكن جذب رأس المال الأجنبي والسياحة لبلادنا." ويقول سيد طاهر موســـوي ممـــثل كـــرج:" إن مصادرة الصحف وسجن الصحفيين يتناقض مع شعار الإصـــلاح القضـــائي."[٨٩] وقد تدخل الزعيم خامنئي لوقف الضجة المثارة حول قانون الصـــحافة الـــذي ينوي مجلس الشوري الإسلامي إصداره فأمر المجلس بعدم إصدار قانون جديد والتركيز على إصلاح القانون الحالي، مما دفع بالأعضاء الإصلاحيين في المجلس إلى الإكثار من التعديلات على القانون بما يخرجه من ثوبه القديم ويعيد تفسير كثـــير مـــن بـــنوده علي هذا الأساس، وتقديم هذه التفسيرات إلى مجلس الرقابة على القوانيـــن لإقـــراره، لكـــن مجلس الرقابة رفض هذه التفسيرات، وقد اعترض مجلس الشـــوري بشـــدة علـــي موقف مجلس الرقابة، وصرح مهدي كروبي رئيس البرلمان

88- صحيفة ايران نيوز بتاريخ ٢٠/٤/٢٠٠٠م.

89- صحيفة همشهري بتاريخ ١٠/١٠/٢٠٠٠م.

بقولـه:" إن موقف مجلس الرقابة عجيب فليأت هو ويقوم بالأمر كله بدلا من البرلمان وليفسـر إعادة النظر في الدستور أيضا، إن موقفهم يسيئ إلى فهم ما جاء في رسالة الزعـيم إلـى المجلس من أن القانون الحالي قد استطاع إلى حد ما منع ظهور آفات كبـيرة وإن تغييره ليس من مصلحة النظام والبلاد وإن التغيير فيه وغير ذلك يتم في لجنة الثقافة في المجلس".[90] وصرح بهزاد نبوي نائب رئيس مجلس الشورى الإسلامي بـأن رفض مجلس الرقابة خطوة في سبيل وصول المجلس إلى طريق مسدود وإيجاد انسـداد سياسـي وهوما ليس في مصلحة البلاد والنظام[91]. واضطر مجلس الشورى الإسـلامي إلـى رفع الأمر إلى مجمع تحديد مصلحة النظام للفصل بينه وبين مجلس الرقابة.

وقـد دعا خاتمي أنصاره إلى ضبط النفس، وقال في كلمة ألقاها في العرض العسـكري فـي ذكرى فشل عملية طبس الأمريكية لتحرير رهائن السفارة الأمريكية بطهـران:" إن إيران تحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى الهدوء والتضامن من أجل بلوغ أهدافها خصوصا مع الاستعداد لبدء أعمال مجلس الشورى الإسلامي الجديد وسـوف نتمكن بعون الله من حل المشكلات الأساسية وبناء مستقبل أفضل[92]." ثم تابع خاتمـي دعوته في لقائه مع أعضاء المجلس المحلي لطهران بقوله:" ينبغي أن يسعى الجميع عند نشوب أزمة أو توتر في المجتمع لتحديد الإطار والدفاع عن المبادئ وعدم إضـاعة الطريق وتأمين مصالح المجتمع والتحرك في إطار القانون من خلال التحلي بالـتعقل وضـبط الـنفس، إننا ينبغي أن نهتم بمطالب الجيل الجديد وتلبية احتياجاته الواقعـية والمشـروعة وتوجيه مطالبه، إن إقرار القيادة الشعبية والحرية في بلد مثل إيران لن يتحقق إلا بالاعتماد على أصول هوية هذا الشعب ودينه وأخلاقه إن الحرية والقـيادة الشعبية والمشاركة الجماهيرية والمجتمع المدني مطالب لها جذور في الثورة الإسلامية ويقرها الدستور، لقد بدأت الثورة مرحلة جديدة من حياتها الاجتماعية ومن

90- صحيفة همشهري بتاريخ ١٩/١١/٢٠٠٠م.

91- صحيفة همشهري بتاريخ ١٩/١١/٢٠٠٠م.

92- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٠م.

العبث تجاهل السلطة لإرادة الشعب[93]." ومساندة لرئيس الجمهورية الإصلاحي أصدرت سبع عشرة جماعة سياسية إصلاحية بيانا استنكرت فيه حملات الإثارة ودعت إلى التزام الهدوء وإتاحة الفرصة للمسئولين للعمل علي إقرار الأوضاع[94]. ولاشك أن محاولة قادة النظام إلقاء حالة التوتر التي تسود إيران الآن على عاتق أعداء الثورة والنظام تعتبر محاولة لإعادة التضامن والانسجام بين جماعات النظام، يقول الرئيس خاتمي:" إننا اليوم في حاجة إلى الوحدة والتضامن كما أننا في حاجة إلي العمل وينبغي أن نصمد في مواجهة الضغوط التي تأتينا من الخارج وأن نقاوم أصحاب الفكر الضيق وسوء الفكر في الداخل وأن لانضيع الطريق وأن نحافظ علي وحدتنا واتحادنا[95]". وكانت قد وقعت مصادمات بين الجماهير وقوات الأمن في مدينة خرم آباد نتج عنها عدد من القتلى والجرحى مما أدى إلى تدخل المجلس الأعلى للأمن القومي وإرساله أحد عشر عضوا من أعضائه للتحقيق في ملابسات الأحداث والذين قدموا تقريرا في عشرين صفحة يتضمن رأيهم إلي رئيس الجمهورية ، وقد ظهر التفاوت واضحا بين هذا التقرير وتقرير هيئة التحقيقات العامة.[96]

ومن الواضح أن المتطرفين والمعارضة الداخلية والخارجية قد استفادوا من هذه الحالة مما دفع زعماء الجماعات السياسية إلي القيام بما من شأنه تخفيف التوتر مثل وقف الحملات الدعائية خاصة ضد عطاء الله مهاجراني وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي وحثه علي سحب استقالته وقد استجاب لذلك وقام بسحبها ، وقد أصدر أعضاء البرلمان بيانا يدافعون فيه عن وزير الثقافة أكدوا فيه أن أي تعديل وزاري قبل انتهاء مدة رئاسة خاتمي بأقل من سبعة أشهر ليس من مصلحة البلاد خاصة بعد أن أشيع أن هذا التعديل سوف يشمل وزارات الصناعة والتعدين والزراعة وجهاد التعمير والبرق والبريد والهاتف فضلا عن الثقافة والإرشاد الإسلامي[97] .

93- صحيفة ايران بتاريخ ٢٠٠٠/٤/٣٠م.

94- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٤/٢١م.

95- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٩/٢٠م.

96- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٧/١٩م

97- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/١٠/١٠م.

كذلــك أدانــت الجماعــات السياسية شائعة الحكم بارتداد حجة الإسلام حسن يوسفي أشكوري، وقد صرح رئيس مجلس الشوري بإدانة المجلس لهذا الافتراء مؤكدا أنه مسلم رغم رأيه في مسألة الحجاب ومسألة ولاية الفقيه ، واعتبر أن هذا الاتهام له آثار سلبية علي جمهورية إيران الإسلامية في الساحة الدولية[٩٨] .

كمــا وافــق مجلــس الشــوري الإسلامي علي قبول أوراق اعتماد كل من غلامرضا حداد عادل وعلي أكبر محتشمي پور لعضوية المجلس بعد معارضة قبولها إثر انتخابات الإعادة ، وقد صرح محمد رضا خاتمي نائب رئيس المجلس بلسان تكتل الثانــي من خرداد بأن هذا التكتل يفضل وجود بيئة خالية من التوتر والجلبة السياسية لتحقيق الأهداف الإصلاحية[٩٩] ، يقول پرويز پيران أستاذ علم الاجتماع بجامعة العلامة طباطبائــي :" هــذه الحركة الاجتماعية الراهنة حركة سلمية في إطار النظام وتؤمن بالدســتور وتطالــب بإصلاح ما نتج عن التحولات الاجتماعية من مشاكل وتراكمات شــعبية وليست هذه الحركة نتيجة مؤامرة عدة أشخاص أو نتيجة نشاط عدة مئات من الصــحفيين وبضع عشرات من الصحف وليست نتيجة أي صدام فردي مسبق ولكنها تعــبر عــن تشــكل الوعــي الجماعي[١٠٠]." ويشارك معظم المحللين هذا الأستاذ رأيه مؤكدين أن معالجة هذه الحالة بأسلوب غير سليم سوف يؤدي إلى مضاعفات لا تحمد عقباها، ولاشك أن دعوة الرئيس خاتمي للهدوء وضبط النفس تلقى تجاوبا لأنها تشير إلــى أن قــادة النظام في سبيلهم لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بإنهاء الأزمة، خاصة وأن الأصــوات المطالبة بإعادة انتخاب الرئيس سيد محمد خاتمي لفترة رئاسة ثانية بدأت تــتعالى مــن النخبة السياسية والشخصيات القيادية، وقد قام حجة الإسلام والمسلمين مهــدي كروبــي رئــيس مجلس الشورى الإسلامي بتكذيب شائعة عدم رغبة الرئيس خاتمــي فــي ترشــيح نفســه لفــترة رئاسة ثانية مؤكدا أن الجميع يسعون في إعادة ترشيحه[١٠١].

98- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٤/١٠/٢٠٠٠م.

99- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٤/١٠/٢٠٠٠م.

100- صحيفة ايران بتاريخ ٣٠/٤/٢٠٠٠م.

101- صحيفة همشهري بتاريخ ١٠/١٠/٢٠٠٠م.

إيران ورياح التغيير:

يعتـــبر بعـــض المحللين السياسيين أن مظاهرات الطلاب وتداعياتها حلقة في سلســـلة الصراع الدائر على الساحة السياسية الإيرانية بين المحافظين والإصلاحيين، ومـــع تبايـــن أساليب كل من الفريقين ومدى نجاحه أو فشله إلا أن الحقيقة التي بدت واضـــحة لأركـــان الـــنظام أن النظام على وشك أن يصل إلى مفترق طرق، بل إن الصـــراع بيـــن المحافظين والإصلاحيين قد يحتدم إلى الدرجة التي يمكن أن تعرض النظام للخطر أو تعجل بنهايته، وقد دلت الأحداث على أن موقف الفريقين لم يتغير ولم يـــنح إلـــى المهادنة أو المصالحة، فقد أدى استمرار مظاهرات الطلاب إلى أن تموج الساحة السياسية في إيران بحركة غير عادية ولغط شديد ألقى بظلال من القلق والشك والـــتردد على جماهير الشعب الإيراني بمختلف فئاته وطبقاته وميوله السياسية، حتى المثقفين والمحللين السياسيين باتوا في حيرة من غموض الأحداث المتلاحقة مع اقتراب انـــتخابات مجلـــس الشـــورى الإســـلامي والرئاسة الإيرانية وقد عبر آية الله هاشمي رفســـنجاني عـــن قلقـــه بهـــذا الشأن في قوله: أنا قلق من وجود نزاع بين المجالس والجماعات السياسية مع اقتراب موعد الانتخابات البرلمانية، وأنا أوصي المتخاصمين بالتفاهم قبل الانتخابات لأن النزاع يبعد الجماهير عن صناديق الاقتراع[١٠٢].

مشروع الاقتدار الوطني:

ماجـــت الســـاحة السياسية في إيران الآن بحركة غير عادية ولغط شديد ألقى بظـــلال من القلق والشك والتردد على جماهير الشعب الإيراني بمختلف فئاته وطبقاته وميوله السياسية، حتى المثقفين والمحللين السياسيين الذين باتوا في حيرة من غموض الأحـــداث المـــتلاحقة مـــع اقتراب انتخابات الرئاسة الإيرانية لايجدون تعليلا معقولا لموقـــف المحافظين من هذه الانتخابات وعدم تقديمهم لمرشح قوي يستطيع أن ينافس خاتمي في هذه الانتخابات، أو لتردد خاتمي في خوضها ودموعه التي فاجأت عدسات المصـــورين يـــوم تقدمه لترشيح نفسه، أو سبب التكالب الشديد علي الترشيح للرئاسة

102 - صحيفة انتخاب في ٢٠٠٣/٦/١٧م

حيث أقفل باب الترشيح على ٨١٤ مرشحا وهو عدد لم يتقدم مثله من قبل خلال الدورات السبع الماضية. إذا كان الإصلاحيون قد باتوا ليلة إغلاق باب الترشيح علي ثقة من فوز الرئيس خاتمي بدورة رئاسة ثانية بعد التأكد من عدم وجود مرشح قوي يخشونه إلا أن الشك لم يزايلهم في مايخفيه المحافظون من مفاجآت وحتي الإعلان النهائي لنتيجة الانتخابات بفوز مرشحهم، فهم يدركون أن المحافظين لايتراجعون بهذه السهولة ولايرضون بالخروج من الساحة في الوقت الذي يعتبرون فيه أنفسهم أصحاب النظام وحماته والأولى بإدارته والأجدر بالمحافظة على إنجازاته.

إن وقفة متأنية أمام الأحداث الأخيرة وتحركات قادة النظام وأركانه ربما تكشف لنا سر الارتباك الحاصل وعدم وضوح الرؤية لدى العامة والكثير من الخاصة، فلقد كان من الضروري للمحافظين أن يواكبوا تلك الحركة السريعة للإصلاحيين بقيادة خاتمي على المسرح السياسي، ومع تباين أساليب كل من الفريقين ومدى نجاحه أو فشله إلا أن الحقيقة التي بدت واضحة لأركان النظام أن النظام على وشك أن يصل إلى مفترق طرق، بل إن الصراع بين المحافظين والإصلاحيين قد يحتدم إلى الدرجة التي يمكن أن تعرض النظام للخطر أو تعجل بنهايته، يقول الزعيم خامنئي:" إن العدو مع اقتراب أيام الانتخابات يسعى لإيجاد الاحتدام السياسي وإشعال الساحة، إن تضخيم المسائل الصغيرة وإيجاد التوتر والصراع بين الجماعات السياسية وتعميق الخلاف هي من أساليب إيجاد الاحتدام السياسي في المجتمع مما يجدر بكل شخص وبكل جماعة وخاصة الصحف أن تمتنع عن الأحاديث والتحركات المسببة للاحتدام في الساحة[103]." وقد دلت الأحداث على أن موقف الفريقين لم يتغير ولم ينح إلى المهادنة أو المصالحة، وقد عبر هاشمي رفسنجاني عن هذا الموقف بقوله:" من المؤسف أن المجتمع يعاني من نوع من عدم الشفافية في المواقف والتعبير عن الرأي كما تعاني الساحة السياسية من التناقض والأكليشيهات والتهم المتبادلة بين الجماعات السياسية والأجنحة والأحزاب وهذا يثير قلقنا لأنه يفيد أعداء الثورة الحاقدين[104]." كما أبدى علي أكبر

---

103 - صحيفة اطلاعات في ٢٠٠١/٢/١٧م

104 - صحيفة همشهري في ٢٠٠١/٢/١٥م

موســوي خوئينــي نائــب طهــران انــزعاجه مــن تطور الصراع بين المحافظين والإصــلاحيين مؤكــدا أن الصــراع قــد امتد من الصحف والصحفيين إلى الحركة الطلابية[105]. وحذر الزعيم خامنئي من مغبة التمادي في الصراع والخلاف بقوله:" إن الــناس يــريدون الأمــن الحقيقي وهذا المطلب الأساسي لايتحقق بشطحات وتفلسف المحافل الثقافية والألاعيب السياسية لطلاب السلطة واللامبالاة والصراع السياسي بين الجماعات والأجنحة[106]." كذلك اتهم خاتمي ضيقي النظر والاحتكاريين السياسيين في الداخــل بالوقوف في وجه الحركة الفياضة الهادرة للإصلاح التي تسعى لإقرار نظام شــعبي ديني بشكل كامل[107]. وأكد حسن روحاني أمين المجلس الأعلى للأمن القومي أن مــن الضــروري أن يقوم سلوك الساسة على أصول وقواعد اللعبة السياسية وإلا ستعم الفوضى[108]. ولم يكتف أركان النظام بالتنبيه والتحذير بل اجتهدوا في البحث عن مخــرج مــن هذا الوضع المتأزم، وتباينت أفكارهم والمشروعات التي طرحوها، وقد أكثروا من عقد الندوات والمؤتمرات في مختلف أنحاء البلاد وخاصة العاصمة طهران وفي معظم المجالات حول الموضوعات الحساسة وخاصة موضوعات الأمن والوحدة الوطنــية وولايــة الفقــيه، يقول الرئيس خاتمي في افتتاح ندوة الأمن العام والوحدة الوطنية:" في مجتمع يسعى للتقدم ينبغي أن يكون لكل جمعية وتكتل هوية ولائحة وأن يتحرك في إطار القانون وأن يجد صدى لسلوكه في المجتمع[109]." ويقول علي يونسي وزيــر المعلومات في نفس الندوة:" إن صرح الزعامة هو مظهر الوحدة الوطنية وإن إضــعاف هــذا الصرح هو إضعاف لكل القيم الدينية والقومية[110]." كذلك دافع آية الله مشــكيني رئيس مجلس الخبراء عن ولاية الفقيه مؤكدا أن الفقيه مثل الإمام له الولاية التشــريعية على الأنفس والأموال فإذا كان معنى ولاية الفقيه هو هذا فلا داعي لتقييده

---

[105] – صحيفة كيهان في ٢٠٠١/٢/١٩م

[106] – صحيفة اطلاعات في ٢٠٠١/٢/١٤م

[107] – صحيفة كيهان في ٢٠٠١/٢/١٤م

[108] – صحيفة همشهري في ٢٠٠١/٢/١٤م

[109] – صحيفة همشهري في ٢٠٠١/٢/١٣م

[110] – المصدر السابق.

بالقـــانون فأساس صلاحيات الولاية هو مصلحة الأمة[111]." ويقول خامنئي في مؤتمر تعبئة طلاب الجامعات:" إن المسؤولية الكبيرة لطلاب التعبئة تكمن في فهمهم الصحيح وتحلـــيلهم الواعـــي والجذري للقضايا الأساسية في البلاد وتواجدهم اليقظ والمتحرك والفعال في الساحة[112]." كما عقد مؤتمر تحت اسم المنافسات السياسية والأمن القومي افتتحه آية الله رفسنجاني رئيس مجمع تحديد مصلحة النظام بكلمة قال فيها:" من الخير أن يجتمع ناشطون سياسيون في الظروف الحساسة الحالية للتفاهم والتفاعل والتجانس فـــي المنافســـات السياســـية من أجل المحافظة على المصالح الوطنية، فلقد كان اتخاذ تدابـــير وأســـاليب تعـــادل بين الأحداث السياسية داخل أسرة الثورة منذ قيامها مؤثرا ومفيدا في إدارة شئون البلاد وحل قضاياه ومشاكله[113]."

يعتـــبر المشـــروع الـــذي أعلنه الزعيم آية الله خامنئي مع بداية فترة رئاسة خاتمي الثانية وأسماه بالاقتدار الوطني بلورة للأفكار التي طرحها مجمع تحديد مصلحة النظام لوقف الصراع بين المحافظين والإصلاحيين، فلقد اشتمل علي عدة نقاط أساسية تعنى بالوحدة الوطنية والاقتصاد ومحاربة الفساد والتفرقة، وهي الأسس التي يمكن أن تقوم عليها حكومة قوية وفق رغبة الشعب وإرادته[114]. ويشرح خاتمي أسس مشروع الاقتدار الوطني في لقائه بمسئولي هيئة الإدارة والتخطيط بقوله:" ينبغي أن نرى ماهي رغـــبات الـــناس ومـــا يريدون ثم نسعى لتحقيقها وهذا هو المعنى الصحيح للاقتدار الوطنـــي الذي يستتبعه النمو الاقتصادي والثقافي والاجتماعي أيضا، فالاقتدار الوطني أمـــر أساسي وجوهري، فبالنظر إلى الكيان الإنساني والمجتمع الإنساني المعقد يكون إرجـــاع كـــل الـــتحولات والتغيرات إلى عامل واحد أمرا ساذجا وخطئا كبيرا، هناك عوامل متعددة لها تأثير على التغيرات والتحولات الاجتماعية منها الإعلام والاقتصاد والقوات المسلحة والأمن الفعال والمسائل الثقافية والعلمية من الممكن أن تقلل أو تزيد فقط من أهمية دورها، من الممكن أن تكون هناك حكومة في أوج قوتها الأمنية ولكن

---

[111] - نفس المصدر.

[112] - المصدر نفسه.

[113] - صحيفة اطلاعات في ٢٠٠١/٢/٢٤م

[114] - صحيفة كيهان في ٢٠٠١/٤/١٠م

لـــيس لهـــا اقـــتدار، فالاقتدار الوطني يكون بميزان القبول الشعبي لقدرة الحاكم التي يمارسها على الجماهير، والقدرة الاجتماعية تنشأ سواء في الداخل أو الخارج من إرادة الإنسان ولاتتحقق في ممارسة أية قوة سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة مالم تكن متفقة مع رغبات الشعب، هناك بحوث نظرية مختلفة في مجال الاقتدار الوطني إلا أن الدستور هو أساس العمل في المجتمع وإلا فإن المجتمع يتفسخ، فالاقتدار الوطني ليس مشروعا فقط بل مطلوب وليس مباحا فقط بل لازم، إن امتلاك عناصر القدرة وتوجه أصـــحابها لمنشـــأ القـــدرة أي الجماهـــير هو أهم لوازم الاقتدار، فتمتع الحكام بالقوة السياســـية والعسكرية والأمنية والاقتصادية والعلمية هو امتداد لرغبة الشعب وإرادته، وإن الانتخابات هي دليل مشروعية ومقبولية النظام ودليل اقتداره، إن الاقتدار الوطني يعنـــي تهيـــئة الظروف التي نقول فيها كلمتنا دون ضجة وشجار، ونضع فيها أساليب إدارتنا حسب رأي الشعب، وأن نسلم لرغبات الجماهير بعد تحديدها وأن نجتمع حولها ونلبـــيها، والاقـــتدار الوطنـــي أيضا في حاجة إلى الاهتمام بجميع الأبعاد الاقتصادية والثقافـــية والعلمـــية والفنية ومصادر القوة، ولكن الأهم من ذلك هو أن تكون مختلف مجـــالات التنمـــية والـــتقدم في مسيرة رغبات الشعب وإرادته[115]. ويتضح من حديث خاتمـــي أنـــه كـــان يقبل بمشروع الاقتدار الوطني كمنهج عمل مع بعض التعديلات والتفســـيرات خاصة فيما يتعلق بمسألة ولاية الفقيه حيث يشير إلى موقع الزعامة في نظام الجمهورية الإسلامية بقوله:" وحتى الزعيم الذي هو أهم أركان النظام، وله موقع رفـــيع فيه، يختاره مجلس الخبراء الذي ينتخبه الشعب، وإن بقاء الزعيم ومشروعيته يظلان دائما تحت رقابة هذا المجلس أيضا، وعندما يكون اختيار الزعيم وموقعه تحت الرقابة غير المباشرة للشعب دائما يكون واجب سائر أركان النظام واضحا تماما وذلك وفقا لقاعدة (مشهور الزمان ومطلوبه) الفقهية[116]." ورغم تأييد خاتمي للمشروع إلا أنه لم ينجح في وقف الصراع.

---

115 - صحيفة همشهري في ٢٠٠١/٤/١٢م

116 - المصدر السابق

وقــد دعــا رفسنجاني المسئولين الإيرانيين إلى الكف عن الجدل حول مفهوم عــبارة الاقتدار الوطني والاتجاه للعمل بالمشروع، حيث لم تعد حاجة إلى البحث فيه بعــد أن اختار الزعيم هذه العبارة كعنوان للمشروع وهو الوحيد الذي يرجع إليه في توضــيح المفاهــيم عند الحاجة، وعلى البرلمان والحكومة والسلطة القضائية وجميع الأجهزة طرح السبل التنفيذية والبرامج التي تحقق هذا الاقتدار الوطني، حيث أن هذا المشــروع الذي طرحه الزعيم كشعار لهذا العام يتجاوب مع قطاع مهم من احتياجات المجــتمع فــي الوقت الراهن، وهذا الطرح ليس حق الزعيم وواجبه لإرشاد المجتمع فحســب، بل هو نظرية منطقية وتجريبية توصلنا أيضا إلى أن البلاد حقيقة في حاجة إلى هذين المبدأين الآن، وإني أعتقد أن الاقتدار الوطني يتمثل مظهره في إيجاد فرص العمل[١١٧]." وإزاء ما أثير من تساؤلات حول بعض مفاهيم الاقتدار الوطني عمد الزعيم خامنئي إلى التأكيد على أن القوات المسلحة رغم أنها إحدى ركائز الاقتدار الوطني إلا أن الاقــتدار الوطني مفهوم مركب ومقولة معقدة تماما، ليست بمعنى العسكرة وليست حجــة لعــزل العمل العسكري[١١٨]. على كل حال فإن مشروع الاقتدار الوطني قد تم وضــعه علــى يــد مجمع تحديد مصلحة النظام بتوجيه من آية الله رفسنجاني، وأقره وأعلــنه الزعيم خامنئي، أي أنه خرج من عباءة المحافظين على أعلى مستوى بهدف وضع إطار لوحدة وطنية في المرحلة القادمة، وأصبح يتوجب على الإصلاحيين قبوله إن أرادوا الاستمرار في مسيرتهم الإصلاحية من خلال القنوات الرسمية للنظام، ولعل هــذا ما جعل خاتمي يتردد في ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة، ثم يقرر ترشيح نفسه بعــد أن نـــاقش مع الزعيم خامنئي بعض التفسيرات والتعديلات على هذا المشروع، وإعلانـــا عن حسن نوايا المحافظين فلم يتقدموا بمرشح قوي في مواجهة خاتمي، وما دموع خاتمي التي شاهدها الجميع إلا تعبيرا عن اضطراره أن يخوض المرحلة القادمة علــى لائحـــة المحافظيـــن ووفق مشروعهم للاقتدار الوطني، وذلك من أجل الوحدة الوطنية، واستمرار الحركة الإصلاحية المقيدة.

117 - صحيفة اطلاعات في ٢٠٠١/٤/١٨م

118 - صحيفة همشهري في ٢٠٠١/٤/١٨م

وقد لاحظ بعض المحللين توجه أركان النظام نحو إيجاد صياغة فكرية جديدة لوقف الصراع السياسي بين الجماعات السياسية، فأكد محمد مهدي فقيهي رئيس تحرير صحيفة انتخاب أن صياغة فكرية لتيار ديني جديد تتبلور بهدف مواجهة الأفكار المتحجرة[١١٩]. ويقول آية الله هاشمي رفسنجاني:" من الخير أن يجتمع ناشطون سياسيون في الظروف الحساسة الحالية للتفاهم والتفاعل والتجانس في المنافسات السياسية من أجل المحافظة على المصالح الوطنية، فلقد كان اتخاذ تدابير وأساليب تعادل بين الأحداث السياسية داخل أسرة الثورة منذ قيامها مؤثرا ومفيدا في إدارة شئون البلاد وحل قضاياها ومشاكلها[١٢٠]."

لكن الصراع بين المحافظين والإصلاحيين انتقل من داخل الجامعات إلى مجالس التشريع الرئيسية في إيران ومعها رئاسة الجمهورية، واشتد حول ميزانية مجلس الرقابة على القوانين لهذا العام، وعندما رفع الخلاف إلى مجمع تحديد مصلحة النظام أصدر قراره بزيادة ميزانية مجلس الرقابة فانقلب الإصلاحيون عليه، يقول ناصر قوامي رئيس اللجنة القانونية بمجلس الشورى معترضا على قرار المجمع ومشيرا إلى المادة ١١٢ من الدستور: إن المجمع عليه أن يقبل رأي أي من المجلسين أما التقنين فإنه من حق مجلس الشورى الإسلامي وحده، وبذلك فإن إقرار الزيادة ينبغي أن يتم عن طريق هذا المجلس وقال: اعلموا أن في البلاد خمسة مجالس للتشريع هي مجلس الرقابة على القوانين ومجمع تحديد المصلحة والمجلس الأعلى للثورة الثقافية والمجلس الأعلى للأمن القومي إلى جانب مجلس الشورى وهذا لا يجوز دستوريا، وقال علي أكبر محتشمي إن تصرف المجمع بدعة وإن تصرف رئيس المجمع بترك رئيسي السلطتين التنفيذية والتشريعية يخرجان مع استمرار الجلسة ثم أخذ التصويت يفقد القرار الوجاهة القانونية، وقال محمد على أبطحي مساعد الرئيس للشؤون البرلمانية والقانونية إن مسألة الميزانية أمر فرعي لكن أصل القضية هو إيجاد المجمع لبدعة جديدة، وقد أكد مهدي كروبي ذلك بقوله: ليست المسألة مسألة نقود

---

[119] – صحيفة انتخاب في ٢٠٠١/٢/١٢م

[120] – صحيفة اطلاعات في ٢٠٠١/٢/٢٤م

ولكنها بدعة جديدة، وإن انسحابي من جلسة المجمع إنما بمثابة اعتراض على تجاوزه لصلاحياته، كذلك طالب ١٥٠ عضوا بمجلس الشورى إلغاء قرار مجمع تحديد المصلحة في رسالة مفتوحة موجهة إلى رئيس المجمع لأن هذا القرار يعتبر تدخلا في التشريع وهو حق من حقوق المجلس، وقد اعتبر المحافظون هذا الاعتراض تجاوزا لحدود الصلاحيات، وقال علي ياري زعيم الأقلية المحافظة في المجلس: إن تصرف الأعضاء الإصلاحيين هذا هو رد فعل لهزيمتهم في انتخابات المجالس الإسلامية، وقال موسى قرباني: إن المادة ١١٢ من الدستور لم تصرح بأن على المجمع أن يقبل برأي أحد الطرفين وإنما بالتحكيم بينهما وحل الخلاف، وقد بادر مجمع تحديد مصلحة النظام بالرد على رسالة المعترضين من أعضاء مجلس الشورى مؤكدا أن بعض النواب والصحف والمحافل والأفراد اتخذوا من قرار المجمع الذي يستهدف المصلحة العامة وتنفيذ برامج الدولة ورفع مشكلات البلاد والموافقة على مصوبات مجلس الشورى والحكومة ذريعة للغط والشجار وعرض أمور بعيدة عن الحق والحقيقة، لأن إقرار عشرة مواضع من اثني عشر موضعا للخلاف بين المجلسين لصالح مجلس الشورى الإسلامي والحكومة عمل إيجابي، وكان من المنتظر من رئيس المجلس ورئيس الجمهورية ورئيس لجنة التخطيط والميزانية ورئيس اللجنة الاقتصادية بالمجلس ووزير الاقتصاد والمالية ورئيس هيئة الإدارة والتخطيط الذين حضروا وعلموا الجهد الذي بذل لإصلاح الميزانية أن يعبروا بهدوء عن بعض جوانب إصلاح الميزانية وقرارات المجمع الهامة حول مشاكل الميزانية على الأقل لتوضيحها في أذهان الناس وممثليهم في المجلس، ولا يسمحوا بظهور هذا الحجم من الغوغائية للمغرضين والجاهلين[١٢١].

في ظل تمسك كل طرف من أطراف الصراع بموقفه تتوالى أحداث الصدام، لأن موقف الإصلاحيين يبدو متشبثا بضرورة تقنين الإصلاح السياسي الذي يتحقق به الإصـــلاح الاقتصـــادي والاجتماعـــي والثقافي، ويتمثل الإصلاح السياسي في إطلاق الحـــريات السياســـية فـــي إطار الدستور، مع فصل السلطات، ومنح مجلس الشورى

---

121 - صحيفة اطلاعات في ٢٠٠٣/٣/١٩م

الإســـلامي صلاحيات الرقابة التصحيحية على جميع أجهزة الدولة الحكومية والسيادية والشـــعبية، وزيـــادة صـــلاحيات رئيس الجمهورية في إطار القيادة الشعبية، باعتباره المسئول الوحيد المنتخب مباشرة من قبل الشعب، مع الدعوة للتفاهم بين المجالس لحل الخلافـــات دون الحاجة للرجوع إلى مجمع تحديد مصلحة النظام، وبهذه الصورة تقل ســـلطات بعـــض الأجهـــزة السيادية مثل جهاز الزعامة ومجمع تحديد مصلحة النظام ومجلس الرقابة على القوانين.

كمـــا يبدو أن المحافظين متشبثون باستمرار ولاية الفقيه كما أرادها الخميني، ودعـــم جهاز الزعامة والأجهزة الداعمة له، للمحافظة على منجزات الثورة الإسلامية وقـــيمها ومكاســـبها المعنوية والمادية، ودعم الكيان الشيعي وغاياته الدينية والمذهبية، ومنع الانزلاق إلى الثقافات الأجنبية التي لا تتناسب مع شخصية شعب إيران وتقاليده العريقة وتراثه الأصيل.

وقـــد أثـــارت أحـــداث الشـــغب في الجامعات والمدن الجامعية قضية لجوء الأطراف المتنازعة لاستخدام العنف في التعبير عن الاعتراض، حيث أكدت النخبة أن العنف كان وسيلة أعداء النظام منذ قيام الثورة، وأن اللجوء للعنف يمنع تحقيق الوحدة والانسجام في مواجهة التهديدات الأمريكية التي تترصد النظام وتحاول جره للمواجهة العســـكرية، وطالبـــت بالتعفف عن تشديد الخلاف أو إيجاد مبرر له[١٢٢]. في حين أكد المحـــافظون أن أحـــد وسائل الولايات المتحدة لإسقاط نظام الجمهورية الإسلامية هو الاعـــتماد علـــى طبقة مرفهة من التكنوقراط وهي طبقة تشكلت خلال العشر سنوات الماضـــية وتـــرتدي ثـــوب الإصـــلاحيين وتساعد على الفوضى وتستثمر الغوغائية والصـــحافة الحزبـــية والأوســـاط الشبابية والطلابية لتكون جماعة ضغط على النظام لتحـــيق أهدافهـــا وملء جيوبها ومنع تحقيق مصالح الناس والإصلاح الحقيقي[١٢٣]. أما الإصلاحيون فقد أكدوا على أن مظاهرات الطلاب ذات مطالب صنفية قامت اعتراضا على اتجاه خصخصة الجامعات، وقد حولها المتطرفون إلى اتجاه معاد للحكومة، مقرة

---

122 - صحيفة ايران في ٢٠٠٣/٦/١١م

123 - صحيفة كيهان في ٢٠٠٣/٦/١٢م

بـــأن سلوك الشرطة وقوات الأمن قد اتسم بالحكمة واختلف عما حدث في مظاهرات ١٨ تـــير ١٣٧٨هـــ.ش.(١٩٩٩/٧/٩م)[١٢٤]. وقد صرح علي يونسي وزير المعلومات بـــأن هـــذه المظاهرات جزء من حرب نفسية تترصد إيران وعلى الجميع أن يكونوا يقظين وأن نملك زمام المبادرة، إن استغلال عدم توفيق الإدارة وإعطاء صورة سوداء عن الأوضاع يحقق أهداف العدو، ويؤدي إلى رفع السلاح في مواجهة بعضنا البعض، إن أعداء الثورة يطرحون مستنداتهم من تصريحاتنا، وهذه ليست شفافية ولا واقعية بل هـــي تخريب حقيقي بأيدينا، ينبغي نقد القصور بمنطقية وتجنب التوقعات التي لا محل لها حيث يستفاد منها خارج حجم النظام التنفيذي للبلاد[١٢٥].

وقـــد أعلـــن حمـــيد رضـــا حاج بابايي عضو لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجـــية بمجلس الشورى الإسلامي تقريرا عن الأحداث الطلابية بعد اجتماع لجنة الأمـــن بـــالمجلس مع كل من الدكتور معين وزير العلوم ومرتضى مبلغ وكيل وزارة الداخلـــية للشئون السياسية وأحمدي وكيل الوزارة للشئون الأمنية والعميد قاليباف قائد الشرطة ورحماني محافظ طهران، وجاء في التقرير أن عددا من الطلاب كانوا بصدد طـــرح قضـــايا طلابية مثل خصخصة الجامعات وتطوير المدن الجامعية فاندس بينهم أفـــراد عمـــدوا إلـــى إثارة الطلاب، وقد تم اتخاذ إجراءات لتهدئة الطلاب وتم فصل العناصـــر الانتهازية عنهم، وقد أصبحت الأوضاع تحت السيطرة بعد كشف عناصر الاضـــطراب، ولقـــد كان عمل الشرطة إيجابيا كما كان عمل سلطة الادعاء والسلطة القضـــائية مرضيا، ولم يتجاوز جرحى الاضطرابات سبعين شخصا من قوات الأمن والمشـــاغبين وهـــم يـــتلقون العلاج، كما لم يسقط أي قتيل، وخربت ٢٢ سيارة و٣٤ دراجـــة بخاريـــة، وكـــان تعاون وزارتي العلوم والداخلية مع أجهزة الأمن والسلطة القضـــائية جيدا وفعالا، والجميع متفق على مواجهة أي تحرك يستهدف أمن المجتمع والجامعـــات[١٢٦]. كمـــا أعلن كروبي رئيس مجلس الشورى أن تعطيل الجامعات ليس

---

124 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٦/١٢م

125 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٦/١٦م

126 - صحيفة انتخاب في ٢٠٠٣/٦/١٦م

واردا، وإنما سيتم تأجيل الامتحانات التي تعقد في المدن الجامعية، كما ناقش المجلس قضـــية زيـــادة الأســـعار وأقر عددا من التدابير لوقف هذه الزيادة، وقد سعى العميد قاليـــباف قـــائد الشـــرطة إلى طمأنة الرأي العام بأن الأمور تعود إلى طبيعتها، وأن المعتقلين ليسوا من الطلاب[127]. أما آية الله محمود شاهرودي رئيس السلطة القضائية فقـــد أكـــد أن مطالـــب طـــلاب الجامعات عادية وأن من الضروري تحقيق مطالبهم المعقولـــة[128]. فـــي حين طالب محمد رضا خاتمي نائب رئيس مجلس الشورى رئيس الجمهورية بحسم الأمور لأن اعتراض الطلاب يرجع إلى عدم حسم الأمور[129].

وقـــد لخص رفسنجاني في خطبة الجمعة قضية مظاهرات الطلاب بقوله: إن الأحـــداث الأخـــيرة ناتجة عن قلق الطلاب من خصخصة الجامعات رغم تأكيد وزير العلـــوم على أن القضية لم تطرح، لكن المفسدين استغلوا الأحداث أما الشباب الوطني وخاصـــة طـــلاب الجامعات فهم حذرون من الوقوع في البئر التي حفرتها أمريكا أو الوقوع في شباك الفاسدين[130]. وقد أدلى أعمدة النظام بدلوهم لوقف الأحداث، حيث أكد الزعيم قوله بأنه لا ينبغي أن نترك قلة من المفسدين تلوث مناخ المجتمع والجامعات، وقـــال آيـــة الله يوسف صانعي: ينبغي أن يقوم كل بواجبه وينبغي أن يتحدث الجميع بـــدون خـــوف وأن تـــتم مقارعـــة الحجة بالحجة والرد على القلم بالقلم لا بالعصي والســـكاكين، وقـــال آية الله موسوي أردبيلي: يجب أن يعرف كل طرف موقع الآخر وتـــدرك كل شخصية مكانة الأخرى، وأن ننبذ الخلاف ونتجه للوفاق من أجل البلاد. وقـــال آيـــة الله مكـــارم شيرازي: على الجماعات السياسية الالتقاء والتفكير والبحث والمناقشـــة من أجل منع الأزمات[131]. وقد انقسمت الصحف في معالجة القضية وفق اتجاهاتهـــا الحزبـــية، ففـــي جانب الإصلاحيين أكد يوسف صدري في مقال بصحيفة انـــتخاب أن ٥٠% من سكان إيران أي ٣٥ مليونا هم من الشباب ومعظمهم يدرسون

---

127 - صحيفة ايران في ٢٠٠٣/٦/١٧م

128 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٦/١٧م

129 - صحيفة ايران في ٢٠٠٣/٦/١٦م

130 - صحيفة كيهان في ٢٠٠٣/٦/١٤م

131 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٦/١٣م

فـــي الجامعـــات وهـــم يواجهون مشاكل عديدة ويأملون في حلها من خلال الإصلاح السياسي، وإن عدم مشاركتهم في الساحة السياسية يمثل خطرا ويخلق حركات سياسية عنـــيفة ويوجـــد بـــؤرة أزمـــة، وهم يشعرون بمواجهة الإصلاح ومعارضته فكانت مظاهراتهم ذات جانب سياسي، وبغض النظر عن كون الأحداث صنفية أو سياسية إلا أنهـــا لا تخفـــي واقعـــا لا يقبل الإنكار وهو زيادة السخط العام على الأوضاع الحالية اقتصادية وسياسية وثقافية، وتدق جرس الخطر على البنية السياسية، وإن عدم الاهتمام بها سوف يؤدي إلى معضلة طال الوقت أم قصر[132]. كما طالب علي شكوهي بالعمل طالمـــا الفرصـــة مواتـــية، وأن على الثوريين(المحافظين) أن يؤمنوا بضرورة القيام بإصلاحات داخلية، وأن يكونوا مرنين في تقبل المزيد من الديمقراطية، وأن يدركوا أن عـــدم نجاح الحكومة هو العامل الأساسي لضرب القاعدة الشعبية للنظام، وأن يؤمنوا بعـــدم تســـييس المشاكل الاجتماعية لأن الوضع مهيأ للاضطراب وأن أقل سوء تدبير يمكـــن أن يؤدي إلى كارثة قومية، حيث أن أمريكا تهدف إلى تغيير النظام، وأنه لابد مـــن دعـــم العلاقـــة بين الأحزاب والحكومة وتلبية مطالب الجماعات السياسية بعدالة وقانونـــية، على أن تمتنع الأحزاب عن الخلط بين حساباتها والأحداث الطلابية، وأن تتخذ موقفا منطقيا من الأحداث[133]. وأما في جانب المحافظين فقد علق بژمان كريمي فـــي صـــحيفة رســـالت على تصريحات وزير الداخلية حول المظاهرات مطالبا إياه بتحقـــيق الأمن الاجتماعي قبل الأمن السياسي، مؤكدا أن غلاء أسعار الخدمات خطوة ضـــد الدستور، ومن ثم فقد طالب الحكومة بتصحيح الوضع، وأن لا تسكت على عدم الأمـــن الاجتماعـــي والسياسي، مشيرا إلى قول الزعيم بأن الولايات المتحدة تريد أن يسود التوتر في المجتمع الإيراني وخاصة في الجامعات[134].

من هنا يمكن ترجيح حدوث تغيير في إيران من خلال مبدأ المصلحة الشيعي مـــع اقـــتراب موعد الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، ولن يكون هذا التغيير لمصلحة

---

132 - صحيفة انتخاب في ٢٠٠٣/٦/١٦م

133 - انتخاب في ٢٠٠٣/٦/١٥م

134 - افتتاحية الصحيفة في ٢٠٠٣/٦/١٢م

جــناح علـــى حســـاب الجــناح الآخر، لأنه لن يحل المشكلة ولن يوقف الصراع مع الضـــغوط الأجنبـــية المتزايدة، والأرجح أنه سوف يتم تقسيم السلطة بين الجناحين مع إفساح المجال لتولي الجيل الثالث للثورة مسئولية القيادة والحكم، ولاشك أن هذا سوف يؤثر في عدد من ثوابت النظام ومتغيراته، إلا أنه لن يؤدي إلى تغيير النظام كلية إزاء طبيعة الشخصية الإيرانية المعقدة.

السياسة الليبرالية لخاتمي:

تشـــير السياســـة التي يتبعها الرئيس الإيراني سيد محمد خاتمي وسعيه لإبقاء النظام مع إصلاحه ليصل إلى مرحلة النضج السياسي، ويخرج من تقوقعه إلى مستوى الظـــروف التـــي تواجهـــه والأوضاع التي تكتنف المنطقة والعالم إلى توجه ليبرالي، وليبرالية خاتمي لا تأتي من فراغ على عكس ما يبدو من كونه أحد علماء الدين، حيث يـــرجع إلـــى قيادته حركة الإصلاح في إيران الفضل في تركيز الجماعات السياسية وتـــبلورها واتخاذهـــا شـــكل الأحزاب السياسية وتفعيل دورها في تنمية الديمقراطية، ولاشك أن مشروع خاتمي الذي يجمع بين الليبرالية والشيعية في ثوب جديد وليد فكر سياسي وتجربة في الحكم والإدارة، حيث أدرك أن المجتمع المدني الذي ينشد الوصول إلـــيه يحتاج إلى قيادة من نوع جديد ترشد المواطنين بل والنظام كله إلى الطريق الذي ينبغي سلوكه للوصول إلى تحقيق قيام هذا المجتمع خلال المرحلة المقبلة، ويشرح ذلك بقولـــه: إن القـــدرة الاجتماعـــية تنشأ سواء في الداخل أو الخارج من إرادة الإنسان ولاتـــتحقق في ممارسة أية قوة سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة مالم تكن متفقة مـــع رغبات الشعب، الدستور هو أساس العمل في المجتمع وإلا فإن المجتمع يتفسخ، فتمتع الحكام بالقوة السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية والعلمية هو امتداد لرغبة الشعب وإرادته، وإن الانتخابات هي دليل مشروعية ومقبولية النظام ودليل اقتداره، إن الـــبلاد في حاجة إلى تنمية شاملة، ولكن الأهم من ذلك هو أن تكون مختلف مجالات التنمية والتقدم في مسيرة رغبات الشعب وإرادته، وقد استطاع خاتمي تحقيق انتصار علـــى معارضيه في عملين قام بهما، أنه سارع بضم شيرين عبادي المحامية الإيرانية الحائزة على جائزة نوبل للسلام إلى حظيرة الوطن وإدخالها صفوف الإصلاحيين.

الإصلاحيون وجائزة نوبل:

حصلت المحامية الإيرانية شيرين عبادي على جائزة نوبل للسلام، وهي تبلغ من العمـــر ٥٦ سنة حيث ولدت في طهران عام١٣٢٦هـــ.ش./ ١٩٤٧م من أسرة مثقفة كفلت لها أن تتلقى تعليمها الأساسي، وأن تتقن اللغتين الفرنسية والانجليزية، ثم تلتحق بجامعة طهران وتدرس القانون فتبدي تفوقا واضحا على أقرانها، ونشاطا ملحوظا في مجال الخدمة العامة والحقوق المدنية، ثم تزوجت من السيد/جواد توسليان وهو يكبرها بـــأربع ســـنوات مـــن العمـــر فصار رفيق كفاحها، وهي أم لبنتين إحداهما في الثالثة والعشـــرين من عمرها والثانية في العشرين ربتهما على النضال كما فعلت معها أمها الســـيدة/ مينو. اشتغلت بالتدريس وإلقاء المحاضرات في كلية الحقوق وحصولت على درجة الدكتوراه في القانون المدني، حتى تم اختيارها أول قاضية مدنية في إيران عام ١٩٧٤م، مـــن مؤلفاتهـــا: الحقـــوق التطبيقـــية للطفل وحصلت به على جائزة جامعة الزهراء بتوقيع مصطفى معين وقد ترجمته اليونيسيف للغة الإنجليزية،حقوق اللاجئين فـــي إيـــران، تاريخ وثائق حقوق الإنسان في إيران، الحقوق الأدبية والفنية، الحقوق المعمارية، الحقوق الطبية، الأصالة والتجديد في الحقوق الإيرانية.

ويـــرجع اختـــيار شيرين عبادي كأول قاضية إيرانية إلى دعمها ثورة الشاه البيضاء التي كانت إحدى ركائزها تحرير المرأة وإعطائها حقوقها السياسية واشتراكها فـــي كافة المجالات جنبا إلى جنب الرجل في المصنع والإدارة والرأي، وقد تعارض هـــذا مع موقف علماء الدين في إيران من الثورة البيضاء، حيث كانت إحدى اللاءات الـــثلاث التـــي اعترض بها الخميني على الشاه هي سفور المرأة تحت دعوى منحها لحقوقهـــا السياسية، فكان تعيين شيرين عبادي قاضية أحد دلائل علماء الدين على قبح ادعـــاءات الـــثورة البيضاء، واعتبروه إفلاسا فكريا وثقافيا وسياسيا، بل اعتبروا هذا التعييـــن رشـــوة سياسية للمرأة حتى لا تؤيد الثورة الإسلامية، ولم يأبه الشاه بضغوط علماء الدين على الحكومة والتي أدت إلى إفساد عمل شيرين عبادي خلال شغلها هذا المنصب أكثر من خمس سنوات، وبعد نجاح الثورة الإسلامية تم إقصاء شيرين عبادي عن منصبها.

أيــدت شــيرين عبادي الثورة الإسلامية ولم تعترض على سلوك قيادة النظام تجاههــا، لكنها نقلت ميدان نشاطها إلى ساحة الجامعة حيث عادت لإلقاء محاضراتها فــي القانون، وكتابة المقالات العلمية وتأليف الكتب الأكاديمية التي ركزت فيها على اســتثمار تجربتها كقاضية مدنية في دراسة حقوق الإنسان وخاصة المرأة، مؤكدة أن الإسلام وأي نظام ينبثق عنه لا يتعارض مع حقوق الإنسان المعاصرة، ولا منح المرأة لحقوقها السياسية، كما أنها أنشأت مكتبا لمساعدة الأطفال، إلا أن عدم التزامها بارتداء الحجــاب جعــل الإسلاميين يضيقون عليها في الجامعة، وكان لدفاعها عن المتهمين السياسيين والمثقفين أمثال فروهر وناصر زرافشان ومهرانگيز كار ومحسن سازگارا ولــيلى ختمــي الكــردية مجانا، ثم تطوعها للدفاع عن جماعة صناع الأشرطة التي تتضمن أحاديث ومحاضرات تهاجم النظام عام ٢٠٠٠م أثر في اتهامها بمعاداة النظام وإثــارة البلبلة مما أدى بها إلى دخول السجن لمدة ثلاثة وعشرين يوما حبسا انفراديا، كمــا أدت مهاجمــتها تعطــيل مادة الجريمة السياسية في الدستور لمدة ٢٢ عاما إلى صدور حكم ضدها بالحبس خمس سنوات مع إيقاف التنفيذ، فتركت الجامعة وانضمت إلــى جماعــة حقوق الإنسان الإيرانية، وقامت بفتح مكتب للمحاماة تمارس من خلاله مهمة الدفاع عن حقوق الآخرين، إلا أن معظم زبائنها كانوا من حركة الحرية أو من الأفراد المعارضين للنظام، وهي من خلال ذلك لم تتوقف عن المطالبة بتجديد الخطاب الدينــي مركزة على تنقية الفكر الإسلامي من شوائب القرون الوسطى، وإعادة النظر فــي الفقــه الشــيعي ليضمن التشريعات المحققة لحصول الإنسان المسلم على حقوقه المنســية، وإصـــلاح قوانين الأسرة التي تضمن حياة كريمة للمرأة والطفل، خالية من تســلط رب الأســرة بدون وجه حق على حقوق أفراد أسرته، كما دافعت عن حقوق الأقلــيات المذهبية وخاصة البهائيين الذين عانوا من اضطهاد بدون ذنب إلا أن يكون عــباس هويدا رئيس وزراء الشاه ووزير بلاطه زعيمهم الذي أعطاهم في فترة حكمه الكثــير مــن الحقــوق والمزايا، كما دافعت عن حقوق اللاجئين في إيران وغيرها، واتصــلت بمــنظمات الدفــاع عن حقوق الإنسان، وأنشأت رابطة لدعم حقوق المرأة والطفل في إيران، ولما لم يكن مناخ الحرب العراقية الإيرانية يسمح بتحقيق طموحاتها

لارتفـــاع صوت الدفاع المقدس على ما عداه من أصوات فقد نقلت نشاطها إلى أوربا، وأقامـــت مكتـــبا لهـــا في باريس تمارس من خلال مهنة المحاماة نشاطها الاجتماعي والسياسي في مجال المطالبة بدعم حقوق الإنسان وخاصة المرأة والطفل.

أثار حصول السيدة شيرين عبادي المحامية الإيرانية على جائزة نوبل للسلام ضجة كبيرة في مختلف أنحاء العالم، وضجة أكبر في إيران، ربما تبدو الضجة خارج إيران متوقعة ومقبولة في تساؤلها حول أحقية المحامية الإيرانية للجائزة من بين ١٦٥ مرشـــحا أبـــرزهم الـــبابا يوحنا بولس الثاني بابا الكنيسة الكاثوليكية، وفاتسلاف هافل رئـــيس تشيكوســـلوفاكيا السابق، لكن الذي لاشك فيه أن الضجة داخل إيران تستحق الـــتوقف عـــندها لتباين المواقف الرسمية والشعبية، بل تباين مواقف النخبة السياسية والثقافـــية، وهـــو أمر محير حقا، فما من شخص حصل على جائزة نوبل للسلام إلا وغمر بلده الفرح، وتلقفه أهله بالتقدير والامتنان بغض النظر عن الخلافات الحزبية.

لقـــد كانـــت ردود الفعل الإيرانية في اتجاه معاكس لكل ما قيل خارج إيران، سواء باعتبار منح الجائزة لامرأة مسلمة دون زعيمين كاثوليكيين أمرا سياسيا يؤكد به الغـــرب نفي تصادم المسيحية مع الإسلام، أو حث العالم الإسلامي على تنمية الاتجاه بمنح المرأة حقوقها _كما جاء في بيان اللجنة المانحة للجائزة_ وسواء باعتبار منظمة العفـــو الدولية هذه المكافأة لجميع المدافعين عن حقوق الإنسان في العالم بغض النظر عـــن جنســـياتهم أو دياناتهم، وسواء بترحيب الاتحاد الأوربي كتشجيع لإيران بالعودة للتناغم مع منظمة العالم الحر، والتوافق مع المصالح الغربية.

عـــادت شـــيرين عبادي إلى طهران واستقبلت استقبالا رسميا وشعبيا حافلا لم تتوقعه المحافل الغربية على اعتبار أن هذه السيدة قد صنفت كناشطة سياسية معارضة للنظام الحـــاكم، وكـــان اســـتقبالها بهذه الحفاوة دليل على مرونة النظام وحسن استفادته من الظـــروف لتحســـين صورة الديمقراطية الإسلامية مما يعني أن اتخاذ أي موقف من شيرين عبادي وجائزة نوبل للسلام لا ينسحب تحت كونها معارضة للنظام أو مطرودة أو منفية، وإنما تطبيقا للمبادئ وتمسكا بالأصوليات والثوابت، لقد تكونت لجنة استقبال لهـــا في مطار مهرآباد الدولي تضم مسئولين حكوميين ونواب برلمانيين وممثلين عن

الأحـــزاب والجمعيات السياسية والاجتماعية والثقافية، وقام ١٧٩ عضوا من أعضاء مجلـــس الشورى الإسلامي البالغ عددهم ٢٧٠ عضوا بتهنئتها في بيان أصدروه أكدوا فـــيه أن هذه المرحلة من تاريخ إيران تشهد محاولات مضنية من أجل تحقيق الحرية العامـــة والحـــريات الخاصة، وأن شيرين عبادي قد خطت خطوات كبيرة في مجال الدفـــاع عـــن حقوق الإنسان وخاصة المرأة والطفل، وأنها تدخل في عداد الملتزمين بالإسلام والمؤمنين بعدم تعارضه مع أهداف حقوق الإنسان[١٣٥]. كما أصدر علي أكبر رحمانـــي محـــافظ العاصمة طهران بيانا أعلن فيه تهنئته لشيرين عبادي وللإيرانيين والمسلمين الأحرار وخاصة المدافعين عن حقوق المرأة والطفل، مؤكدا أنه ما من شك فـــي أن سعي شيرين عبادي الدءوب والواعي قد استلهم الثقافة الإيرانية والإسلامية، وأعطـــى أمـــلا بـــبدء فصل جديد للمناخ الاجتماعي، كما أنه دليل على قدرة المرأة الإيرانية المسلمة على تحقيق مطالبها وزيادة قدرتها وكفاءتها لمثل هذه المهمة[١٣٦].

ولاشـــك أن تصريحاتها لدى إعلان فوزها بالجائزة وعند استقبالها في مطار طهران كان لها رد فعل لدى المسئولين أثار الكثير من الجدل، حيث أنه رغم ما أعلنته فـــي المؤتمـــر الصحفي الذي عقدته في باريس من أنها ترفض الجوء للعنف كوسيلة للتغيـــير فـــي بلادها،كما ترفض أي تدخل أجنبي في شئون بلادها، فقد أكدت أن هذه الجائـــزة تدفعهـــا إلى الاستمرار في النضال اليومي مع مجموعات إيرانية في مجال حقـــوق الإنســـان والطفـــل، والمطالبة بإطلاق سراح معتقلي حرية الرأي، والمطالبة بتغيـــير ســـن الزواج للشباب والذي تحدده الحكومة بثلاثة عشر عاما للإناث وخمسة عشر عاما للذكور، كما نوهت في المؤتمر الصحفي إلى أن الحكومات الإسلامية هي التـــي شـــوهت صـــورة الإسلام في العالم، كما أكدت لدى وصولها إلى طهران على مطالبتها بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين في إيران.

لقد صدر أول رد فعل على تصريحات شيرين عبادي هذه من جانب الرئيس الإيرانـــي ســـيد محمد خاتمي بعد خروجه من جلسة لمجلس الشورى الإسلامي حيث

---

135 - صحيفة ايران في ٢٠٠٣/١٠/١٥م

136 - صحيفة شرق في ٢٠٠٣/١٠/١٥م

قال: إننا نفخر بأن تحصل إيرانية مسلمة على جائزة نوبل للسلام، ونحن نهنئها ونأمل أن لا تســمح باستغلال الموقع الذي حصلت عليه، وأن عليها أن تراعي في مسيرتها مصــلحة إيران والعالم الإسلامي، إن جائزة نوبل للسلام ليست أمرا مهما بالقياس إلى الجوائــز العلمية حيث أن وراءها غالبا أهدافا سياسية، لاشك أن العالم الإسلامي لديه توقعــات، وعليــنا أن نعرف اليوم من هم الذين يعرضون السلام للخطر، ومن تنتهك حقوقهم، ومن يهدد إيران، ينبغي أن ندرك ما يحدث في فلسطين، وأن أول عامل في هدم السلام وحقوق الإنسان في العالم يتمثل في دول مثل أمريكا وإسرائيل[١٣٧].

وقــد انــتقد عدد من النخبة تصريحات خاتمي، فقال عزت الله سحابي زعيم حركة الحرية في إيران: ينبغي أن يكون الرئيس أكثر غبطة، وأن يكون أول المهنئين، خاصــة أنه ينادي بالمجتمع المدني والمناخ السياسي والاجتماعي المفتوح في إيران، وهــذه أول مــرة تمنح فيها الجائزة العالمية لإيراني وهذا مدعاة للفخر الوطني. وقد اعــترض فريبرز دانا الأستاذ الجامعي في العلوم السياسية بقوله: ماهو ميزان خاتمي في عدم أهمية جائزة نوبل للسلام، إنه رأي شخصي لخاتمي أظنه سيغيره إذا منح هو هــذه الجائزة[١٣٨]. وقال حاتم قادري أستاذ القانون بجامعة الشهيد بهشتي: أنا سعيد جدا وأهنئها، وأعتبر حصول شيرين عبادي على الجائزة مفخرة وطنية، لكن البعد المرير فــي هذه المسألة أن شيرين عبادي من مجتمع تمارس فيه ضغوط كثيرة عليها وعلى المثقفيــن والمفكرين الإيرانيين المعارضين[١٣٩]. وقال الدكتور صادق زيبا كلام أستاذ العلــوم السياسية في جامعة طهران: إن شيرين عبادي بإعلانها أنها مسلمة قد ربطت قــيمها العالمية بالعالم الإسلامي، ولا يستطيع الإسلاميون أن يرفضونها ببساطة، وفي رأيــي أن النظام الإسلامي يستطيع أن يعامل السيدة عبادي بأحد أسلوبين، الأول: أن حصــولها على الجائزة محض مؤامرة لأعداء النظام ومعارضيه، والثاني أن يعتبرها النظام أحد أبنائه ويعتبر الجائزة بالتالي من مكتسبات النظام، وعلى كل حال فحصول

137 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/١٠/١٥م

138 - صحيفة ايران في ٢٠٠٣/١٠/١٥م

139 - المصدر السابق

أي إيراني على الجائزة مفخرة وطنية، وآمل أن يختار النظام الأسلوب الثاني[140]. كما انــتقد جلال جلالي زاده موقف الإذاعة والتليفزيون اللذين يسيطر عليهما المحافظون مــن عدم الاحتفاء بفوز شيرين عبادي بالجائزة، كما أكدت ليلى فرهاد بور أن شيرين تمثل الحركة النسائية[141]. وقد عبر محسن آرمين عضو مجلس الشورى الإسلامي عن موقــف حزب مجاهدي الثورة الإسلامية بقوله: ليس المهم إن كانت الجائزة من حق شيرين عبادي أو من هم أولى منها مثل آقاجري وغيره من المناضلين السياسيين من أجــل الحــرية وحقوق الإنسان في إيران، لكن علينا أن ندرك أن الجائزة إيرانية ولا نخــتلف عليها[142]. أما موقف كوادر البناء فقد عبر عنه علي أباذري بقوله: لاشك أن المجــتمعات الثقافــية الغربــية فــي هذا العصر تميل إلى النسبية الثقافية أو النسبية المعرفية، وعدم ترجيح نظام معرفي على سائر النظم المعرفية، ومن هذه الزاوية فإننا نهنئ شيرين عبادي كما فعل عدد من الرموز السياسية والثقافية، أما ما يدعونا للتأمل بعــيدا عــن مستوى المناسبات اليومية هو أن هذه الجائزة لها معاني ورسائل أخرى تحــتاج إلى تحليل[143]. أما موقف جمعية المؤتلفة الإسلاميين فقد عبر عنه حميد رضا ترقــي بقوله: نوافق على رأي الرئيس خاتمي بأن الجائزة سياسية، وأن هذا الأمر في حقيقــته حــركة سياســية تماما وليس أمرا هاما جدا، كما أكد عسكر أولادي رئيس الجمعــية أن الجائــزة ليس فيها رائحة السلام[144]. وقد أكد المحافظون على لسان أحد رموزهم وهو محمد جواد أردشير لاريجاني وكيل السلطة القضائية للشئون الدولية أنه ليس للجائزة شأن كبير لدى مثقفي العالم، كما أن منح شيرين عبادي الجائزة له أسباب سياسية[145].

---

[140] - صحيفة شرق في ٢٠٠٣/١٠/١٥م

[141] - صحيفة شرق في ٢٠٠٣/١١/١١م

[142] - صحيفة رسالت في ٢٠٠٣/٥/١١م

[143] - صحيفة انتخاب في ٢٠٠٣/٥/١١م

[144] - صحيفة شرق في ٢٠٠٣/١٠/١٥م

[145] - المصدر السابق.

وقد حاول محمد علي أبطحي مساعد الرئيس للشئون البرلمانية والقانونية أن يوضح موقف الرئيس خاتمي بقوله: إن رئيس الجمهورية لا يقبل الاستغلال السياسي لهــذه الجائزة، ويعترض في الوقت نفسه على تشويه تصريحاته أو النيل من سعادته بهذه الجائزة، فهو مثل شعب إيران كلهِ سعيد بهذه الجائزة، وهذا روح كلامه اليوم في مجلــس الشـــورى الإســـلامي، وإنما جاء تأكيده على مراعاة مصلحة إيران والعالم الإسلامي، وما كان ينبغي تشويه تصريحات الرئيس بأكاذيب صحفية[١٤٦]. ولا شك أن تصريحات أبطحي حاولت أن تجمل تصريحات الرئيس خاتمي التي انطلقت من مفهوم دينـــي ووطني أكثر منه سياسي ودبلوماسي، فترك مساحة للتأويل والخلط بين موقفه كعالم دين وموقفه كرئيس يعاني من الضغوط الدولية وخاصة الغربية.

لقد اشتد تباين موقف كل من المحافظين والإصلاحيين في مسألة منح شيرين عبادي جائزة نوبل للسلام نتيجة ما لاحظناه من محاولة استقطاب الإصلاحيين لشيرين عــبادي وضمها إليهم والترحيب بها في صفوفهم _ وهي العضوة السابقة في الجبهة الوطنـــية ثـــم حـــركة الحرية_ وقد أكد أحمد پور نجاتي رئيس اللجنة الثقافية بمجلس الشورى الإسلامي وأحد أقطاب الإصلاحيين أن جائزة شيرين عبادي استقرت في سلة الإصلاحيين[١٤٧]. وقد طالب الإصلاحيون الحكومة بتأمين الحماية لشيرين بع التهديدات التـــي تلقتها نتيجة قبولها الجائزة وعودتها إلى إيران، كما قام تكتل نساء الإصلاحيين فـــي المجلـــس بدعوتها للحضور للمجلس من أجل تكريمها، وقد ردت شيرين بقبول الدعـــوة وقالت لو كنت عضوة لجنة تحكيم جائزة نوبل لمنحت جائزة السلام للرئيس سيد محمد خاتمي[١٤٨].(ايران في ٢٨/١٠/٢٠٠٣م)

لاشـــك أن محاولـــة الإصـــلاحيين احتضان شيرين عبادي هي لتدعيم ثقلهم الشعبي في مواجهة الثقل الجماهيري الذي اكتسبه المحافظون مؤخرا.

---

146 - صحيفة همشهري في ١٥/١٠/٢٠٠٣م

147 - صحيفة ايران في ٢٩/١٠/٢٠٠٣م

148 - صحيفة ايران في ٢٨/١٠/٢٠٠٣م

التطورات الاقتصادية

إذا كـــان الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني قد بدأ مسيرة التحول في الاقتصاد الإيرانـــي مـــن اقتصـــاد موجه واقتصاد حرب إلى اقتصاد تنمية ثم اقتصاد حر، فإن الرئـــيس خاتمـــي مع استفادته من خطوات سابقه كان أكثر واقعية في وضع أولوياته الاقتصادية معتبرا أن ما يقوم به إنما هو حركة تصحيحية للاقتصاد الإيراني في إطار قيم الثورة التي قامت لنصرة المستضعفين ورفع الحرمان عن المحرومين، والواقع أنه إذا كـــان قـــد بـــدأ يحصد بعض الثمار بافتتاح المشروعات التي تمت في عهد سابقه لتجهيز البنية التحتية للاقتصاد في كافة مجالاته إلا أن المشكلات المؤجلة بدأت تلاحقه فضلا عن الانخفاض في سعر البترول والحظر الاقتصادي الذي جسم هذه المشكلات مـــثل مشكلة البطالة والتضخم الحاد ودعم السلع الأساسية وانهيار سعر صرف العملة المحلـــية والديـــون الخارجـــية، وكان على الرئيس خاتمي أن يستمر في تنفيذ الخطة الخمســـية الثانية التي وضعتها الحكومة السابقة ويدرس في نفس الوقت أوجه النقص والسلبيات التي تعاني منها لتلافيها في الخطة الخمسية الثالثة التي ينبغي على حكومته أن تضـــعها، فكانـــت أول الخطوات الإصلاحية التي اتخذها هو وضع برنامج موسع لخصخصة الصناعات الرئيسية في البلاد بما فيها الاتصالات والسكك الحديدية والتبغ، وكان من أهم إجراءات هذا البرنامج عملية التعويم المحدود للعملة وخصخصة ٢٤٠٠ مؤسسة[١]، وتعتبر الخطة الخمسية للتنمية من أهم المنجزات التي حققتها حكومة خاتمي فقـــد كانت أكثر فعالية وتنظيما من الخطتين السابقتين، وحركت الاقتصاد الإيراني من حالـــة الركود التي سيطرت عليه خلال العامين السابقين في اتجاه الانتعاش خاصة مع ارتفـــاع أسعار البترول والانفتاح الواضح لإيران على العالم نتيجة الزيارات الموفقة التي قام بها الرئيس خاتمي لعدد من دول العالم والاتفاقات التي وقعتها إيران مع دول عديـــدة فـــي مجالات اقتصادية مختلفة، ويرى عدد من المحللين أن ظروفا أفضل قد

---

[١]- حسين ملك محمد : اقتصاديات الطاقة في ايران . صحيفة همار بتاريخ ٢٩/٥/٢٠٠٠م

تهيأت للاستثمار في إيران مع تغير المناخ السياسي في الداخل، كما أصبحت الأنظار معلقة على دخل البترول من النقد الأجنبي للوصول إلى معدلات نمو عالية، وقد صرح محسن نور بخش رئيس البنك المركزي الإيراني بأن مصادر النقد الأجنبي لإيران سوف تتمتع بثبات واستقرار خلال عامي ٢٠٠٠و٢٠٠١م مما من شأنه أن يؤدي إلى استقرار وثبات سعر العملة في السوق الحرة[٢].

وقد كان الاقتصاد الإيراني ومازال مرتبطا إلى حد بعيد بالدخل النفطي مما جعله يتأثر كثيرا بانخفاض سعر النفط حيث تشكل عائداته أكثر من نصف إيرادات ميزانية الدولة و٨٠% من الدخل الحكومي من العملة الأجنبية، ومن ثم فقد ساعد ارتفاع سعره عام ١٩٩٩م على زيادة الناتج المحلي الإيراني بنسبة ٢/٥ % ، وقام بتعويض استمرار هبوط الصادرات غير النفطية بمعدل ٢٣% من حيث الوزن والقيمة، في الوقت الذي زادت فيه الواردات من حيث الوزن بنسبة ٣٥/٨ % ومن حيث القيمة بنسبة ١٠% [٣]، وقد شجع هذا بيژن نامدار زنگنه وزير النفط على المطالبة بمضاعفة إنتاج النفط[٤].

وقد ساعد نجاح الإصلاحيين في تولي مناصب حكومية كبيرة ثم نجاحهم في انتخابات المجلس التشريعي والمجالس المحلية وتأكيدهم على متابعة مسيرة الإصلاح على ظهور وتوافر ظروف جديدة في الداخل أدت إلى زيادة رغبة الشركات الأجنبية في الاستثمار في إيران، خاصة مع محاولة إقرار الهدوء والأمن، حيث أكد وزير المعلومات الإيراني في كلمة ألقاها بكلية الاقتصاد بجامعة طهران على ضرورة الاهتمام بموضوع الأمن الاقتصادي وإصلاح السياسات الاقتصادية والقوانين واللوائح، وطالب بتعاون الجماهير وخبراء الاقتصاد مع المسؤولين لتحقيق الأمن الاقتصادي[٥]، وقد أكد خبراء الاقتصاد هذا المعني، يقول الدكتور حسين عظيمي الأستاذ الجامعي والخبير الاقتصادي:" إن الأمن الاقتصادي يحتاج إلى أرضية قانونية ودستورية، حتى

---

[2]- صحيفة اخبار اقتصاد بتاريخ ١٦/٣/٢٠٠٠م

[3]- تقرير الإدارة العامة للجمارك الإيرانية . صحيفة كيهان بتاريخ ٦/٦/٢٠٠٠م

[4]- صحيفة همشهري بتاريخ ٦/١١/٢٠٠١م

[5]- صحيفة اخبار اقتصاد بتاريخ ١٤/٣/٢٠٠٠م

يكـــون فـــي وضعه المنشود لأن فساد الهيئات الاقتصادية والمؤسسات الحكومية مع التغيـــيرات المســـتمرة فـــي السياســـات الاقتصادية وضعف النظام المالي والتضخم والاحتكار وغير ذلك من موروثات الفترات السابقة يخل بالأمن الاقتصادي، إن الأمن الاقتصادي يجب أن يتحقق إلى جانب أمن المنتجين والعمال وأصحاب رؤوس الأموال والمستهلكين، لأن ما تحتاجه القوة الاقتصادية هو الاستقرار ومجتمع القانون والإرادة الوطنية التي تتولد عن الوفاق والتضامن بين كافة طوائف المجتمع واتجاهاته، إن على وزارة المعلومات كشف منظمات المافيا الاقتصادية والتكتلات الاقتصادية الفاسدة ومنع حـــدوث احـــتكارات جديـــدة والقيام بأعمال الرقابة، كما يستطيع أعضاء البرلمان أن يواجهوا المسئولين في السلطة التنفيذية بل والقضائية بفعالية أشد حتى تتم معرفة نقاط الضـــعف والمشـــاكل، وتتهـــيأ الظروف لتحقيق أمن الاستثمار وأمن الملكية والأمن الاقتصادي، إن الأمن الاقتصادي في العالم المعاصر ما هو إلا نتاج عدة عوامل، وإن عـــدم تناسب أي من هذه العوامل يؤدي إلى عدم تحقق الأمن الاقتصادي بشكل كامل، ومـــن العوامـــل المؤثرة على الأمن الاقتصادي تلك الثقافة العامة السائدة في المجتمع والقوانين والمبادئ الدستورية وأساليب العمل في الأجهزة الحكومية، وجدوي وفعالية الهيئات الاقتصادية، وتركيب النظام القضائي وفعاليته، ودرجة الاستقرار في السياسات الاقتصـــادية، والوضـــع السياسي الجغرافي للدولة والمنطقة، ومكانة الدولة في النظام العالمـــي، ووضـــع الإعـــلام والدعاية في الدولة، والوضع الاقتصادي العام للأفراد، ودرجـــة فعالية القوي الأمنية ونزاهتها، إننا يجب أن نقوم بإصلاح النظريات والآراء المتعلقة بمفهوم الملكية والاستثمار والإنتاج وما إلى ذلك، وأن نغير البنية الإدارية بما يتناســـب مع تغيير النظريات، وأن نوفق الاستثمار وتأمين حياة الشعب بما يتوافق مع الـــنظرة السياســـية في المجتمع[٦]. ويقول الدكتور حسين تبريزي:" إن موضوع الأمن الاقتصـــادي وأمن الاستثمار ليس مرتبطا فقط بالسلطة القضائية والقوة الأمنية فحسب بل بالنظام ككل وبالسلطات الثلاث في الدولة، إن حل المشاكل الاقتصادية يحتاج إلى وفـــاق وطني يبدأ من أركان النظام ويمتد إلى المستويات الأدنى، إن نقطة البداية في

---

[6]- صحيفة اخبار اقتصاد بتاريخ ١٤/٣/٢٠٠٠م

عملـــية تحقـــيق الأمن الاقتصادي تكمن في وضع القوانين واللوائح المناسبة مع البنية الاقتصادية الإيرانية، وإن عملية تصحيح الوضع الاقتصادي سوف تستغرق سنتين أو ثلاث بشرط استكمال التغيير السياسي الفعلي[٧]. وإزاء ما أعلنته إدارة الإحصاء التابعة للبنك المركزي الإيراني بأن متوسط التضخم قد زاد بنسبة ٢٠/٣ % عام ١٩٩٩م عن العـــام الذي سبقه[٨]، وإزاء ما أعلنه عباس علي زالي رئيس مركز الإحصاء الإيراني بـــأن معـــدل الـــبطالة في إيران قد بلغ ١٣/٥ % بزيادة ١ % عن العام السابق، وأن معـــدلات البطالة في المدن أكبر من الريف وأنها أكبر بين الشباب[٩]، فقد بادرت إيران بـــزيادة إنتاجها النفطي إلى الضعف، وكان غنيمي فرد وكيل الشركة الوطنية الإيرانية للنفط قد أعلن في المنتدى الدولي حول "الشرق الأوسط مفتاح تقديم النفط للعالم" والذي أقـــيم في لندن على مدى أربعة أيام من ١٤-١٧/٢/٢٠٠٠م بأن إيران مصممة على الوصول بإنتاجها خلال العشرين عاما المقبلة إلى ٨ ملايين برميل يوميا[١٠]، كما أعلن المهـــندس محمـــد رضـــا نعمـــت زاده نائب وزير النفط لشئون البتروكيماويات بأن صادرات البتروكيماويات سوف ترتفع مع نهاية الخطة الخمسية الثالثة من ٦٠٠ مليون دولار إلـــى ملياري دولار سنويا[١١]. وفي هذا الإطار تسعى إيران إلى تنشيط السياحة حيـــث صـــرح نصر الله مستوفي نائب رئيس هيئة السياحة الإيرانية بأن الدخل الناتج عن وصول السائحين إلى إيران قد زاد خلال عام ١٩٩٩م عن العام السابق بنسبة ٢٠ % وبلـــغ ٦٣٠ ملـــيون دولار، ومـــن المتوقع أن يصل عام ٢٠٠٠م إلى ٨٢٢مليون دولار[١٢]، كما سعت إيران إلى زيادة الصادرات حيث أعلن سعيد نيازي مستشار البنك المركزي الإيراني لشئون المبادلات المصرفية بأن حجم الصادرات خلال عام ١٩٩٩م قـــد بلغ ١٩/٢ مليار دولار في حين بلغ حجم الواردات ١١/٩ مليار دولار مما جعل

---

[7]- صحيفة اخبار اقتصاد بتاريخ ١٤/٣/٢٠٠٠م
[8]- صحيفة رسالت بتاريخ ١٥/٣/٢٠٠٠م
[9]- صحيفة رسالت بتاريخ ١٥/٣/٢٠٠٠م
[10]- صحيفة رسالت بتاريخ ٢١/٢/٢٠٠٠م
[11]- صحيفة رسالت بتاريخ ١٢/٣/٢٠٠٠م
[12]- صحيفة بيان بتاريخ ١/٦/٢٠٠٠م

متوسط التنمية الخالصة يرتفع إلي ٣/٨ % [١٣]، وفي هذا الإطار أيضا صرح وكيل وزارة الصناعة الإيرانية لشئون الصناعات اليدوية بأن إيران قد صدرت ماقيمته ٧٠٠ مليون دولار من السجاد اليدوي خلال عام ١٩٩٩م بزيادة قدرها ٦٨ % عن العام السابق[١٤]. كما اهتمت إيران بصناعة الرصاص والزنك مما جعلها تنشئ مجمعا لهذه الصناعة عندما لاحظت إمكانية انتعاشها وتحقيق إضافة جيدة للاقتصاد الإيراني[١٥]، ومن خلال شعور بالتفاؤل صدق مجلس الشورى الإسلامي على الموازنة العامة لإيران عن السنة المالية ٢٠٠٠/٢٠٠١م والتي بلغت جملتها ٣٦٠ ألفا و٦٦٨مليارا و ١٤٧ مليونا و٤٧٨ ألف ريال إيراني[١٦]. وقد دعمت هذه الموازنة توجهات المجلس الأعلى للاقتصاد مما جعله يصدر لائحة جديدة للمناطق الحرة في إيران، وقد علق المهندس بهروز بوشهري المدير التنفيذي لهيئة المنطقة الحرة بجزيرة قشم على هذه اللائحة بقوله:" إن سرعة اتخاذ القرار من جانب رئيس الجمهورية وطرح هذه اللائحة في المجلس الأعلى للاقتصاد يحمل عدة رسائل هامة، أولها الأهمية التي يوليها رئيس الجمهورية لحل القضايا الاقتصادية للناس والعاملين، وثانيها محاولة حل مشاكل المناطق الحرة مما يؤكد على ثبات واستقرار هذه المناطق وإزالة الخوف لدى المستثمرين والعاملين من التغير المستمر في قوانين ولوائح المناطق الحرة، وسوف يساعد هذا على ازدهار هذه المناطق، فضلا عن اعتبار إنتاج المناطق الحرة إنتاجا محليا حيث يمكن عرض هذا الإنتاج في الداخل بعد دفع رسوم الجمارك الخاصة بالمواد الأولية وقطع الغيار، فيما يتعلق بالمنطقة الحرة بجزيرة قشم فإنه يتم الآن الاستثمار في ٧٠٥ مشروعا صناعيا و٥٩٩ مشروعا للخدمات و٤٧٠ مشروعا تجاريا وقد وصل حجم الاستثمار في المنطقة إلى حوالي ٥٥٠٠ مليار ريال إيراني و٣٠٠ مليون دولار من الاستثمارات الخارجية وسوف يصل هذا المبلغ إلى ١/٥ مليار دولار بعد استكمال بعض المشروعات، كما أنه من المتوقع أن تتضاعف هذه الاستثمارات

---

[13]- صحيفة كيهان بتاريخ ٦/٦/٢٠٠٠م

[14]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٨/٢/٢٠٠٠م

[15]- نقلا عن (يزداني) المصدر المسؤول في وزارة المعادن والفلزات . صحيفة همشهري بتاريخ ٦/١١/٢٠٠٠م.

[16]- صحيفة كيهان بتاريخ ١٢/٣/٢٠٠٠م

بعد استكمال بناء المطار الدولي الذي يتكلف ٩ مليار تومان والرصيف البحري كاوه الكبير"[١٧]. وقد اهتمت حكومة خاتمي بالسير قدما في جعل إيران منطقة ترانزيت بين الشرق والغرب، ومن إنجازاتها في هذا المجال ما أعلنه ناوراتان سامدريا رئيس اتحاد هيــئات التصدير في الهند من أن خبراء الشركات الناقلة في إيران والهند وروسيا قد اتفقت على جدوى طريق الترانزيت بين الجنوب والشمال الذي يمر بإيران من الناحية الفنية والاقتصادية، وأنه مع افتتاح هذا الخط فإن السلع الهندية سوف تأخذ طريقها إلى روسيا من موانى الهند ومنها ميناء بومباي إلى ميناء بندر عباس في جنوب إيران ثم تحمــل بالســكك الحديدية إلى ميناء أنزلي على بحر قزوين ثم تنقلها السفن إلى ميناء استراخان في روسيا وهو ماسوف يستغرق ١٥ يوما فقط[١٨]. وقد أعلنت قزاقستان بعد ذلــك عــن رغبتها في الانضمام لهذا الخط[١٩]. وقد شهدت حركة التبادل التجاري بين إيــران والدول الأخرى في عهد خاتمي نشاطا ملحوظا حيث أعلن غلامرضا شافعي وزير الصناعة أنه يتوقع أن يتضاعف حجم التبادل التجاري مع الدول المختلفة خلال العــام المــيلادي الحالــي، وأن يصــل مــع كوريا الجنوبية إلى ثلاثة مليارات من الدولارات، وأنه تم توقيع اتفاقية بين البلدين للتعاون في مجالات بناء السفن وصناعة الآلــيات، وفــي مجــال المقاولات وتنفيذ المشروعات النفطية والغاز والإلكترونيات والميكروالكترونــية، ومحطات الطاقة والبيوتكنولوجيك، وسيتم افتتاح فرع لبنك ملت الإيرانــي في سيول لتسهيل عملية نقل الأموال والاعتمادات والتعهدات النقدية[٢٠]. وقد حقق خاتمي إنجازا كبيرا في زيارته الأخيرة لليابان وهي أول زيارة من نوعها لرئيس إيرانــي يدعــي إلى طوكيو منذ ٤٢ عاما وثاني رئيس في العالم يتحدث إلى البرلمان الياباني واتطاع خاتمي أن يحصل علي موافقة اليابان على الاستثمار المباشر في مجال الــنفط والغــاز في إيران سواء في الحفر أو الاستكشاف أو استخراج النفط من أكبر حقــول النفط الإيراني، وهو حقل الأحرار الذي ينتج ٢٦ مليار برميل، كما أثمر لقاء

17- صحيفة همشهري بتاريخ ٥/١١/٢٠٠٠م

18- صحيفة همشهري بتاريخ ٦/١١/٢٠٠٠م.

19- صحيفة همشهري بتاريخ ١٤/١١/٢٠٠٠م.

20- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٨/١٠/٢٠٠٠م.

خاتمــي مــع كبار المستثمرين اليابانيين في الاتفاق معهم على الاستثمار المباشر في إيران بهدف إعادة بناء التقنية في الصناعات غير النفطية الإيرانية"[٢١].

لقــد سمح المناخ الديمقراطي الذي أتاحته حكومة الرئيس خاتمي بعقد ندوات تــناقش برامج الحكومة وتنتقد سياساتها، ولعل من أهم هذه الندوات تلك التي أصبحت تعقد بانتظام في إحدى الجامعات الإيرانية تحت اسم " ندوة نقد حكومة خاتمي " والتي تركــز على الجانب الاقتصادي، ومن خلالها يمكن التعرف على كثير من الإنجازات الاقتصادية وكذلك على النواحي السلبية سواء في رأي خبراء الاقتصاد المشاركين أو فــي رد الحكومــة علــي هــذه الآراء، يقــول الدكــتور عبد الحسين ساسان الخبير الاقتصــادي:" إن الســجل الاقتصــادي لحكومة خاتمي هو مجموعة من الانجازات والفشل، ولقد كانت القروض منذ بداية عمل هذه الحكومة وحتى الآن من المعضلات التــي استطاعت الحكومة أن تحلها، وإني أعتبر حل هذه المعضلة والخروج من أزمة القــروض الخارجــية من أكبر نجاحات الحكومة والتي تيسرت من خلال استراتيجية الحكومة في إزالة التوتر من الساحة الدولية، وهو ما سمح بدعم مواقف منظمة الأوبك وتحســين العلاقات مع المملكة العربية السعودية." ويقول رجب علي مزروعي عضو مجلــس الشــورى الإســلامي:" إن جذور المشكلات الاقتصادية قد نبتت في الهيكل الاجتماعــي والسياســي والثقافــي للبلاد، وإن الاعتماد علي الدخل النفطي هو أساس مشــاكلنا الاقتصادية." وكان أحد الخبراء الاقتصاديين وهو الدكتور جمشيد پژويان قد حذر من الضغوط السياسية على الاستثمار مؤكدا أن هناك جماعات ضغط تمثل عائقا كبــيرا فــي وجه الاستثمار[٢٢]. ويقول سعيد ليلاز الخبير الاقتصادي:" إن معدل النمو الاقتصادي خلال السنوات العشر الماضية يصل إلى نسبة ٥ % وهي نسبة ليست سيئة في إحدى بلدان الشرق الأوسط، وإن تمكن حكومة خاتمي من حل كثير من المشكلات خلال السنوات الثلاث الماضية يحسب لها، وقد أصبحت البلاد في الوقت الحالي تواجه

---

[21]- صحيفة همشهري بتاريخ ١/١١/٢٠٠٠م.

[22]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٤/١٠/٢٠٠٠م.

مشكلة الإنتاج وليس توزيع الثروة[٢٣]."وفي إطار هذا الجدل قال الدكتور محمد إبراهيم يـــاوري:" إن المنتجين الحاليين في السوق الإيراني إما أنهم يواجهون الإفلاس أو أنهم يعملـــون بنســـبة ٢٠ % مـــن طاقتهم الإنتاجية ويرجع السبب في ذلك إلى الأسلوب الخاطـــئ لرئيس البنك المركزي والذي سوف يؤدي إلي مزيد من النتائج السيئة." وقد ردت عليه وزارة الصناعة والمعادن بعرض عدد من الإحصائيات التي استنتجت منها أن القطاعات التي تحت عباءة البنك المركزي هي أكثر القطاعات إنتاجية وأن الإنتاج الصـــناعي قد نما في العام الحالي، كما أن الضرائب المستقطعة من هذه الشركات قد زادت، فضلا عن أن السيد نوربخش ليس وحده من يضع السياسات النقدية[٢٤]."

وقـــد تصـــادف أن تكون سنة ١٩٩٩م سنة جفاف وقحط في إيران أدت إلى حـــدوث خسائر كبيرة قدرها عيسى كلانتري وزير الزراعة بما قيمته ٢٠ ألف مليار ريـــال في قطاع الزراعة في حين أن مجموع قيمة الخسائر في القطاعات الأخري قد بلغـــت ٢٧ ألـــف ملـــيار ريـــال مؤكدا أن مناقشات لجنة مجلس الشورى الإسلامي ودراسات المتخصصين توجب دمج وزارتي الزراعة وجهاد التعمير في وزارة واحدة، وأنه يأمل تنفيذ هذا الأمر بصورة صحيحة بعيدا عن المزايدات السياسية[٢٥]. وإزاء هذه الظـــروف ســـعت المؤسســـات الـــثورية إلـــى مـــد يد المساعدة حيث قامت مؤسسة المستضـــعفين وجـــرحى الحرب بتقديم دعم سنوي تقدر قيمته بعشرة مليارات تومان للمؤسسات والشركات لاستمرار نشاطها منعا لزيادة نسبة البطالة بين العمال، وهو ما أعلنه يحي آل اسحاق نائب رئيس مؤسسة المستضعفين، مؤكدا أن هذه المؤسسة سوف تستمر في هذا الدعم حتي تقف الشركات على أقدامها وعندئذ تنفصل عن المؤسسة[٢٦].

وقد سعت وزارة النفط أيضا إلى المساهمة في حل المشاكل الراهنة للحكومة فأعطـــت أولويـــة للقطـــاع الخاص في المشاركة في أنشطة الاستشارات والمقاولات النفطـــية الكبـــيرة دعمـــا لهذا القطاع، وأعلن بيژن نامدار زنگنه وزير النفط أن دعم

---

[23]- صحيفة همشهري بتاريخ٢٠/١٠/٢٠٠٠م.

[24]- صحيفة همشهري بتاريخ ١٦/١٠/٢٠٠٠م.

[25]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٢/١٠/٢٠٠٠م.

[26]- صحيفة همشهري بتاريخ ١/١١/٢٠٠٠م.

المقاوليـــن هـــو أفضــــل إجراء لتنشيط العمل، وأن نشاط القطاع الخاص مطلوب في صـــناعة البتروكـــيماويات، ويســـتطيع القطـــاع الخـــاص أن يشارك بطريقتين هما الاســـتثمارات المشـــتركة والاســـتثمارات المســـتقلة، وأن طــرح أســـهم شـــركات البتروكيماويات في سوق الأوراق المالية هو خطوة في سبيل جذب استثمارات القطاع الخاص[٢٧]. كما أعلن رئيس الجمهورية دعمه للمصدرين الإيرانيين مؤكدا أنهم الجنود الأساســـيون لدعم اقتصاد البلاد وطمأنهم بأن الدولة عازمة علي حمايتهم بما تستطيع لأن فـــي هـــذا عـــلاج لأمراض الاقتصاد الوطني، كما أكد حاجة الاقتصاد والتنمية الاقتصادية إلى إمكانات العالم المعاصر، وأن اتخاذ إيران سياسة إزالة التوتر لم تمكنها فقـــط من كسر الحصار المفروض عليها بل شجعت على الميل للمشاركة في الأنشطة الاقتصادية في إيران، مما يجعل من الواجب السعي لنقل التكنولوجيا الحديثة من خلال التدابـــير الحكـــيمة لدخول الاستثمار الأجنبي بما يحقق المصالح الوطنية[٢٨]، وقد أكد محمـــد شريعتمداري وزير التجارة علي قول الرئيس خاتمي وصرح بأن الاقتصاديين الإيرانيين باتوا على يقين بأن الدولة قد مهدت لزيادة الصادرات خلال السنوات الثلاث الأخـــيرة بشكل لم يسبق له مثيل عن طريق إطلاق صادرات السلع والخدمات، وإلغاء تصـــاريح التصدير، وإعفاء الصادرات من الضرائب والجمارك، وإخراج الصادرات مـــن قائمـــة مدعمـــات الحكومة، مما أدى إلى نمو الصادرات بنسبة ٢٧ % عن عام ١٣٧٦هـــ.ش.[٢٩]

وعلى كل حال فقد ثبت للمسئولين الإيرانيين أن حل المشكلات الاقتصادية لا ينفصل عن الإصلاح السياسي واتخاذ سياسة خارجية معتدلة، يقول بهزاد نبوي نائب رئيس مجلس الشورى الإسلامي:" إن على المجلس أن يقوم بواجبه من خلال محورين أساسيين هما الإصلاح والتنمية السياسية والإصلاح والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، فالإصـــلاحات السياســـية هـــي مهـــد الإصـــلاحات الاقتصادية والاجتماعية، كما أن

---

[27]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٤/١٠/٢٠٠٠م.

[28]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٢/١٠/٢٠٠٠م.

[29]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٣/١٠/٢٠٠٠م.

الإصـــلاحات الاقتصـــادية والاجتماعـــية تضـــمن اســـتمرار الإصـــلاحات والتنمية السياسية[30]."

وقـــد أدى الجدل الدائر بين المحافظين والإصلاحيين إلى تعثر حل المشكلات الاقتصـــادية، حيـــث يقـــف المحـــافظون في وجه الإصلاحيين مؤكدين أن الإصلاح الاقتصادي له الأولوية ولاينفصل عن الإصلاح السياسي، في حين يعمل الإصلاحيون مـــن أجل إيجاد أرضية سياسية مناسبة واتخاذ سياسة خارجية معتدلة تمهيدا للإصلاح الاقتصـــادي، يقـــول بهـــزاد نـــبوي نائب رئيس مجلس الشورى الإسلامي:" إن على المجلـــس أن يقوم بواجبه من خلال محورين أساسيين هما الاصلاح والتنمية السياسية والاصـــلاح والتنمـــية الاقتصـــادية والاجتماعـــية فالإصـــلاحات السياسية هي مهد الإصـــلاحات الاقتصـــادية والاجتماعية، كما أن الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية تضمن استمرار الإصلاحات والتنمية السياسية[31]."

وتحاول الحكومة الإصلاحية إثبات صحة سياستها من خلال المتحدث الرسمي، حيث يقـــول عـــبد الله رمضان زاده: إن جهود خاتمي الاقتصادية قد بدأت منذ عام ١٣٧٦ هـــ.ش.(أي منذ ٦سنوات) بطرح المشكلات الاقتصادية على بساط البحث بين الخبراء والجماهـــير، وقد تبين للحكومة أن اعتماد الاقتصاد على النفط أدى إلى وجود مشاكل نتـــيجة انخفـــاض ســـعره والضغوط الخارجية، فضلا عن تقلبات سعر العملة وعدم استقرار السوق، فقامت الحكومة بتأسيس صندوق الاحتياطي النقدي من العملات، وقد تم طرح مبالغ منه لدعم القطاع الخاص وتشجيع الاستثمارات، إضافة إلى العمل على إصـــلاح قانون الضرائب، كما تبين للحكومة أن الدخل غير كاف لتنفيذ برامج الخطة الخمسية، لذلك تسعى الحكومة إلى تنمية الغاز ليسد مطالب جزء من هذه البرامج، كما رفعـــت الاســـتثمارات في الخدمات كالماء والكهرباء والغاز والنقل، كما تبين لها أن القضاء على البطالة يحتاج إلى استثمارات كبيرة، وهذه الاستثمارات تحتاج إلى رؤية جديـــدة، وهـــو ما تقدمه حكومة الإصلاحيين، فضلا عن أن الرقابة الواعية للمجلس

30- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٥/١٠/٢٠٠٠م.

31- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٥/١٠/٢٠٠٠م.

والرئاسة جعلت معدل الفساد الاقتصادي في الدولة ينخفض بشكل ملحوظ، مما يجعل حكومـــة خاتمي أقوى من الحكومات السابقة في المجال الاقتصادي.[٣٢] وينتقد عدد من المحلليـــن الاقتصاديين الآثار السلبية لصندوق الاحتياطي النقدي وأهمها زيادة السيولة من النقد المحلي إلى الحد المدمر، حيث ساعدت على تخريب بعض السلع والخدمات، وقضـــت علـــى ثبات الاقتصاد وزادت من التضخم، وأصبح من الضروري التخطيط لتحجـــيم هـــذه السيولة، كما أن الخصخصة تفوق طاقة أية مؤسسة وتحتاج إلى غرفة عمليات، وهو مالا تدركه الحكومة[٣٣].

ويشـــير تـــبادل الاتهامـــات بيـــن المحافظين والإصلاحيين إلى أن الاقتصاد الإيرانـــي لـــم يستقر بعد نتيجة القوانين والسياسات الزجزاجية التي تمارسها الحكومة ومجلس الشورى الإسلامي بأغلبيته الإصلاحية، هذه السياسات هي السبب _ مع عدم وجود بنية اقتصادية أساسية _ في هروب كثير من الاستثمارات الأجنبية، حيث أشار تقرير للبنك الدولي بأن من المتوقع أن يصل حجم الاستثمارات التي تهرب من إيران بمعدل ٢/١ مليار دولار سنويا[٣٤].

إن عـــدم اســـتقرار الحكومـــة على خطة ثابتة لإصلاح الاقتصاد، وبرمجة الخصخصـــة والســـيطرة علـــى السيولة النقدية بالعملة المحلية، يفسد حركة الإصلاح ويضـــعف موقف الإصلاحيين، ويبدو أن الوضع سيستمر على هذا المنوال نظرا لأن هذا العام هو آخر عام للدورة البرلمانية السادسة، كما أنه آخر عام في الخطة الخمسية الثالثة، وليس من المتوقع تحريكه حتى تأتي حكومة جديدة من خلال رئيس جديد، وإن كانت ملامح الخطة الخمسية الرابعة ١٣٨٨/٨٣هـــ.ش. ٢٠٠٩/٢٠٠٤م التي مازالت في طور الإعداد تبدو متفائلة في توقعها زيادة متوسط نمو الإنتاج المحلي بنسبة ٨% والـــنقد بنســـبة ٢٠% وقطاع الزراعة بنسبة ٥/٥% والنفط بنسبة ٢/١% والصناعة والتعديـــن بنســـبة ١٣/٢% والخدمات بنسبة ٨% وزيادة الصادرات إلى ٤٢/١ مليار

---

32 – صحيفة انتخاب في ٢٠٠٣/١٠/٢١م.

33 – صحيفة رسالت بتاريخ ٢٠٠٣/٩/١٥م.

34 – صحيفة آفتاب بتاريخ ٢٠٠٣/٩/١٥م

دولار مـــنها ١٣ ملـــيارا صــــادرات غير نفطية، مع توقع بأن يبلغ عدد السكان عام ١٣٨٨هـــ.ش. ٢٠٠٩م ٧٢مليون نسمة، مع معدل تضخم خلال سنوات الخطة يصل إلى ١٠%.

تطور السياسات الدفاعية والأمنية

لم يمنع اتخاذ حكومة الرئيس خاتمي سياسة إزالة التوتر في الداخل والخارج مـــن الاســـتمرار في دعم القوات المسلحة وقوى الأمن، وقد كان متصورا أن الرئيس خاتمـــي مـــع إعلانـــه سيادة القانون وتثبيت أوضاع المؤسسات الدستورية والقانونية، والالتزام بدولة المؤسسات سوف يراجع أوضاع المؤسسات الثورية والتي تخرج عن إطـــار الدســـتور والقانون، وكان على رأس المؤسسات التي سوف تجري مراجعتها وتصفيتها جيش حراس الثورة الإسلامية، وقد ثار الجدل حول وضع هذا الجيش ومدي دستوريته، وهل أدى المهمة التي أنشئ من أجلها؟ وهل حان الوقت لحل هذا الجيش أو دمجـــه مـــع الجيش النظامي؟ كما ثار الجدل حول المؤسسات التابعة له وكيفية توفيق أوضاعها، وقد وقف جيش حراس الثورة في وجه هذا الاتجاه بحزم وأصدر بيانا شديد اللهجـــة، جـــاء فـــيه: إن الأعداء وعملاءهم الظاهرين والمستترين يسعون لتنفيذ هذه السياســـة، إنهم المفسدون الذين تلقوا ضربات في السنوات الأولى من عمر الثورة قد عـــادوا مـــن جديـــد بعد أن غيروا رداءهم ظانين أنهم يواجهون ثورة منتهية وثوارا نادميـــن، وإن قولنا لأولئك الأعداء ولهؤلاء الذين يمهدون لتسلط الأجانب، إن ثورتنا ثـــورة رحمة ومنطق إتمام الحجة، ولكن حان الوقت لكي يشعر الأعداء بوطأة قبضة الـــثورة علـــي جمـــاجمهم حتى يتراجعوا عن مؤامراتهم وخيانتهم، إن حراس الثورة والبســـيج (قوات التعنئة العامة التابعة للحراس) قد عقدوا ميثاق الدم مع ربهم وشعب بلادهـــم علـــى أن لا يكون في إيران زقاق بلا شهيد أو منزل بلا بسيجي، إن أولئك المجاهدين الذين تسمونهم بالميلشيات شبه العسكرية هم الفدائيون الذين قلبوا كثيرا من المعـــادلات، وهم الشباب الذين كتبوا ملاحم ١٧ شهريور و٢٢ بهمن ١٣٥٧ وخرداد ١٣٦٠ و٢٣ تـــيرماه ١٣٧٨هـــــ.ش. وعـــندما ينتهي وقت الابتسام والمداراة سوف يـــنفذون قـــانون الـــثورة والحسم الإسلامي لحراسة الحق والعدل، دون تردد وتفرقة

وبالسرعة التي لا تتصورونها وعندئذ يكون قد تأخر الوقت للاعتبار[١]. وكان من الواضح أن جيش حراس الثورة الإسلامية إزاء ما قدم من خدمات للثورة والنظام، وما قدم من تضحيات خلال الحرب العراقية الإيرانية، وما حقق من إنجازات وانتصارات ضد أعداء الثورة والنظام، وإزاء الجهد الذي بذله في تصدير الثورة الإسلامية في الخارج وتثبيت أركان نظام الجمهورية الإسلامية في الداخل، إزاء كل ما أعلن عن هذه الجهود ومالم يعلن فقد أصبح له نفوذ في جميع مؤسسات الدولة علي مختلف مستوياتها، كما صار له تأثير على قادة الدولة والنظام إبتداء من الزعامة وحتى الشارع الإيراني، ومن هنا فقد وجد جبهة عريضة تسانده وتدعمه وتصر على بقائه واستمراره، يقول حجة الإسلام والمسلمين مهدي كروبي رئيس مجلس الشورى الإسلامي:" إن جيش حراس الثورة الإسلامية هو أحد إنجازات الإمام رحمة الله عليه، وهو الدماء المقدسة والتضحيات والأعمال الفدائية والمقاومة الإسلامية، إن هذه المؤسسة أساس افتخار ورفعة النظام الإسلامي، وينبغي الحفاظ عليها بنفس الروح الشعبية والثورية والتنظيمية اليقظة، إن من المؤسف أن نرى منذ بداية الثورة وحتى اليوم تيارا فكريا يسعى لإضعاف هذا الجيش في حين أنه استثمار الثورة والنظام الإسلامي، وإن مجلس الشورى الإسلامي يعتقد في دعم وتقوية المؤسسات الثورية والقوات المسلحة، وهو مستعد لأي نوع من التعاون مع هذه المؤسسات، وإنني أدعو قيادات وقوى جيش حراس الثورة والبسيج (قوات التعبئة العامة) إلى زيادة تجاربه وإمكاناته وتجهيزاته يوما عن يوم مع تدريب قواته علي الفنون والعلوم العسكرية الحديثة[٢]." كما طالب محسن آرمين نائب رئيس لجنة الأمن القومي بمجلس الشورى الإسلامي بعدم استخدام هذا الجيش من خلال أية جماعة سياسية لتحقيق أغراض سياسية، وقال:" إذا كنا نؤمن بأن الدفاع المقدس قد حقق منجزات وتراث فإن هذا الميراث ليس التيار العنيف للحرب بل إن حراسة القيم المقدسة للحرب التحميلية تؤدي إلى الوحدة والتضحية والتسامي، ولاينبغي أن نحصر الحرب في أحداث محدودة أو

[1]- صحيفة همشهري بتاريخ ١٨/٤/٢٠٠٠م.
[2]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠/٩/٢٠٠٠م.

متعلقة بجناح خاص، لأن مصادرة شهداء الحرب والتضحيات وبطولات فترة الدفاع المقدس لصالح جماعة أو فكر خاص أو جناح سياسي أو حفظ مصالح جماعة سياسية لن يؤدي إلى ضياع ميراث وقيم الحرب فقط، بل إن قيمة هذه الملحمة سوف تخدش في عيون الشباب والناس، وتمثل أكبر ضربة لمنجزات فترة الدفاع المقدس، إنني أشير إلى تأكيد الإمام الراحل على عدم تدخل القوات المسلحة في النزاعات السياسية، وأعتبر أن الدفاع عن القيم والمعتقدات هو واجبها، دون أن يكون هذا حجة لدخول القوات المسلحة إلى الساحات السياسية، والتأييد الظاهر أو الباطن لبعض الجماعات، لأن هذا سيكون بمثابة لطمة وضربة للقوات المسلحة[3]."

وقد استطاع جيش حراس الثورة الإسلامية في عهد خاتمي وبعد خروج اللواء محسن رضائي من قيادته أن يثبت أحقيته في الوجود، من خلال عرض القوة الذي يقوم به في المناسبات المختلفة وخاصة المناسبات المتعلقة بالإمام الحسين، سواء في ذكرى ميلاده أو ذكرى استشهاده أو ذكرى الأربعين من وفاته، حيث يمثل الإمام الحسين الأب الروحي للحراس والقدوة الدينية المعلنة لهم، وتعتبر مناورة عاشوراء التي يجريها جيش حراس الثورة الإسلامية في شهر المحرم أو في شهر صفر كل عام من أكبر وأعقد المناورات التي يقوم بها هذا الجيش علي الإطلاق، بل لعلها تفوق في حجمها وخططها وقوتها مناورات الجيش النظامي في أي وقت من الأوقات، يقول اللواء رحيم صفوي القائد العام لجيش الحراس في تعليقه على مناورة عاشوراء التي أجراها هذا الجيش في ذكرى أربعين الحسين في وسط إيران واشترك فيها أكثر من ١١٠ كتيبة تابعة لقوات الحراس: إن هذه المناورة تعتبر أكبر مناورة من نوعها. رغم أن أحد أهداف هذه المناورة كما يقول العقيد حراس جواد كريمي قائد قوات التعبئة في منطقة أصفهان هو الاستعداد للتصدي للفتن الداخلية والخارجية[4]. كما يقوم جيش الحراس بالاستفادة من ذكرى الانتصارات التي حققها في الحرب العراقية الإيرانية مثل تحرير مدينة خرمشهر وغيرها، بإقامة الندوات والمؤتمرات لشرح هذه الإنجازات

[3]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٩/٢٤م.

[4]- وكالة الأنباء الإيرانية بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢٧م

وتأثـــيرها على سير الحرب والحفاظ على النظام والثورة، يقول العميد حراس أكبري مستشار وزير الدفاع ووكيل الوزارة لشؤون الدراسات الاستراتيجية في مناسبة ذكرى عملـــيات بيـــت المقـــدس:" إن أهـــم آثار هذه العمليات فضلا عن كسر هيمنة القوات العراقية واستعادة الأراضي الإيرانية، هو إفشال جميع المعادلات والإطارات النظرية التي وضعتها قيادات القوي المتآمرة على إيران في الشرق والغرب، ولم تعد الأساليب التـــي استخدمتها هذه القوى في المجالات الدبلوماسية، أو في ساحة القتال قادرة على تجـــاهل القدرة الدفاعية المؤثرة لإيران على المعادلات الأمنية في المنطقة[٥] ". ويقول محســـن رضـــائي القائد السابق لجيش الحراس في الندوة الكبرى لقوات التعبئة العامة التـــي عقـــدت في جامعة طهران بمناسبة ذكري تحرير مدينة خرمشهر:" إن مطالب الشـــعب لاتتحقق إلا بالقوة الحقيقية لحراسه." ويقول هاشمي رفسنجاني النائب السابق للقائد العام لكل القوى في ذكري تحرير خرمشهر:" لقد كانت أهداف العراق في بداية الحـــرب المفروضة هي إسقاط النظام الإسلامي في إيران على ثلاثة مراحل، وفصل إقلـــيم خوزســـتان أو علي الأقل عبدان وخرمشهر عن إيران، وقد صرح صدام بأنه ســـوف يعطي مفتاح البصرة لمن يستطيع استعادة خرمشهر، ولكن مقاتلي الإسلام قد حـــرروا خرمشـــهر بشـــجاعة وعزة ومدد إلهي في عمليات بيت المقدس وخرمشهر الظافرة، بل وحطموا الروح المعنوية والعسكرية والفعالية السياسية للنظام العراقي[٦]".
ويقـــول العمـــيد حـــراس جعفري قائد جيش الحراس في محافظات كرمان وسيستان وبلوچســـتان وجيش ٤١ ثأر الله، عن مناورة الإمام علي الكبرى التي تقوم بها القوات الـــبرية لجـــيش الحراس في منطقة كرمان تحت شعار يا علي بن أبي طالب بمناسبة ذكرى تحرير مدينة خرمشهر:" إن هذه العمليات بهدف تقوية البنية الدفاعية والاستعداد القتالي ورفع مستوى استخدام قوات جيش الحراس للأسلحة المدرعة الحديثة." ويقول العمـــيد حـــراس عبد المحمد رئوفي نژاد عن هذه المناورة:" إن الجزء الأساسي في المناورة يتماشي مع تنفيذ التنسيق في البداية ولمدة ٤٨ ساعة، خلال ثلاث مراحل من

[5]- صحيفة ايران بتاريخ ٢٤/٥/٢٠٠٠م
[6]- صحيفة ايران بتاريخ ٢٤/٥/٢٠٠٠م

العملـــيات فـــي عمـــق ١٥٠ كيلومترا لاحتلال مواقع العدو المفترض، على أن تقوم القـــوات بـــالهجوم علـــى ٢٥٠٠ هدف افتراضي بجميع أنواع الأسلحة الثقيلة[٧]." وفي ذكـــرى عمليات بيت المقدس وتحرير خرمشهر أيضا يقوم جيش الحراس بزيارة قبر الخمينـــي مجددين البيعة للثورة وللزعيم، وفي المقابل يقوم قادة النظام بتكريم قيادات الحـــراس وترقيتهم، حيث قام الزعيم بتكريم عشرين فردا من قيادات الحراس ومنحهم وســـام النصر تقديرا لدورهم المباشر في دعم الدفاع المقدس[٨]. كما يقوم جيش حراس الثورة بمناورات مشتركة مع الجيش النظامي بأسلحته الثلاثة البرية والبحرية والجوية، ومـــن أهـــم هـــذه المـــناورات مناورة " الوحدة ٧٨ " التي أجريت في ١٣٧٨/١٢/٥ هـــ.ش.- ٢٠٠٠/٢/٢٤م فـــي منطقة الخليج ومضيق هرمز وبحر عمان واستمرت عشرة أيام، وقال عنها الأدميرال عباس محتاج قائد القوات البحرية لجيش الحراس: إن هذه المناورة قد جرت علي امتداد ٦٤ ألف كيلومترمربع في خمس مراحل، واشتركت فيها القوات البحرية والجوية والبرية للجيش والحراس، وكان الهدف منها رفع القدرة الدفاعـــية للـــبلاد، ونقـــل التجارب وتدريب وتقييم القدرة القتالية والتجهيزات الحديثة المصـــنعة محلـــيا[٩]. ومن أهم المناورات التقليدية للجيش أيضا مناورة "والعاديات "في مـــنطقة خوزســـتان ومناورة "ميثاق مع الولاية " في منطقة فارس والتي يستخدم فيها الأســـلحة الهجومـــية والمدرعـــات والمشـــاة الميكانيكـــية والطائرات القاذفة المقاتلة والطائـــرات المروحـــية المزودة بالصواريخ، كما تتخذ هذه المناورات شعارات دينية ومذهبـــية وتجـــري علـــى مساحات شاسعة لاتقل عن ألف كيلومتر[١٠]. ومازال جيش حـــراس الـــثورة الإســـلامية يســـعى لدعم قدراته العسكرية خاصة في مجال التزود بالصـــواريخ وهو المجال الذي يتفوق فيه علي الجيش النظامي، وقد أشيع أنه قد عقد عدة صفقات في هذا الإطار مع كوريا الشمالية، حيث ذكرت صحيفة سانكي شيمبون اليابانـــية الصـــادرة فـــي طوكيو في عددها الصادر في أول فبراير عام ٢٠٠٠م أن

7- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٩م.

8- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢٢م.

9- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٤م.

10- صحيفة ايران بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢٥م.

طهـــران وبـــيونج يـــانج تـــتعاونان في مجال صناعة الصواريخ حيث تزمعان صنع صاروخ شبيه بالصاروخ الصيني سي – ٨٠٢، وقد سارع المستشار الصحفي لسفارة إيـــران في طوكيو بنفي أي تعاون بين إيران وبيونج يانج في مجال تقنية الصواريخ، وأرســـل رســـالة إلى الصحيفة بهذا المعنى، وأضاف بأن إيران لديها القدرة الدفاعية اللازمة، وليست في حاجة إلى مساعدات خارجية في هذا الصدد[١١].

قوات الأمن والشرطة:

تولـــي إيـــران فـــي عهـــد خاتمي اهتماما كبيرا بجهاز الأمن والشرطة بقدر اهتمامها بدعم سيادة القانون، وقد أكدت القيادة هذا المعنى في أكثر من مناسبة، حيث اعتبر الزعيم خامنئيي أن الواجب الهام لقوات الأمن في الإقرار الكامل للأمن هو أكثر الأسس ضرورية للشعب والبلاد، مؤكدا أنه في حال استقرار الأمن تستطيع القطاعات المخـــتلفة للـــبلاد أن تقوم بواجباتها علي الوجه الأمثل، إن قوى الأمن تلك المؤسسة الرشـــيدة القويـــة التي تستطيع أن تهدي الأمن للشعب، وإن الاستفادة من قوى مؤمنة وملتزمة وشجاعة تتصف بالصدق الأخلاقي والعملي الصحيح في صفوف الشرطة هو مـــن ضرورات اكتساب ثقة الجماهير[١٢]. ويقول خامنئي في اجتماعه بقيادات الشرطة الســـرية ناجـــا: إن أحد توقعات الجماهير من الحكومة هو المحافظة على قوة البلاد الوطنـــية في الداخل والخارج، وإن قوى الشرطة هي مظهر هذه القوة في محيط حياة الـــناس، إن من الضروري أن تكون العلاقة بين الناس والشرطة علاقة طبيعية، وإذا أردنا أن تكون قوى الشرطة مظهرا عزيزا للقوة الوطنية فلابد أن نوفر ضمن رعايتنا لقوتهـــا وأمانـــتها الظروف اللازمة بشكل كامل وبدون تهاون داخل هذه القوات، من الضـــروري الرعاية الجادة للموازين القانونية والدينية والأخلاقية في قوات الشرطة، فعندما يرجع المواطنون لقوى الشرطة يجب أن يشعروا أن أذنا مصغية ولسانا معبرا وقلـــبا حـــنونا فـــي انتظارهم، ومن هنا ينبغي أن نسعى في الارتقاء بالتدين والروح

---

[11]- صحيفة همشهري بتاريخ ١٩/٢/٢٠٠٠م.

[12]- صحيفة همشهري بتاريخ ١١/١٠/٢٠٠٠م.

المعـــنوية لقـــوات الشـــرطة[13]. ويقول العميد قاليباف قائد قوات الشرطة: إن انسجام التشكيل مع التخطيط العلمي لقوات الشرطة وتوفير الأمن في المناطق الحدودية خاصة فـــي شرق البلاد من الواجبات الهامة للشرطة، ومن هنا فقد تم دعم المخافر الحدودية فـــي شرق البلاد ومازلنا نتابع مشروع الإغلاق الطبيعي للحدود الشرقية بصورة جادة أيضـــا، أما فيما يتعلق بتوفير الأمن في المدن ومواجهة الجريمة والمجرمين فإن قوى الشرطة وضعت أولويات للمدن على أساس خريطة الجرائم وسوف تواجه المجرمين بالـــتعاون مـــع السلطة القضائية، كما تقوم قوات الشرطة بتدابير خاصة لأمن الطرق ووضع مراكز وأقسام تخصصية لقوات الشرطة ونظام اتصال مباشر مع الجماهير من أجل الوصول لتحقيق المتطلبات الأمنية والاجتماعية[14]. ونظرا لأن المناطق الشرقية في إيران تعاني من الفوضى وانعدام الأمن بسبب طبيعتها الجغرافية التي جعلتها موئلا لمهربـــي المخـــدرات والخارجين على القانون، مع وجود كثير من اللاجئين الأفغان والمشـــردين والعاطلين، فقد أبدت حكومة الرئيس خاتمي اهتماما خاصا بتلك المنطقة، وأوجـــدت تنسيقا أمنيا بين قوات الأمن وقوات حراس الثورة الإسلامية وقوات التعبئة العامـــة من أجل وقف أعمال العنف وتعقب مهربي المخدرات من باكستان وأفغانستان وضـــبط المجرميـــن وتجار المخدرات، كما قامت بتوقيع اتفاق مع باكستان لاسترداد المجرميـــن ووضـــعت له تفاصـــيل دقيقة لتنفيذه دون تحايل تتضمن مكافحة الجريمة والإرهـــاب علي جانبي الحدود[15]. كذلك سعت حكومة الرئيس خاتمي إلى أن تتضمن أية اتفاقات بين العراق وإيران في إطار اتصالاتهما لحل المشكلات المتبقية بينهما من فـــترة الحـــرب تأمين الأمن على طول الحدود بينهما. وقد أكد وزير الداخلية على أن تحقيق الأمن لن يكون بالسليقة الفردية، بل ببسط القانون في المجتمع لأنه لن يشعر أي مواطـــن بالأمـــن في نظام يكون للسليقة الفردية الكلمة الأولى، كما ينبغي أن تكون الشـــرطة بمعزل عن الأحزاب، وأضاف: إن أعين الناس على الشرطة وقوات الأمن،

---

[13]- صحيفة همشهري بتاريخ ١٠/١٠/٢٠٠٠م

[14]- صحيفة همشهري بتاريخ ١١/١٠/٢٠٠٠م.

[15]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠/٢/٢٠٠٠م

لذلك ينبغي أن تكون قوة نشر الهدوء والاستقرار في المجتمع، وهي باعتبارها مظهر قـــوة الشعب ينبغي أن تكون مبعث قوة البلاد والنظام والطمأنينة للشعب[16]. وفي إطار دعـــم كـــبار علمـــاء الديـــن للشرطة وقوات الأمن ودورها في المحافظة علي الأمن والاســـتقرار فـــي ربوع البلاد، قام آية الله محمد فاضل لنكراني أحد كبار العلماء في حوزة قم الدينية بتكريم المسئولين في شرطة مدينة قم على جهودهم في القيام بواجبهم الخطير والحساس في إقرار النظام وحفظ الأمن في البلاد، ووصفهم بأنهم موضع ثقة النظام ووصف عملهم بأنه عمل خير طيب ومفيد، مؤكدا على ضرورة وجود اتصال مكـــثف بيـــن قوات الشرطة والجماهير[17]. ودعا حجة الإسلام والمسلمين محمد جواد حجتـــي كرمانـــي إلى ضرورة امتناع الجماعات السياسية عن القيام بأية أعمال عنف غـــير قانونـــية، مؤكـــدا أنـــه إذا قام فرد بأية أعمال عنف وخاصة الاغتيال في عهد الحكومة الإسلامية التي تحت إدارة فقيه عادل، فإنه في رأي الفقه محارب ومفسد في الأرض وحكمـــه الإعدام[18]. وفي هذا الإطار اهتم مجمع تحديد مصلحة النظام بوضع سياســـات رشيدة في مجال الأمن وخاصة الأمن القضائي، كما قام بدعم هيكل السلطة القضـــائية واستقلالها وإزالة مشكلات القضاة والشئون القضائية ولائحة الادعاء العام ومشكلات السجون، وكذلك دعم الاستفادة من مجالس التحكيم الأهلية[19]. وفي مواجهة ماأشـــيع مـــن ســـعي الســـلطة القضائية إلى تشكيل قوات لمنع الاغتيالات اعترض الإصـــلاحيون وقدمـــت جبهة المشاركة الإيرانية الإسلامية مذكرة احتجاج إلى رئيس السلطة القضائية تؤكد فيها أن هذا الإجراء مخالف للشرع ويؤدي إلى إضعاف النظام الشـــعبي والقـــانون، لأنه سوف يؤدي إلى اعتقال الناس بناء علي الشكوك وليس بناء علـــى الأعمـــال مـــع مـــا يصاحب ذلك من سوء النية[20]. وقد نشط مجلس الشورى الإسلامي في التفتيش على السجون ومراقبة أوضاعها ومتابعة تنفيذ الأحكام القضائية،

16- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/١٠/١٣م.
17- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/١٠/١٥م.
18- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٤/١٧م
19- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢٢م.
20- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢١م

ومساءلة مسئولي وزارتي الداخلية والعدل عن غياب بعض المدانين وعدم وضعهم في السـجن، ومن ذلك ما أثاره رضا يوسفيان عضو لجنة الأمن القومي بمجلس الشورى الإسـلامي عن غياب سيد محسن مجيدي المتهم الثاني المدان في قضية اغتيال سعيد حجاريان نائب رئيس المجلس المحلي للعاصمة طهران، وعدم وجود المتهم في سجن عـادل آباد كما قضت المحكمة[٢١]. وكان رئيس السلطة القضائية قد أكد على مراعاة الجانب الإنساني مشيرا في اجتماعه مع المسئولين التنفيذيين في السلطة القضائية إلى أن البشـر يخطـئون، وأن لكل خطأ عقاب ولذلك لاينبغي المعاقبة بأشد العقاب، وأن علـى مسؤولي السجون التصرف بشكل إنساني، وينبغي أن يكون السجن آخر وسيلة للعقـاب، وإن الحكم بالسجن على بعض الجرائم لايتفق مع المنطق البشري ولا الفقه الإسلامي، فالسجن ليس ضغطا على شخص المجرم وحده، بل على أسرته والمجتمع كلـه، وأكـد رئيس السلطة القضائية على ضرورة إعادة النظر في أوضاع السجون وتحسينها، وضرورة تقسيم المساجين علي أساس نوع الجرم والمشخصات الأخري[٢٢].
وقد أكد الرئيس خاتمي في لقائه مع رؤساء مراكز الشرطة علي هذا المعني بقوله:" إذا كـان الأمـن حجة لتهديد الحريات فسوف تنسحق مطالب المجتمع، ويصبح المجتمع معرضـا للانفجار، إن الأمن والحرية الحقيقية هما ركيزتا قوة المجتمع وكماله، وإن من أخطر الأمور تواجه الأمن مع الحرية خاصة في المجتمع الذي يتشكل على أساس القـيم الإسـلامية، ينبغـي أن تعترف بالخلافات الطبيعية في إطار يقننها على أساس الوفاق الوطني والقانوني وتقبل المسؤولية[٢٣].

وزارة المعلومات:

إزاء اهـتمام حكومـة الرئـيس خاتمي بالأمن في مختلف أبعاده فقد اهتمت بـوزارة المعلومـات ودعمتها وحددت واجباتها، يقول حجة الإسلام والمسلمين علي يونسـي وزير المعلومات: إن بلادنا الآن من أكثر دول المنطقة استقرارا، وإن واجبنا

---

[21]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٢/١٠/٢٠٠٠م.
[22]- صحيفة همشهري بتاريخ ١٨/٤/٢٠٠٠م.
[23]- صحيفة همشهري بتاريخ ٩/١١/٢٠٠٠م.

في وزارة المعلومات هو كشف العناصر الخطرة التي تسعى لتنفيذ المؤامرات وضياع الأمـــن مـــن الـــبلاد، إن إثـــارة الفتنة الاضطرابات يضر بمصالحنا القومية وينبغي مواجهـــتها بقوة القانون[24]. ويقول علي يونسي في لقائه مع مجلس محافظة آذربيجان الغربـــية: إن نســـبة ٩٠ % من شعبنا مسلمة وهذه النسبة لها تأثير كبير على وحدتنا الوطنـــية وأيديولوجيتـــنا العالـــية، وليعلم الذين يسعون لإضعاف الإسلام أنهم ليسوا أصـــدقاء الشـــعب، وإن الذين يريدون خيانة وحدة الشعب ودينه ينهزمون وينزوون، والشـــيوعيون دلـــيل على ذلك، إن شعبنا شعب مسلم ويرفض أي نوع من التحجر أو اســـتغلال الإسلام، إن الأكراد والبلوش والآذريين والعرب هم إيرانيون، وإن الإيرانية والإســـلامية همـــا عماد حركتنا، ولسنا بصدد إحياء الحدود القديمة، وإننا في مواجهة الإدعـــاءات القومية، لأننا أنصار إيران الكبيرة وأنصار الإسلام والحضارة والإيرانية والإســـلامية الكبيرة، إن الخلافات السياسية ضرورة لحياة البلاد، وعلامة على النضج والـــنمو السياسي في البلاد، ولا ينبغي أن نخاف من التحركات السياسية، فالمتطرفون ســـينزوون ولن يحفل بهم الشعب، إن وزارة المعلومات في نظرتها الجديدة تفكر في واجـــبها الأساسي قبل أي شيئ، وهو جلب رضا الناس والمسئولين، والمحافظة على الأمـــن القومـــي، حيـــث لا ينبغي أن تكون وزارة المعلومات تشكيلات لأذى الناس، وينبغي أن يعلم الناس أن هذه الوزارة منهم وأن يتعاونوا معها، فإن شعارنا هو وزارة معلومـــات شـــعبية، هي من الناس ومن أجل الناس ولخدمة الناس، إن واجب وزارة المعلومـــات هـــو كشف الأزمات والقلاقل ومنع انتشارها، وتعقب الأزمات من خلال الاستفادة بالوسائل العلمية والثقافية[25].

منظمة مجاهدي خلق:

كـــان من أهم التحديات التي واجهت وزارة المعلومات عمليات نفوذ عناصر المعارضـــة وخاصة جبهة مجاهدي خلق المتمركزة في الخارج ولها قواعد كبيرة في الأراضي العراقية إلى إيران، والقيام بعمليات الانفجارات وقصف بعض المباني الهامة

---

[24]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٥/٩/٢٠٠٠م.

[25]- صحيفة همشهري بتاريخ ٦/١١/٢٠٠٠م.

ومراكــز تابعــة للجــيش والحراس، وقد صعدت الأحداث الأخيرة بقضية المعارضة الإيرانية في الخارج إلى بؤرة الاهتمام وخاصة منظمة مجاهدي خلق التي يطلق عليها فــي إيــران لقب المنافقين، وبغض النظر عن حقيقة هذه التسمية إلا أن هذه المنظمة كانت قضية النظام الحاكم في إيران منذ اشتداد حركة الثورة وبعد انتصارها، وصارت أيضا قضية النظام الجديد باصطدام فكرها السياسي الذي تدعمه البندقية مع فكر ولاية الفقيه الذي بني عليه النظام، وقد فشل النظام في تصفيته وتصفية المنظمة التي تحميه بالقوة، وقد عاد ليطل من جديد متحديا بصورة جديدة وبدعم جديد من أحداث المنطقة، وإن كــان البعض يتصور أن الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق قد أغلق ملف هذه المــنظمة نهائــيا، إلا أنه لا يمكن قبول هذا القول على إطلاقه، وحتى يمكن توضيح الأمر ينبغي أن نعود بالقضية إلى جذورها.

الأسس الفكرية للمنظمة:

اســتوحت مــنظمة مجــاهدي خلق فكرها السياسي من تعاليم الدكتور علي شــريعتي أستاذ علم الاجتماع السابق بجامعة مشهد والمناضل الكبير ضد نظام الحكم الســابق، والــذي أســس مع زميليه همايون وميناچي مؤسسة تعليمية توجيهية ثورية أســموها حســينية ارشــاد، وقد ارتكزت تعاليم شريعتي حول خمسة منطلقات هي: الاعــتماد على القومية في مواجهة الامبريالية والاستعمار الأحمر والأسود، الاعتماد علــى التاريخ والحضارة الوطنية في مواجهة تسلط الحضارة الغربية، الاعتماد على الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات الماركسية والمادية والمثالية والوجودية والتصوف الشــرقي والفقــر الهــندي والزهد الأخلاقي المسيحي وكل الموجات والأيديولوجيات الســابقة والحالية، إتباع المذهب الشيعي وخاصة التشيع العلوي من بين جميع الفرق والمذاهــب الإســلامية، مخالفــة النظم الرأسمالية والشيوعية والدكتاتورية والتواكل والخرافات[٢٦]. وعندما أوقفت حكومة الشاه نشاط مؤسسة حسينية ارشاد قرر شريعتي أن ينشــئ مــنظمة تخــرج مــن إطــار الدعوة والتوعية إلى ميدان الكفاح السياسي والعسكري، وتحول الإسلام من ثقافة إلى أيديولوجية بين المثقفين، ومن التقاليد الحتمية

[26] - علي شريعتي: با مخاطبهاي آشنا ص ٩٦و٩٧

الموروثة إلى وعي ومسؤولية في الوجدان العام، وفي إطار ذلك رفض الالتزام بالتقية الشـيعية في محاربة نظام الشاه مؤكدا أن ذل الشيعة وانحطاطهم يرجع إلى التقية أمام الحـاكم والرياء أمام العامة[٢٧]. ويرى شريعتي أن البناء الاجتماعي ليس الاقتصاد ولا العقـيدة ولا الإرادة ولا أي عنصـر آخـر على حده، وإنما الأساس الاجتماعي لأي مجـتمع هـو عـبارة عـن أسلوب تشكيل وكيفية تركيب مجموعة العناصر المادية والمعـنوية التي كونت شخصية المجتمع، فكما لا يمكن تقدير شخص من خلال مقدار ثروته أو نوع عمله أو شكل وظيفته أو دراسته أو ماضيه أو أصله أو عقيدته وإيمانه أو بيئـته، وإنما ينبغي دراسة مجموع هذه العوامل في شكل كمي كيفي وتحليلها حتى تتضح شخصيته فإن المجتمع كذلك[٢٨]. ويؤكد شريعتي أن هناك أسسا مشتركة للتوافق نحو الطريق والهدف، وأن كل مدرسة أو حركة أو منظمة تظل عقيمة طالما لم توقظ الجماهير، لأن الإنسان بإرادته ووعيه يستطيع أن يفرض إرادته على إرادة التاريخ[٢٩].

التوجه الديني:

ارتبطـت منظمة مجاهدي خلق بعد موت الدكتور شريعتي بعلماء الدين من زاويتين، الزاوية الأولى فكرية، والزاوية الثانية سياسية تنظيمية، ويعتبر آية الله حسين روحانـي من واضعي الأسس الدينية التي اعتمدتها المنظمة من خلال كتابي: طريق الإمـام الحسـين (راه امام حسين) وطريق الأنبياء طريق البشر (راه انبيا راه بشر) واللذيـن قدما لآية الله الخميني لإثبات أن المنظمة منظمة إسلامية[٣٠]. كما أن المنظمة اسـتفادت مـن فكر آية الله طالقاني حول الإسلام الثوري، وكذلك منهج علماء الدين المناضلين (روحانيون مبارز) في إدخال فكرة الاستشهاد على العمل الوطني، وقيامها بأعمال الكفاح المسلح من خلال أسلوب الخلايا الشيعية السرية، وقد دعم الاتجاه الديني للمنظمة مساعدة عدد من علماء الحوزة الدينية في كل من قم ومشهد والنجف لها سواء

---

27 - المرجع السابق ص ١٣

28 - علي شريعتي: بازگشت به خويشتن ص ٥٤

29 - المرجع السابق ص ٨٩ و ٩٠

30 - مذكرات آية الله محمد علي گرامي ص ٢٢٢

بالمـــال أو الكتب أو الدعم المعنوي، فضلا عن انضمام أبناء مراجع التقليد وجماعات دينية صغيرة لها[31].

الماركسية الإسلامية:

وقـــد اتجهت منظمة مجاهدي خلق بأفكار الدكتور شريعتي وآية الله طالقاني يسارا إلى الحد الذي جعلها ترفع شعارا يحمل المنجل والمطرقة، إلا أنها لم تفرط في هـــذه الأفكار، ولم تقلل من قدرها وقيمتها في توجيه المنظمة، وظلت ملتزمة بالثورة الإســـلامية غـــير متواطئة مع الجماعات الماركسية من أجل تدعيم نفسها على حساب الثورة كما فعلت باقي الجماعات حتى الجماعات ذات الاتجاه الديني، وتشهد الوقائع أن هـــذه المـــنظمة كانـــت مخلصة لقيادة الثورة، لا تستوحي سياستها من التبعية للاتحاد الســـوفييتي ولا الصـــين الشـــيوعية، بـــل إنها كانت على خلاف دائم مع حزب توده الشـــيوعي، وكانت تهاجمه بشدة وتصفه بالانتهازية، وقد نشرت صحيفة كار الناطقة بلســـان المـــنظمة مقالات وتحقيقات تثبت تورط حزب توده في الخيانة والانتهازية[32]. ورغـــم أن حـــزب توده كان يمالئ منظمة مجاهدي خلق أحيانا في مقالاته عنها على صفحات جريدة مردم (العدد٢٣٧ في٢٨أرديبهشت ١٣٥٩هـــ.ش.) إلا أنه كان أحيانا يـــرد علـــيها بعـــنف أيضـــا خلال هذه الصحيفة.(مردم العدد٢٤٢ في٣خرداد١٣٥٩ هـــ.ش.)

أما ما يتعلق باصطلاح الماركسية الإسلامية فيؤكد نجات حسيني أن أول من اســـتخدمه هـــو جماعة نادر شايگان التي أسسها مع زميليه حسن رومينا ومصطفى شـــعاعيان، ثـــم انضمت لمنظمة مجاهدي خلق، ومنها شاع بين كوادر المنظمة، على اعتبار ما ورد في الإسلام من قواعد اشتراكية تشبه ما تنادي به الماركسية، فضلا عن الجدلـــية التـــي ترضـــي أسلوب الجدل عند كوادر المنظمة[33]. ولكن حسين روحاني ســـرعان مـــا انـــتقد الـــتوجه الالتقاطـــي في فكر المنظمة لأنه يدور في فلك المادية

---

31 - مجلة تهران مصور في ١٩٨٠/٤/٢٠م.

32 - صحيفة كار في ١٩٨١/٥/٢٠م.

33 - صحيفة پيكار في ١٩٨٠/١١/١٩م.

الدياليكتيكـــية والأيديولوجـــية الماركســـية، مؤكـــدا خطأ الفكرة التي تقوم على تقسيم الماركســـية إلـــى قسمين: قسم له أساس فلسفي قائم على المادية الجدلية، وقسم يتعلق بالـــتجارب السياســـية والاجتماعية والعلمية، وأن الاستفادة من هذا التقسيم في وضع أسس للماركسية الإسلامية خطأ أيديولوجي ومنهجي، وقام روحاني بتعديل أيديولوجية المنظمة في اتجاه الإسلامية، ومن ثم دخل فكر مهدي بازرگان في نسيج فكر المنظمة، لأنـــه يدعم فقه إسلام العقل على فقه إسلام النص، وكان لكل من عبد العلي بازارگان ابـــن المهـــندس مهدي بازرگان وإحسان شريعتي ابن الدكتور علي شريعتي ومجتبى طالقانـــي ابـــن آية الله محمود طالقاني أثر كبير في تثبيت هذا التحول الإيجابي نحو الإسلام العقلي[٣٤].

تشكيلات المنظمة:

يذكر آية الله هاشمي رفسنجاني في مذكراته تحت عنوان عهد الكفاح (دوران مـــبارزه) أن منظمة مجاهدي خلق قد ظهرت من قلب حركة الحرية كرد فعل للعنف الـــذي اتسمت به حركة نظام الشاه في مواجهة المعارضة الشعبية، وأن هذه المنظمة كانت وليدة حركة سياسية دينية، وأن ما ميزها عن حركة فدائي الإسلام أنها لم تتسرع فـــي العمل مستفيدة بالتجارب السابقة، وأنها بدأت عملها بصبر، وظلت طوال سبع أو ثماني سنوات في إعداد المقدمات وكتابة الأيديولوجية وتدريب الأفراد وتشكيل الكوادر والتنظيمات، ثم أعلنت عن وجودها عام ١٣٥٠هـــ.ش.(١٩٧١م) وكانت تعمل بسرية شديدة ووفق أصول ثابتة، وخطط واسعة، ودراسة للإسلام والماركسية، والتدريب في الخـــارج على حرب العصابات، ودراسة تاريخ الكفاح المسلح[٣٥]. وتذكر المصادر أن محمد حنيف نژاد وزملاءه علي باكري، علي ميهن دوست، علي أصغر بديع زادگان، سعيد محسن، ناصر صادق، محمود عسكري زاده، حسين خوشرو وآخرون قد قاموا بإنشـــاء المنظمة بموازات منظمة فدائيان اسلام على أسس عقائدية، وانضم إليهم عدد مـــن شباب علماء الدين مثل مجتبى طالقاني ابن آية الله طالقاني، حسين جنتي ابن آية

---

[34] - رسول جعفريان: باز شناسي سازمان مجاهدين خلق ج ٢

[35] - مذكرات هاشمي رفسنجاني الترجمة العربية للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن ص ١٤٣

الله أحمد جنتي، أبناء كل من آية الله محمدي گيلاني، حجة الإسلام والمسلمين لاهوتي، حجـــة الإســـلام والمســـلمين گلزاده غفوري، فضلا عن حسين روحاني وتراب حق شناس، وقد تكونت مجموعات دينية صغيرة انضمت للمنظمة مثل مهديون وحزب الله تهـــران وحـــزب الله اصفهان[٣٦]. كما قام عدد من علماء الحوزة الدينية في كل من قم ومشـــهد والـــنجف بالاتصال بالمنظمة والتعاون معها مثل آيات الله: محمود طالقاني، مهـــدوي كنـــي، هاشمي رفسنجاني، رباني شيرازي، مجد الدين محلاتي، حسين علي منـــتظري، علـــي أكـــبر براتـــي، وقد تحمس كل من منتظري وطالقاني ورفسنجاني وروحانـــي لإعـــلان أن المنظمة إحدى منظمات الجبهة الإسلامية، وأرسل كل منهم رســـالة للخمينـــي بهـــذا الشأن، ووصفهم طالقاني في رسالته بأنهم فتية آمنوا بربهم وزدنـــاهم هـــدى، لكن الخميني لم يكن متحمسا لهذا الإعلان، وقال: أخشى أن أعلن تأيـــيدى فتشتد عليهم عناصر الحكومة، كما أني لا أريد أن أجعل البعثيين في العراق وسوريا واسطة لإطلاق سراحهم من المعتقلات[٣٧].ويذكر رفسنجاني أيضا أن أعضاء مـــن المنظمة ذهبوا إلى فلسطين وكان لها عناصر هناك، حيث كان كفاح الفلسطينيين فـــي ذلـــك الوقت موجها وملهما وكان الارتباط به من جانب الجماعات المناضلة في الدول الأخرى مبعث فخر وفعالية، وكانت أعمال المنظمة الصغيرة تثير ضجة كبيرة أحيانا مثل ذهابهم إلى دبي واختطاف طائرة في الجو، والاتجاه بها إلى العراق، ويذكر أن خـــاطفو الطائرة هم حسين روحاني وصادق سادات دربندي ورسول مشكين فام، وأنه قد اعتقل بسبب العملية كل من سيد جليل وموسى خياباني ومحسن نجات حسيني وكاظم شفيعيها وحسين خوشرو ومحمود شامخي[٣٨].

ولم تعرف المنظمة قبل كشفها على أنها يسارية، ولم تكن مستعدة لأن تعرف كشـــيوعية، لأنهـــا كانت تطمع في أن تنفذ إلى المجتمع الإسلامي، وكان معارفها في الخارج يسعون إلى تعريفها على أنها حركة إسلامية، مثل طاهر أحمد زاده أحد قيادي

---

[36] - فرازي از تاريخ سازمان مجاهدين خلق ص ٢١ وما بعدها

[37] - صحيفة پيكار العدد ٧٧ و٧٨

[38] - از نهضت آزادي تا مجاهدين ج١ ص ٣٧٤

منظمة فدائي خلق الذي عرفها بأنها إسلامية، ولكني (والكلام لرفسنجاني) عندما كنت في السجن بعد كشفها، عرفت جماعة منها وعلمت أنهم يساريون، في هذه الفترة كانت منظمة مجاهدي خلق والميليشيات الفدائية أكبر من سائر المنظمات، وعندما اشتد نشاط نظـــام الشـــاه في تعقب الجماعات الثورية تهيأ المجال لكي يصبح كل من المجاهدين والفدائييـــن محـــورا للكفاح المسلح الديني والماركسي، وكانت هناك جماعات صغيرة تتشكل ثم تنضم إلى هاتين المنظمتين، أو أن يكون زعيمها ضابط اتصال معهم، أو أن ينسق معهم في السجن، أنا نفسي (والكلام لرفسنجاني أيضا) كنت أعرف مجموعة من الطـــلاب كانـــت مستقلة وتفكر في العمل المسلح ولكنها ارتبطت بالمجاهدين قبل عام ١٣٥٠هـــ.ش.(١٩٧١م) ثم ذابت كلها في المنظمة.(المرجع السابق ص١٤٥و١٤٦)
ويشـــير رفســـنجاني إلـــى أن نظام الشاه قد كشف منظمة مجاهدي خلق خلال حركة الاعـــتقالات الكبيرة التى قام بها سنتي ١٣٥٠و١٣٥١هـــ.ش.(١٩٧١و١٩٧٢م)، وقد أعـــدم زعـــيم المـــنظمة محمد حنيف نژاد وعدد من رفاقه، وقد نجا حسين روحاني لوجـــوده فـــي الخارج، وهرب تقي شهرام واستطاع مع زميله حسين سياه كلاه إعادة تشكيل قيادة المنظمة، في حين تم إعدام معظم قيادات المنظمة الآخرين حتى بلغ عدد الذيـــن أعدموا ١٢٠ من الكوادر بتهمة تفجير مصنع الصناعات الكهربائية في طهران فـــي شـــهر مرداد١٣٥٠ هـــ.ش. عند الاحتفالات بذكرى مرور ألفين وخمسمائة سنة على تأسيس الشاهنشاهية الإيرانية، وكذلك لاغتيال عدد من أعضاء الساواك وعدد من المستشـــارين الأجانـــب، ثـــم قـــتل رضـــا رضايي ومحمود شامخي، وقد ارتد عن المنظمةمحمد رضا آخوندي وهاشم وثيق پور وحسن سبحان اللهي وصادق فرد نقوي وليلا زمرديان وسيمين حريري[٣٩].

ويشـــير رفســـنجاني إلـــى حـــدوث انشعاب في منظمة مجاهدي خلق نتيجة صـــراعات داخلـــية جعلـــت أفرادها يقتتلون ويعترفون على بعضهم ويفشون أسرار منظمـــتهم، واستشـــهد بالقيادي وحيد افراخته الذي أبدى ضعفا واعترف بكل ما كان يعـــرف _وكـــان يعرف الكثير_ مما أدى إلى وقوع كل الخيوط في أيدي نظام الشاه

[39] - صحيفة كيهان في ١٥/٧/١٩٨١م.

فوضع الجميع تحت بصره، وكان يصبر حتى يتشكل التنظيم ويصل إلى حد من النمو فيمســـكه في مكمنه ويلقيه في السجن، فسيطرت حالة من اليأس في السجن، وأصاب الانشعاب والانحراف أنصار المنظمة بصدمة نفسية، فلم تقم منذ ذلك الوقت بأي عمل هـــام، ولـــم يكـــن الإســـلاميون سعداء بالكفاح المسلح لما كان له من رد فعل مدمر للبســـطاء، وكـــان الماركسيون سعداء بتردي منظمة مجاهدي خلق التي استنتجت أن الكفاح المسلح سوف يؤول في مسيرة تكامله إلى الماركسية[40]. وقد نجا كل من بهمن بازرگان ومسعود رجوي من الإعدام وعملا على إعادة تكوين المنظمة بشكل قوي[41]. وقـــد سعت المنظمة إلى تخفيف علاقاتها بالشيوعيين لتحافظ على وحدتها وتضامنها، وكانـــت تدعـــي غالـــبا أنها كشفت عن طريق عنصر مشبوه يدعى مراد دلفاني كان جاسوسا لليساريين[42].

خلاف الجبهة الإسلامية حول المنظمة:

لقـــد كان رأي آية الله طالقاني وآية الله رفسنجاني في البداية أن يعلن الزعيم الخميني عن تأييده للمنظمة، وطلبا منه ذلك لكن الخميني رفض، وقد تراجع رفسنجاني عـــن طلـــبه عـــندما رأى انحرافات تقع بين أعضائها، وقد أكد رفسنجاني أنه لم يكن يعرف مؤسسي المنظمة مثل حنيف نژاد وغيره عن قرب، وقد جرت بينه وبين بعض أعضائها مباحثات، وكان حاصل إدراكه عنهم أنهم مسلمون ويقبلون بالماركسية، وأنهم كـــانوا ســـطحيين ولأنهم لم تكن لديهم معلومات عميقة عن الإسلام فلم يكونوا يرون تضادا بين الإسلام والماركسية، وكانوا يظنون من خلال تحليلاتهم وتفسيراتهم الخاطئة أن الكفاح الناجح في العالم هو الكفاح الماركسي فقط، وكانوا يعتبرون أن فكرة الكفاح حصر على الماركسية، وكانوا يسعون إلى تطبيق الماركسية على الإسلام معتقدين أن الإسلام نفسه يتحدث عن الماركسية، ولست أقصد (والكلام لرفسنجاني) الأفراد الذين ارتدوا عن الإسلام مثل بهمن بازرگاني أو الأشخاص الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام،

40- فرازي از تاريخ سازمان مجاهدين خلق ايران ص ١٤٧و١٤٨

41 - المصدر السابق ص ٢١

42 - صحيفة پيكار في ١٩/١١/١٩٨٠م.

وإنمـــا الأفـــراد الآخريـــن الذين كانوا يصلون ويصومون ولكن ليست لديهم معارف إســـلامية مثلنا، كانوا يعتبرون الله روحا حاكمة على نظام العالم، ولم يكونوا مستعدين لمناقشـــة قضـــايا الآخرة والثواب والعقاب والجنة والنار[43]. كذلك كان آية الله أنواري ينكرهم ويرفض التعامل معهم ويختلف مع آية الله رباني شيرازي حولهم[44]. وقد تأثر الخمينـــي بآراء أنواري حولهم فوصفهم ذات مرة بأنهم ماركسيون في زي الإسلام[45]. وقـــد دافع عبد العلي بازرگان ومجتبى طالقاني وإحسان شريعتي وعزت الله سحابي ومحمـــد اكـــبري آهنگران وحسين روحاني واكبر براتي وحسين جنتي عن المنظمة نافيـــن الإشاعة التي روجت حول أنها شيوعية ومؤكدين أن عددا من الماركسيين مثل حبيب الله پيمان وحبيب الله آشوري انضموا إليها من أجل هدمها[46].

ويذكر رفسنجاني أن نظام الشاه لم يكتشف أعضاء اللجنة المركزية للمنظمة، وأن المعتقليـــن مـــنهم كـــانوا يتصرفون كمنظمة، وقد سيطروا على السجن، وكانوا يرددون الأناشيد، وقد أعجبه نشيدهم، وكانوا يروجون لحزبهم عن طريق الاجتماعات، وكـــان يخطـــب فيهم كما كانوا يتوقعون منه المساعدة، رغم أنه كان يختلف معهم في الرأي حول بعض المسائل[47].

صدام المنظمة مع قيادة الثورة:

مـــع الوضـــع فـــي الاعتـــبار أن آية الله رفسنجاني يتحدث في مذكراته عن المـــنظمة بعـــد أن صـــارت من معارضي النظام الذي يمثله كأحد قياداته مما يضع تحفظـــات علـــى كلامـــه، فقد عبرت مشكلة كردستان وتركمن صحرا التي أحرجت حكومة الثورة الإسلامية مع بداية إقرارها وتقنينها للأمور في إيران، عن حقيقة توجه هذه المنظمة وموقفها من قيادة الثورة حكومتها، حيث تمردت قبائل هذه المنطقة على حكومـــة الـــثورة بســـبب بعـــض مواد الدستور الذي وضعته لجنة خبراء الجمهورية

---

43 - مذكرات رفسنجاني الترجمة العربية ص ١٥١

44 - رباني: حركت طبيعي از ديدگاه دو مكتب ص١٩٤و١٩٥

45 - صحيفة پيام انقلاب في ١٩٨١/٦/٢٥ م.

46 - احسان شريعتي: جنگي در باره زندگي ص ٤٨

47 - مذكرات رفسنجاني الترجمة العربية ص ١٥٧

الإســلامية، فقد شعرت هذه القبائل أنها أضيرت بهذا الدستور، وأنه لا يرعى مصالح الأقلــيات المذهبية والعرقية، وقد فشلت الحكومة في إقامة حوار مع هذه القبائل التي لجــأت للصدام المسلح مع قوات الأمن والحرس الثوري، وكانت الجماعات اليسارية المسلحة تلعب دورا كبيرا في استمرار هذا التمرد بدعم هذه القبائل بالأسلحة والمقاتلين والمدربين، وكانت منظمة مجاهدي خلق من أقوى الجماعات التي تدعمهم، وقد أنهكت قــوات الحرس الثوري في قتالها معهم، وفي إطار محاولات الرئيس أبو الحسن بني صدر وقف التهور في مواجهة التحرشات العراقية بالثورة الإسلامية في إيران استطاع أن يلتقــي مــع مســعود رجوي زعيم المنظمة، وأن يجري معه حوارا في ١٣ مايو ١٩٨٠م، وقــد وعد الرئيس بني صدر بإطلاق عمل المنظمة في إطار الحريات التي وعد بها كافة الأحزاب والجماعات السياسية على أثر حصوله على الامتيازات الثلاثة التــي طلــبها مــن الخميني وهي: اختيار رئيس الوزراء بموافقة الزعيم وتولي قيادة القــوات المسلحة والتزام أجهزة الإعلام بسياسة الثورة الإسلامية، وقد وعد بني صدر مســعود رجوي بعدم تصفية عناصر المنظمة مادامت ملتزمة بروح الثورة وقوانينها، كذلك وعده بطلب إعادة النظر في انتخابات الدور الأول لمجلس الشورى الإسلامي في الدوائــر التــي عومــل فــيها أنصار المنظمة معاملة قاسية وحيل دون نجاحهم رغم حصولهم على التأييد المطلق من الجماهير، حيث أن عدم حصول المنظمة على مقعد واحد في المجلس أمر غير معقول أو مقبول، وأن التهديد بالقتل لمهدي بازرگان بسبب تمنــياته الطيبة للمنظمة في النجاح في الانتخابات أمر مرفوض، وقد وعد بني صدر أيضــا بعقــد مؤتمــر صحفي لتوضيح حرية كل جماعة في الاشتراك في الانتخابات النيابــية، ولحــث المســؤولين على الالتزام بالحياد التام بين المرشحين خلال العملية الانتخابــية[٤٨]. وقــد أصــدرت منظمة مجاهدي خلق في العدد التاسع والخمسين من صــحيفة كــار الناطقة باسمها بتاريخ ٣١ ارديبهشت ١٣٥٩هــ.ش. بيانا أعلنت فيه تأيــيدها للزعيم الخميني وللجمهورية الإسلامية ورئيسها، والتزامها بالعمل على إعادة الهــدوء والاســتقرار في البلاد وخاصة في محافظة كردستان، واستعدادها للتفاهم مع

[48] - صحيفة كيهان ١٩/٥/١٩٨١م.

المسـؤولين. وردا علـى ذلك أعلن الرئيس بني صدر دعوته للمنظمة لطرح آرائها وأفكارها الإصلاحية في الإذاعة والتليفزيون، مؤكدا أنها سوف تلقى أذنا صاغية، وأن الحكومـة سـوف تـتحاور معها بشرط أن لا تتدخل في عمل الحكومة أو تلجأ إلى العنف[٤٩].

كان من الواضح في ذلك الوقت أن المنظمة توثق علاقاتها برئيس الجمهورية حيـث نشرت الصحف أخبارا كثيرة عن لقاءات زعيمها مسعود رجوي بالرئيس بني صـدر، لدرجة أن تردد في الأوساط السياسية أن أحد أسباب سحب الثقة من الرئيس بنـي صدر هو علاقته بمسعود رجوي ومنظمة مجاهدي خلق، وكان من الواضح أن بني صدر يسعى للاستفادة من هذه العلاقة لدعم موقفه أمام نفوذ علماء الدين المتزايد والذيـن يدبرون لإبعاده، فكان عليه أن يستعين بحلفاء جدد تلاقت أفكاره معهم، على أمـل أن يكونوا ذراعه المنفذة لخططه ومشاريعه. ولم يكن موقف الرئيس بني صدر مـن فـراغ حيث أدرك أن النزعة الليبرالية التي تميز بها مسعود رجوي عن أستاذه الدكـتور شـريعتي يمكن أن تكون الجسر الذي يربط بينه وبين هذه المنظمة، فرغم توجـه بني صدر الإسلامي إلا أنه كما اتضح من أعماله ليبرالي النزعة، استطاع من خـلال ممارسـاته السياسـية أن يصوغ أسلوبا يجمع بين توجهه ونزعته، وقد صدق حدس بني صدر فارتبطت به المنظمة وساعدته في إدارة بعض الأمور، رغم انشغالها بتثبيـت قواعدها في العاصمة، وعندما أطيح ببني صدر ساعدته المنظمة في الخروج من إيران والذهاب إلى باريس ليبدأ من هناك مرحلة جديدة من كفاحه الثوري.

لقـد كان رد المنظمة على علماء الدين وقرار مجلسهم بعد هروب بني صدر بحـل المـنظمة واعتبارها منظمة غير شرعية عنيفا، حيث قامت بعمليات تفجير في العاصـمة والمحافظات أدت إلى تدمير مبنى رئاسة الوزراء ومبنى حزب الجمهورية الإسلامية، كما أدت إلى مصرع رئيس الجمهورية محمد علي رجائي الذي خلف بني صدر، وكذلك رئيس وزرائه محمد جواد باهنر، ومنظر حزب الجمهورية وأمينه العام آية الله محمد بهشتي، وعدد كبير من الوزراء و٧٢ عضوا من أعضاء مجلس الشورى

---

49 - صحيفة كيهان ٢/٦/١٩٨١م.

الإسلامي وعدد كبير من القيادات السياسية والحزبية وعلماء الدين[50]. وهو ما مثل في نظـر زعماء الثورة والنظام أكبر كارثة واجهتها الثورة، لأن اختلاف الجماعات التي ساهمت في نجاح الثورة مع قيادتها أمر وارد، ربما يؤدي أحيانا إلى الصدام ولكنه لا يصل إلى هذه الدرجة من القسوة والوحشية، وإن كان بني صدر ورجوي قد بررا هذه الأعمال العنيفة بأن السياسة العنيفة التي انتهجتها القيادات الدينية وعملها على تصفية معارضيها الذين كانوا شركاء الأمس هي التي جلبت كل هذا العنف، إلا أن من المؤكد أن هذه الأحداث قد قطعت خط الرجعة بين قيادة النظام وبين منظمة مجاهدي خلق.

المنظمة في المنفى:

بعـد هـروب الرئـيس بني صدر برفقة زعيم المنظمة مسعود رجوي نقلت المنظمة إدارتها إلى باريس، ثم جعلت لها فروعا في كل من لندن والعراق والولايات المـتحدة الأمريكـية، وقـد سمح لها نظام صدام حسين في العراق أن تقيم لها قواعد عسـكرية علـى الحدود مع إيران، بهدف الاستفادة من وجودها هناك في تأمين هذه الحـدود، فقامـت المـنظمة بتشكيل جيش بري مدعم بالمدفعية والدبابات والعربات المصفحة القتالية والصواريخ.

لقـد دلت الأحداث بعد ذلك على أن المنظمة قد عدلت من فكرها الذي قامت علـيه سواء تحت الظروف الجديدة باعتبارها معارضة في المنفى، أو بحكم تأثير فكر الدكتور أبو الحسن بني صدر على قياداتها، ويمكن ملاحظة أن المنظمة لم ترجع عن الكفـاح المسلح، كما أنها لم ترجع عن حرب العصابات التي باتت تجيدها، فرغم أنها كونت جيشا نظاميا وجد في العراق مستقرا له على الحدود مع إيران، إلا أنها لم تكف عـن إثـارة القلاقل لحكومة طهران حيث قامت بالعديد من أعمال العنف والتفجيرات والإقـدام علـى محـاولات اغتيال قادة النظام ومؤيديهم، وقد تعرض كل من الزعيم خامنئـي والرئـيس رفسـنجاني لهذه المحاولات التي كانت تسفر عن جرحهما دون مصـرعهما، ويبدو أن المنظمة قد ركزت على عمليات تصفية القيادات الإيرانية، بعد

50 – إذاعة طهران بالفارسية في ١٩٨١/٨/٣٠م

أن أصبحت قيادتها بمنأى عن الوقوع تحت طائلة النظام، فضلا عن محاولة إضعاف ثقة الجماهير فيها.

والواقـــع أن قيادة المنظمة رغم كونها خارج إيران إلا أنها ظلت تتلقى الدعم والمســـاعدة من القبائل والعناصر المختلفة المعارضة للنظام الحاكم داخل إيران، مما جعلهـــا تقـــيم محطتيـــن للإذاعة والتليفزيون يبثان إلى إيران عبر الأقمار الصناعية، ويشـــهد على هذا الدعم قدرة المنظمة المالية التي تسمح لها بتمويل جيشها وعملياته، فضـــلا عـــن إنـــتاج بـــرامجها بنفسها، وإعالة عائلات منسوبيها في الخارج، وتقديم مساعدات مالية لفقراء مؤيديها داخل إيران، ربما كانت المنظمة تحصل على دعم من الدول المناهضة لنظام الحكم في إيران ومن أجهزة المخابرات المختلفة، وهناك شواهد علـــى ذلـــك إلا أن الواضـــح أن هـــذا الدعـــم لم يورطها في أنشطة خارج أهدافها الأيديولوجية، لقد أشارت التقارير عن علاقاتها الوثيقة بنظام صدام حسين في العراق، وعن مساندتها له في حربه ضد إيران، وهذا يبدو منطقيا، لكن بعض التقارير أشارت إلى علاقاتها بأجهزة المخابرات في كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، ويبدو أن هذه العلاقات كانت تتركز حول تبادل المعلومات ولا تمتد إلى النشاط العسكري أو العنيف.

لقـــد كـــان الســـؤال المطروح على قيادة منظمة مجاهدي خلق يتعلق بمدى الـــتعاون مـــع أعداء إيران بهدف قلب نظام الحكم فيها، ويبدو أن قيادة المنظمة كانت تمســـك بشـــعرة معاوية في هذا الإطار فهي لا تريد أن تخسر دعم هذه الدول ولا أن تخســـر التأيـــيد الـــذي تلقاه داخل إيران، فكان عليها أن تحافظ على نسبة قبولها بين الإيرانييـــن من خلال التمسك بأيديولوجيتها الإسلامية في صورها المتعددة ابتداء من تمسك نسائها بالحجاب الإسلامي، إلى احتفالها بالمناسبات الإسلامية والمذهبية، مرورا باستشهاد قادتها في أحاديثهم بالنصوص الدينية، كما أتاح لها انهيار الاتحاد السوفييتي فـــك ارتباطها تماما بالشيوعية، حقيقة أن برامج الإذاعة والتلفزيون التي تبثها المنظمة تعطـــي مســـاحة كبيرة للسخرية من علماء الدين، إلا أنها كانت تركز على شخصيات بعيـــنها تـــتولى مناصـــب قيادية في النظام، كما كانت تتجنب الإساءة إلى الإسلام أو

المذهب الشيعي أو إلى أي من رموزه وأئمته، ومن هنا لم يجد النظام الحاكم في إيران لقــبا يطلقــه علــى المنظمة خيرا من لقب المنافقين، خاصة وأن تاريخ عددكبير من قيادات النظام يشير إلى تعاونه مع هذه المنظمة بشكل أو بآخر، ويؤكد رفسنجاني في مذكــراته هذا ولكنه يعود ليقول إنه قابل الخميني واعتذر له عن تأييده لمجاهدي خلق وأن الخميني كان على صواب في عدم تأييدهم لأنه اكتشف نفاقهم وانحرافاتهم، يقول رفسنجاني: أنا نفسي عندما تلقوا ضربة في سنواتهم الأولى طلبت من الإمام في رسالة أن نؤيدهــم، وأكــدت له أن هــؤلاء الشباب طيبون ولكن الإمام لم يؤيدهم، وقد قام الآخرون بمثل هذه المبادرات لربما تؤثر في إنقاذهم من الإعدام، لكن عندما ذهبت إلى حضرته في النجف سنة١٣٥٤هـــ.ش.(١٩٧٥م) قلت له: لقد أصررنا على أن تؤيدهم بشــكل مــا ولكنكم لم توافقوا، وكنا نتصور أنه عندما نأتي إليكم يمكن الحصول على موافقتكم والسعي إلى كسب تأييدكم، وقد فهمت الآن بعد انحراف وارتداد جماعة منهم أنكم رغم بعدكم عنهم وكنا نحن داخل البلاد، كنتم على حق في موقفكم، لقد ساعدناهم ثلاثــة أو أربعة أعوام، ونحن نرى الآن أنهم كانوا يحملون الكفر في رؤوسهم، وفي هذه الأيام يمكن أن تبذل محاولات جديدة للحصول على التأييد منكم، وإنني أطلب منكم أن تظلوا على موقفكم[٥١].

المنظمة بين لقب مجاهد ومنافق:

قامــت مجلــة مجاهد التي تصدر عن قيادة حراس الثورة الإسلامية ببحوث مطولة حول استحقاق أفراد الحراس لقب مجاهد دون أفراد منظمة مجاهدي خلق الذين يســتحقون لقب منافق، مؤكدة أن لفظ مجاهد يرتبط بلفظ متدين، وهو ما ينطبق على الحــراس ولا ينطــبق على أفراد المنظمة، وتسترسل المجلة في بيان الفرق منذ قيام الثورة وبعد انتصارها، حيث تدرج معنى المجاهد في تعريف دوائر المعارف الإيرانية مــن مقاتل+ متدين+ له أهداف دينية، إلى مقاتل+ متدين+ له أهداف دينية+ له أهداف سياســية+ معــارض لحكــم الشاه، أما بعد انتصار الثورة واستقرار نظام الجمهورية الإســلامية فقــد اتخــذ تعريفا جديدا أي مقاتل+ متدين+ له أهداف سياسية عسكرية+

---

[51] - مذكرات رفسنجاني ص ١٤٩و١٥٠

معـــارض لحكومة الجمهورية الإسلامية، مما جعله يتخذ معنى سلبيا يقترب من معنى المـــنافق بحيـــث يصـــبح فدائـــي+ مجـــاهد+ طالب للسلطة+ قومي، وهذا يجعل من الضـــروري استبدال تعبير مجاهد بتعبير منافق، وهو ما ينطبق على منظمة مجاهدي خلق[52].

المنظمة والأحداث الأخيرة:

لاشـــك أن مـــنظمة مجاهدي خلق تتعامل بأدوات فكرية لا تختلف كثيرا عن أدوات الـــنظام الحاكم في إيران لأنها مستمدة من الفكر الشيعي، فرغم صراحة الأداء للمنظمة في مقاومتها للحكومة الإيرانية إلا أنها تتعامل أيضا بالتقية السياسية، سواء مع عناصـــر وطنية إيرانية تساعدها في الداخل، أو في علاقاتها مع دول العالم، وخاصة الولايـــات المـــتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا، وهو ما أخر وضع اسمها في قائمة المنظمات الإرهابية، وحصولها على أكبر مساعدات ممكنة، واستثمار أخطـــاء السياسة الخارجية لإيران، ولقد استطاعت المنظمة من خلال استثمار أدوات الفكـــر الشيعي أن تحافظ على علاقات مرنة مع الغرب بعد قيدها في قائمة المنظمات الإرهابية، ويشهد على ذلك موقفها من الغزو الأمريكي البريطاني للعراق، فهي مع ما أبدتـــه لقيادة صدام من تجاوب نحو الدفاع عن الأراضي العراقية التي تعيش في كنفها ضـــد الغزو الأجنبي، إلا أنها في واقع الأمر قد اتخذت نفس موقف الحكومة الإيرانية تجـــاه الغـــزو وهـــو الحياد الفعال، كانت تدرك أن نظام صدام لن يصمد أمام الغزو الأمريكـــي البريطانـــي، وكانت تدرك أيضا أنها سوف تتعامل بشكل مباشر في أقرب وقـــت مـــع قوات الاحتلال، لذلك لم تجد بأسا في الاتصال بقوات التحالف والتفاوض معهـــا، ولـــم تجـــد فـــي ذلك مساسا بأيديولوجيتها المذهبية والسياسية من ناحية، ولا بالـــتزامها تجـــاه إيران والشعب الإيراني من ناحية أخرى، ولا بالتزامها تجاه العراق والشعب العراقي المضيف لها من ناحية ثالثة.

مع توالي الأحداث في العراق سمحت لها التقية السياسية بأن تصلح بعضا من شـــأنها مع النظام الحاكم في إيران من ناحية، وأن تتجاوب مع مطالب قوات الاحتلال

---

52 - مجلة مجاهد أعداد عام ١٩٩١م. وما بعدها

الأمريكية من ناحية أخرى، أما فيما يتعلق بالشق الأول فقد سمحت للعديد من منسوبيها بالتجاوب مع دعوة الحكومة الإيرانية لأفرادها بالعودة إلى إيران وإظهار التوبة، فعاد المئات بل الآلاف من أفراد هذه المنظمة إلى إيران دون أن تعلن المنظمة خيانتهم لها أو انشقاقهم عنها أو خروجهم على عهدهم لقادتها، كما أن السلطات الإيرانية قد استقبلتهم بما وعدتهم، وأسقطت عنهم التهم السياسية دون التهم الجنائية التي يمكن أن يكون البعض قد ارتكبها ضد بعض الأفراد، إلا أن أحدا لم يتقدم بشكوى ضد أحد العائدين بحيث يقع تحت طائلة المحاكمة الجنائية، أو على الأقل لم يعلن شيئ من هذا القبيل. يقول حجة الإسلام والمسلمين علي يونسي وزير المعلومات (الاستخبارات) إن العراق لم يعد ملاذا آمنا لعناصر مجاهدي خلق بعد انتهاء نظام صدام حسين، وإن إيران ستمنح مقاتلي المنظمة عفوا في حالة عدم تورطهم في محاولات اغتيال أو قتل، وستسمح لهم بالعودة إلى إيران وقد عاد البعض منهم بالفعل[٥٣]. أما بالنسبة للشق الثاني فقد وافقت منظمة مجاهدي خلق في نهاية مباحثات استمرت يومين بين قائد الفرقة الرابعة مشاة الأمريكية وقيادات المنظمة، من خلال اتفاق مع القوات الأمريكية على نزع سلاح جيش المنظمة الذي يبلغ عدة آلاف من المقاتلين والذي يملك عشرات الدبابات والمدرعات والمركبات القتالية والمدفعية إلى جانب قواعد الصواريخ، والتخلي عن مواقعها العسكرية في شمالي شرق العراق بالقرب من الحدود الإيرانية، وقد قامت بالفعل بتسليمه للقوات الأمريكية التي أعلنت في بيان لها أن المنظمة تتعاون مع الجنود الأمريكيين، وأنه سيسمح لقوات المنظمة بارتداء زيها العسكري، وستقوم القوات الأمريكية بتوفير الحماية لعناصر المنظمة في مواجهة أية محاولات انتقامية من قبل جماعات مؤيدة للنظام الإيراني.

ولا شك أن الاتفاق يحمل تعويضا مناسبا لموافقة المنظمة على هذه الخطوة، ربما يراها البعض إجبارية، لكن البساطة التي تمت بها تشير إلى أنها كانت في حسبان قيادة المنظمة من قبل، وأنه قد جرى نوع من التطوير في أسلوب أداء المنظمة وحركتها قبل الغزو، ثم تعديل في الأهداف العسكرية للمنظمة، وهو ما تطلب بالفعل

---

[53] - صحيفة كيهان في ١١/٥/٢٠٠٣م

تعديل في استراتيجية الشعار والحركة بما يتوافق مع وضعها الجديد في العراق أو أي مكان آخر ترحل إليه، وما يمكن أن تسفر المفاوضات مع الولايات المتحدة الأمريكية حول مصير هذا الوجود السلمي، وهو ما ستكشف عنه الأحداث القادمة، وكيفية تحرك المنظمة في المستقبل، إلا أن المؤكد أن ملف المنظمة لم يغلق نهائيا ولا حتى بالنسبة لإيـــران أو الولايـــات المتحدة وإن كان الدور الذي ستقوم به أو يسند إليها أو تفرضه الظـــروف والأوضـــاع في المستقبل سوف يختلف، كما سيختلف الموقف منها وكذلك طبيعة التعامل معها.

قضايا التجسس:

ومن أهم ما يعترض الأمن الإيراني قضايا التجسس خاصة لحساب إسرائيل، ومن أشهر هذه القضايا وآخرها قضية اتهام بعض اليهود الإيرانيين بالتجسس لحساب إسرائيل، حيث أصدرت العلاقات العامة لمحكمة محافظة فارس بيانا جاء فيه أن السيد حمـــيد تفليـــن المعروف بداني ابن أمين والمولود عام ١٣٤٨هـــ.ش. إيراني الجنسية ويســكن فـــي شيراز، قد تم ضبطه بعد مراقبته بشكل خاص وفق إذن قضائي بتهمة التجســس لحساب دولة أجنبية هي إسرائيل في ١٣٧٧/٨/٢٠هـــ.ش. وقامت الشعبة الثالـــثة لمحكمة الثورة الإسلامية بشيراز باستجواب المذكور وقضت باعتقاله وتكليف إدارة التحقـــيقات بالإدارة العامة لمحافظة فارس باستكمال التحقيق، وقد كشف التحقيق فـــي مرحلـــته الأولـــى عـــن وجود شبكة تجسس لحساب إسرائيل، وتم اعتقال ثلاثة أشخاص هم: جاويد بنت يعقوب، فرامرز كاشي، رامين فرزام، وأدت المرحلة الثانية من التحقيقات إلى اعتقال فرزاد كاشي واميد تفلين، كما أدت المرحلة الثالثة إلى اعتقال ســبعة أفـــراد هم: فرهاد سله، ناصر لوي حيم، عاشر زاد مهر، رامين نعمتي زاده، شاهرخ پاكنهاد، نويد بالا زاده، نجات بروخيم نژاد، واتضح أن المتهمين الثلاثة عشر مواطنون إيرانيون، عشرة منهم من شيراز، واثنان من أصفهان، وواحد من طهران، وســيفرج عـــن اثنيـــن منهم بكفالة، وقد وجهت تهمة التجسس لمصلحة دولة أجنبية (إســرائيل) ولضـــرر جمهورية إيران الإسلامية، كما قررت المحكمة إجراء محاكمة غـــير علنية للمتهمين لدواعي الأمن يحضرها فقط المتهمون ومحاموهم والشخصيات

ذات الصفة القضائية المتصلة بالقضية، وقد عينت المحكمة محامين للمتهمين، كما عين رئيس الدائرة العامة القضائية مندوبا عنه للاشتراك في الجلسات، والاشراف علي حسن تطبيق القانون واللوائح[54]. وقد استغرقت المحاكمة جلسات طويلة، وأثارت الكثير من الجدل حولها، وجلبت الكثير من الضغوط على الحكومة الإيرانية وعلى الرئيس خاتمي للتدخل في سير المحاكمة، وعلى القاضي صادق نوراني أيضا، رغم أن المتهمين قد اعترفوا للصحفيين بارتكابهم الجريمة، وأن شبكة التجسس قد وضعت برنامجا لتجنيد الجواسيس والحصول على المعلومات السرية عن طريق اليهود الذين يعملون في المواقع المختلفة والأسواق حول أماكن عملهم وكذلك المستشفيات والجسور الهامة ودور السينما والأماكن الدينية خاصة أماكن إقامة صلاة الجمعة والمراكز الاقتصادية، فضلا عن القيام بأعمال تخريبية، وقد أبدى بعض المتهمين الندم مؤكدين أن تعلقهم بدينهم كان شراكا أوقعهم في هذه الأعمال[55].

تنظيم القاعدة في إيران:

يثير وجود عناصر من تنظيم القاعدة في إيران جدلا كبيرا ليس على المستوى المحلي أو الإقليمي بل على المستوى العالمي، ورغم تسليم إيران قائمة بأسمائهم إلى أمين عام المنظمة الدولية، وتسليم بعض الأفراد منهم إلى دولهم، إلا أن الرأي العام العالمي ليس مقتنعا بعد بأن هذا هو كل ما تملكه إيران من تنظيم القاعدة. الجميع معتقد بوجود عناصر أخرى في إيران ومقتنع بضرورة تسليمهم، وإيران تصر على محاكمة هذه العناصر دون تسليمها باعتبار أنهم ارتكبوا مخالفات على أرضها أو دخلوها بطريقة غير مشروعة، بل يعتقد الإيرانيون أن لتنظيم القاعدة فرعا إيرانيا يعمل لمصلحة الغرب وأن دولا نفطية مولته، وأن الولايات المتحدة دربت عناصره وزرعتها كطابور خامس كشف عن نفسه بتصرفه لصالحها، يتستر بصفوف الإصلاحيين ويقوم بدور الأفغان العرب لإعداد الساحة للاتهامات الأمريكية ضد إيران، ومن ثم يرى البعض إعادتهم إلى أمهم أمريكا.

---

[54]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠١/٤/١٤م.

[55]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠١/٥/١٠م.

ومـــن ناحـــية أخـــرى هـــناك اعتقاد بأن زعماء القاعدة يستفيدون من إيران كمحور ترانزيتـــي بفضـــل جوارها لأفغانستان وعدائها لأمريكا، وقد فشلت إيران في إغلاق حدودهـــا فـــي وجههـــم، ومن ثم فإنهم يعتمدون على تشكيلاتهم على الحدود الشرقية لإيران، وليسوا تحت السيطرة كما تدعي إيران.

إن تعـــامل إيران مع موضوع القاعدة يثير الكثير من التساؤلات، أهمها هل القاعدة كرة ملتهبة في يد إيران؟ أم أنها ورقة رابحة تستثمرها في إدارة العلاقات مع الولايات المتحدة؟ أو لتبادلهم مع عناصر مجاهدي خلق المنتشرين في أوربا وأمريكا؟ لاشك أن هناك تعقيدات تكتنف مسألة عناصر القاعدة، أبرزها صعوبة تحديد هويتهم، خاصة بعد أن سحبت دولهم جنسيتها عنهم، فضلا عن تعقد المفاوضات مع الدول التي ينـــتمون إليها، يضاف إلى ذلك تهديد المنظمة لإيران بأعمال إرهابية على أرضها إن هـــي سلمت عناصرها إلى الولايات المتحدة، وفوق كل هذا تلك الخسائر الكبيرة التي تمـــنى بهـــا قوات الأمن والشرطة الإيرانية في صراعها الحدودي مع المهربين الذين تختفـــي عناصر القاعدة في صفوفهم، مع مشاكلهم داخل السجون الإيرانية، وامتناعهم عن تناول اللحوم والطيور لأنها مذبوحة في إيران وكراهيتهم للطعام الشيعي عموما، لكـــن مـــا يـــؤرق إيران بشدة هو عملهم على إعادة تشكيل المنظمة داخل الأراضي الإيرانية.

سوف يبقى لغز القاعدة في إيران طالما بقيت ظروف المنطقة على حالها.

الاتفاقات الأمنية:

تضع القيادة الإيرانية نصب عينيها هذه الأيام استكمال دائرة الاتفاقات الأمنية مـــع دول المـــنطقة، في مبادرة جديدة من نوعها ضمن تحركها في إطار اتخاذ السبل الكفـــيلة بتأمين نفسها في مواجهة تصاعد التهديدات الأمريكية لدول محور الشر، حتى تضـــمن موقفـــا محايدا من هذه الدول على أقل تقدير، فلا تقدم أية تسهيلات للولايات المتحدة الأمريكية أو غيرها إذا ما فكرت في ضربها، خاصة ضرب المفاعل النووي في بوشهر الذي أوشك على الانتهاء وأصبحت الاستفادة منه قريبة المنال، وإيران في هذه المبادرة تستخدم أسلوب المبادأة الذي أصبح الأداة الرئيسية في سياستها الخارجية

والإعلامــية، وهــو أســلوب ثبت نجاحه في الفترة الأخيرة، ومع تولي خاتمي إدارة السياســة الخارجــية لبلاده، ولاشك أن الموقف الإيراني تجاه الأحداث الأخيرة يتسم بــالحذر قــدر اتســامه بالمعقولية، فرغم أن الأحداث الأخيرة قد أفسدت على إيران جهودها المبذولة في إطار حوار الحضارات بعودة الحديث إلى صدام الحضارات بعد التعبير الذي جرى على لسان الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش من أن الحرب التي تخوضــها الولايات المتحدة هي حرب صليبية، لكن إيران التي لم تفقد رباطة جأشها ضاعفت من جهودها في سبيل تعويض هذه الخسارة بالسعي لتشكيل تكتل إنساني قبل أن يكــون تكــتلا عربيا إسلاميا في مواجهة التهجم الغربي على الحضارة الإسلامية، ولــيس هــدف إيران من هذا التكتل بطبيعة الحال أن يكون حلفا عسكريا في مواجهة الــتحالف الأمريكــي الدولــي تحسبا لتطور العمل العسكري، لكن الجوانب السياسية والثقافــية والأمنــية هــي أبرز الجوانب التي تبغيها من هذا المسعى، حيث تدرك أن الظــروف لا تســمح الآن بحلف عسكري جديد، كما أنها تدرك الارتباطات الخاصة للــدول التــي تسعى إيران لضمها إلى هذا التكتل، ورغم أن إيران تدرك أن ضرب الولايــات المتحدة لها ليس وشيكا، بل يرى الزعيم خامنئي أنه حلم بلا تفسير وخيال أمريكــي أحمــق، وأن التحلــيلات الخاطــئة لشئون بلاده لن تجر على أمريكا غير الخسران واليأس[٥٦]. ويؤكد هاشمي رفسنجاني رئيس مجمع تحديد مصلحة النظام ذلك بقولــه:" لســنا في حرب مع أمريكا وآمل أن لا يقوم الأمريكيون بعمل طائش يجرهم للحــرب، لكــن من المستبعد أن يكونوا بهذا القدر من الحمق[٥٧]." كما سعى المتحدث الرسمي الإيراني إلى نفي أسباب التحرش الأمريكي بإيران بقوله: إن اتهامات واشنطن لإيــران بالســعي للحصــول على أسلحة نووية حجة لا أساس لها من الصحة، وإن التعاون الإيراني الروسي في مجال الطاقة النووية في محطة بوشهر يتم تحت إشراف

---

[56] - صحيفة همشهري في ٢٠٠٢/٧/١٣م

[57] - صحيفة كيهان في ٢٠٠٢/٣/٩م

الوكالة الدولية للطاقة النووية، ويؤكد المسئولون فيها بعد كل زيارة تفقدية أنها للمجالات السلمية[58].

ويرى جهانبگلو المحلل السياسي الإيراني أن ضرب العراق يجعل من مسألة اندماج إيران في المنظومة العالمية أمرا بعيدا[59]. لذلك تعول إيران على الاتفاقات الأمنية التي تعقدها مع دول المنطقة، وتسعى فيها إلى التركيز على تبادل المجرمين والإرهابيين، وهي مسألة هامة لدول المنطقة التي لها معارضين في الخارج لحل قضية الأفغان العرب ومنسوبي تنظيم القادة، الذين عادة ما يلجئون إلى إيران للحصول على الحماية أو الدعم، والذين أصبحوا ورقة في يد القيادة الإيرانية يمكن أن تستفيد منها لتحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية والأمنية مع الدول التي ترغب في استعادة هؤلاء الثوار، وقد قامت إيران بالفعل بإعادة أكثر من أربعمائة عضو من تنظيم القاعدة التي تدعي أنها اعتقلتهم عند الحدود وأن منهم مائة وخمسين عضوا من السعودية والكويت فضلا عن ستة عشر قياديا سعوديا أعيدوا إلى بلادهم، ومنهم مائتي باكستاني أعيدوا بالفعل إلى باكستان، بالإضافة إلى أعضاء آخرين من اليمن وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا[60].

و تسعى إيران كذلك إلى استخدام ورقة المعارضين العراقيين الموجودين في أراضيها والذين أشيع اتصالهم بالولايات المتحدة بهدف قلب نظام الحكم العراقي بالشكل الذي يمكنها من إمساك طرفي العلاقة السلبي منها والإيجابي، يقول حميد رضا آصفي المتحدث الرسمي باسم الخارجية الإيرانية: فيما يتعلق بالمعارضين العراقيين المقيمين في إيران فعلاقتهم بالحكومة الإيرانية واضحة ومحددة وسياستنا في هذا الصدد قائمة على مبدأ عدم إملاء شيء في العلاقات مع هذه الجماعات، أما ما أشيع عن اتصالاتها بالولايات المتحدة الأمريكية لقلب نظام الحكم في العراق فإن هذه الجماعات لها مواقفها وقراراتها المستقلة تماما[61].

---

58 - المصدر السابق.

59 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٢/٧/١م

60 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٢/٨/١٧م

61 - صحيفة اطلاعات في ٢٠٠٢/٧/٢م

والواقـع أنـه رغم أن إيران تصنف الولايات المتحدة على أنها الشيطان الأكبر الذي ينبغي مواجهته إلا أنها تدرك حجم الحيز الذي ينبغي أن تتعامل معها فيه، يقول آية الله إمامي كاشاني خطيب الجمعة في طهران:" إن شعار الموت لأمريكا ليس معناه الموت للصناعة والمدنية والعلم وللأشياء الطيبة في أمريكا إنما الموت للأعمال الظالمة التي يمارسـها المسـئولون الأمريكيون والسياسة الخادعة والتوجهات الخاطئة لأمريكا[٦٢]." ويؤكد محمد خاتمي رئيس الجمهورية أن إيران ليست راغبة في الحرب مع أحد حتى مع أعدائها[٦٣]. ويقول العميد محمد باقر ذو القدر نائب القائد العام لجيش حراس الثورة الإسلامية:" إننا لا نرحب بالحرب ولكننا ندافع عن هويتنا[٦٤]."

ولا شـك أن مراجعة سريعة للاتفاقات الأمنية التي عقدتها إيران مع كل من المملكـة العربية السعودية والبحرين وعمان وقطر والكويت ولبنان والعراق والأردن وتركـيا وباكستان وأفغانستان تؤكد أن إيران تعطي أمنها القومي الأولوية الأولى في هذه المرحلة بغض النظر عن أولويات مبادئ الثورة الإسلامية أو تعهداتها للجماعات الثورية في المنطقة حتى الإسلامية منها والفلسطينية، وتشير إلى خط تحركها السياسي والعسـكري وحجمه في الوقت الراهن، خاصة وأنها تمر بأزمة سياسية داخلية تختلف عمـا سـبقتها من أزمات وتتجاوز حاجز الصراع بين المحافظين والإصلاحيين حول مفهـوم وأسـلوب الإصـلاح السياسي والاقتصادي إلى أزمة بين أركان النظام حول مفهوم القيادة الشعبية الدينية وأسلوب تنفيذها، وتحديد صلاحيات الزعيم، ودور رئيس الجمهوريـة وتعديل الشروط المطلوبة في المرشحين لهذا الدور، وحجم الحرية الذي ينبغـي أن يـتاح للصحافة والأحزاب والنخبة السياسية، وكيفية تفعيل مجلس الشورى الإسلامي، وتحجيم دور مجلس الرقابة على القوانين، فضلا عن مشاكل الفساد الإداري والاقتصـادي، ولقد اعتاد القادة الإيرانيون على نقل هموم الداخل إلى الخارج، خاصة

---

62 – صحيفة اطلاعات في ٢٠٠٢/٣/١٦م.

63 – صحيفة جمهوري اسلامي في ٢٠٠٢/٣/٤م

64 – صحيفة همشهري في ٢٠٠٢/٣/١٦م

مـــع وجـــود ضغوط أجنبية مثل ضغوط الحصار الاقتصادي والتكنولوجي والاحتواء المزدوج ومحور الشر والتهديد العسكري وغير ذلك.

مـــن خـــلال ذلك كله تكون الفرصة مواتية للحديث عن عقد اتفاق أمني بين مصر وإيران لما له من فائدة للطرفين في الظروف الراهنة حيث يمكن من خلاله حل المشـــكلات الأمنـــية المعقـــدة بين البلدين، كما أننا لا نستبعد مع بعض الدلائل وجود عناصر معارضة مصرية في إيران وقد آن الأوان لكي يتم تسليمها إلى مصر وإغلاق صفحة مساعدة إيران للإرهابيين الخارجين على النظام في مصر وعدم تكرار حادث أديـــس أبابا، ولن يحل تلك المشاكل التي تعوق قيام علاقات طبيعية بين مصر وإيران إلا البدء بحل المشاكل الأمنية من خلال مباحثات بين أجهزة الأمن في البلدين من أجل الوصـــول إلى اتفاق أمني يكون خطوة عملية تدل على حسن نوايا الطرفين، ومقدمة لقيام علاقات صحية ومفيدة بين مصر وإيران.

رفـــع خاتمـــي شـــعار إزالة التوتر كوسيلة لإخراج إيران من عزلتها ودعم علاقاتهـــا مع دول المنطقة والسعي لإقامة علاقات جديدة مع الدول الغربية، ولم يختر في حكومته وزيرا مخططا للشئون الخارجية بل موظفا ينفذ السياسة الخارجية الجديدة لحكومـــته، فـــي حيـــن تعهد هو بالمهام الكبيرة في هذه السياسة، ثم كان إعلانه عن مشـــروعه لحوار الحضارات الذي يشكل مفارقة كبرى في توجهات إيران تجاه العالم عمـــا كـــان علـــيه الحال قبل ذلك، يقول الرئيس خاتمي:" إن الترحيب العام العالمي لمشروع حوار الحضارات هو نجاح كبير للشعب الإيراني العظيم، إن آمال هذه البلاد تكمـــن دائما في المحبة وليس العالم المعاصر بالنسبة لنا مجال خوف ورعب، ولذلك فإنـــه مـــن أجل أن يتحقق هذا المشروع الإيراني في مختلف أبعاده لابد أن نجعل منه شـــأنا ثقافـــيا وأساسيا وقوميا، وأن تنظم المؤسسات والصروح العلمية والثقافية السبل للـــتعامل مـــع الثقافات العالمية، من الممكن أن يكون مشروع الحوار بين الحضارات مـــرآة جديـــدة للحـــياة والعالم حيث أن الشرط الأول للحوار هو تواضع الطرفين مع التصـــديق فبغـــير هذه الخصلة الإنسانية لا يمكن إقامة حوار يؤدي إلى معرفة دقيقة بهوية كل طرف[1].

العلاقات الإيرانية العربية:

من الواضح أن العلاقات الإيرانية العربية في هذه المرحلة تحكمها ثلاثة متغيرات أساســـية لها تأثير عميق على السياسة الخارجية الإيرانية وخاصة تجاه الدول العربية، وهذه المتغيرات الثلاثة إحداها عالمي يتمثل في بروز القوة الأمريكية من خلال النظام العالمـــي الجديـــد وتأثيراته الإيجابية والسلبية على المنطقة، ويتمثل المتغير الثاني في استقلال دول آسيا الوسطي الإسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، أما المتغير الثالث فهـــو تحـــولات القـــوة العربـــية ذاتها، ولاشك أن البرلمان الإيراني يبدو متعاونا مع

١- صحيفة همشهري بتاريخ ١/٣/٢٠٠٠م.

الحكومة في التعامل مع هذه المتغيرات بشكل إيجابي خاصة مع المتغير الأول ويسعى لإيجـاد قـنوات حـوار مع الولايات المتحدة الأمريكية للوصول إلى حل في القضايا المعلقـة بيـن البلدين مثل الأموال الإيرانية المجمدة في أمريكا والغرب، تحييد الدور الإيرانـي فـي التأثير على عملية السلام في المنطقة، الاتفاق على استراتيجية أمنية مقـبولة من جميع الأطراف في الخليج وخاصة الدول العربية، أما فيما يتعلق بالمتغير الثالث فإن إيران لها علاقات حميمة مع بعض الدول العربية ومن الطبيعي أن يساعد الـبرلمان علـى دعـم هذه العلاقات وتنميتها إلى الحد الذي يمكن أن تصل بها إلى الحلـف، وهـناك دول عربـية أخرى بدأت معها إيران تعاملات اقتصادية وسياسية وثقافـية ومـن المتوقع أن يساعد البرلمان على الارتقاء بها وتوسعتها، لكن الامتحان الحقيقـي يكمـن في طريقة تعامل إزاء الدول العربية التي لها مشاكل مع إيران مثل قضية الجزر الإماراتية الثلاث، ومع الدول المترددة في تطبيع علاقاتها مع إيران مثل مصر.

ويسـعى الإصـلاحيون بأغلبيتهم في البرلمان إلى تحقيق انفراجة كبيرة في علاقـات إيران بالغرب بالقدر الذي يسمح بإزالة عدم الثقة المتبادل بين إيران والدول الغربية خاصة الولايات المتحدة، وما ينفي اعتراض إيران على عرض قضية الجزر الإماراتية للتحكيم الدولي، لكن طبيعة البرلمان الإيراني بغض النظر عن وجود أغلبية مـن الإصلاحيين لن تصل إلى هذا المدى، فالقضية ليست قضية عدم ثقة في التحكيم الدولي لأن النظام في قمة تشدده قبل التحكيم الدولي في عدد من قضاياه مع الولايات المـتحدة الأمريكـية، إن قضـية الجزر قضية محسومة في إيران سواء كان الرئيس والـبرلمان إصـلاحيين أومحافظين، ويبقي الفرق في أسلوب التعامل مع هذه القضية لـيس إلا ، لكـن تشكيلة المجلس تسمح بمساحة من الحركة في اتجاه التفاهم مع دولة الإمـارات العربية بشأن حقوق ينبغي مراعاتها، وهنا يمكن القول بأن حسن استغلال هـذه المسـاحة مـن الأطراف العربية يسمح بعودة الجزر إلى أصحابها على المدي البعـيد، حيث يمكن أن تسفر المفاوضات المباشرة بين إيران ودولة الإمارات العربية عـن حقوق محدودة لأبناء الإمارات في الإقامة والرعاية والاستثمار في هذه الجزر،

ومـــع قانون للاستثمار يقره البرلمان يسمح بتملك الأجانب للأراضي والشروعات في حدود معينة، مما يعني حق أبناء الإمارات -كأفراد وليس كدولة – في تملك الأراضي والمشـــروعات بالجزر فإذا زاد استثمارهم أصبحوا المالكين غير الرسميين وأصحاب القـــرار الحقيقييـــن في مستقبل الجزر. وقد سعت إيران إلى دعم علاقاتها مع الكويت لتحقيق التوازن في علاقاتها مع دول الخليج، فعندما برزت مشكلة تحديد حدود الجرف القـــاري بيـــن الكويـــت وإيران أعلن كمال خرازي وزير الخارجية الإيراني ترحيبه باستعداد الكويت للتباحث مع إيران لتحديد الحدود الأرضية في هذه المنطقة، وقال: إن جمهوريـــة إيـــران الإسلامية إقترحت منذ سنوات إجراء مفاوضات بين الدولتين بهذا الخصوص[٢]. كما سعت إيران من ناحية أخرى إلى الإسراع بحل مشاكلها مع العراق لاســـتكمال فـــتح الجسور التي مع سائر دول الخليج دون تفرقة، لإنهاء كافة المشاكل المعلقة بين البلدين منذ الحرب سواء فيما يتعلق بمشكلة الأسرى أو تعويضات الحرب أو تيســـير زيارة الإيرانيين للمناطق المقدسة للشيعة في العراق أو بمناطق الحدود في شط العرب على أساس إتفاق الجزائر عام ١٩٧٥م، فضلا عن استمرار أعمال اللجنة التـــي كانـــت قدشكلت عام ١٩٩٧م لبحث المشاكل المعلقة والمشاكل الأمنية وتحسين العلاقات التجارية[٣].

أما عن العلاقات مع مصر فهناك اتجاه لدى الإصلاحيين بتطبيعها أعلنت عنه النائبة الإصلاحية جميلة كديور في تصريح لها لصحيفة "آفتاب امروز": إن الاستقرار السياســـي فـــي المنطقة لن يتحقق بدون تطبيع العلاقات بين إيران ومصر ودعمها[٤]. وســـوف يعمل الإصلاحيون على حل كافة قضايا الخلاف مثل تغيير اسم شارع خالد الاسلامبولي، البدء في المفاوضات مع دولة الإمارات حول الجزر، التعاون في مجال مكافحـــة الإرهـــاب، تنســـيق المواقف في استراتيجية السلام ومعادلاتها السياسية في

2- صحيفة همشهري بتاريخ ١٥/٥/٢٠٠١م.

3- صحيفة همشهري بتاريخ ١٦/١٠/٢٠٠١م.

4- صحيفة آفتاب امروز بتاريخ ٢٨/١٢/٢٠٠٠م.

المـــنطقة وغير ذلك، وعلى كل حال فإن البرلمان الإيراني يساعد الحكومة في تدعيم أسلوب رشيد للتعامل مع الدول العربية خاصة والرأي العام العالمي بصفة عامة.

التقارب الإيراني الخليجي:

تشـــير وقائع محددة في موسوعة العلاقات الإيرانية الخليجية إلى وجود تعاون وتعايش بين الإيرانيين والخليجيين أدى إلى مصاهرات في النسب وتزاوج في العقائد وتداخـــل فـــي اللغة والثقافة والأدب، وشواهد ذلك أكبر من أن تعد أو تحصى إلا أنها تؤكـــد وجـــود أرضية صالحة لقيام علاقات صحية ومتطورة بين الطرفين، وإذا كان الاحـــتكاك في عصور ماقبل الإسلام قد أوجد جسرا من التفاهم والتلاقي بينهما، فإن الإســـلام بمـــبادئه القويمة وروحه السمحة قد خلق نوعا من التوحد بين الشعوب قاده الفكـــر الإســـلامي الـــذي اســـتند إلى مصدريه الرئيسيين وهما القرآن الكريم والسنة المطهـــرة، وأما الخلافات التي ظهرت منذ وفاة الرسول عليه السلام فقد تعلقت بأمور سياســـية أو مصالح دنيوية، فلقد كان انتشار القبائل العربية في إيران واستقرارها في مخـــتلف ربوعها لتكون مراكز دينية واقتصادية وقواعد انطلاق للتعاون في الفتوحات الإســـلامية فضـــلا عن نزوح الكثير من الإيرانيين إلى الجزيرة العربية لتلقي العلوم الدينية والعربية والتجارة من العوامل الفعالة في تحقيق المزيد من التعارف والتعاون، وإذا كانـــت إيجابيات هذه الفترة كثيرة فإن سلبياتها لم تخل من فائدة حيث أن تصارع النفوذ والمصالح قد أضاف تراثا حضاريا إلى تلك المنطقة، وما حركة الشعوبية التي ظهرت في تلك الفترة إلا مظهرا من مظاهر هذا التراث، حيث أثرت الثقافة الإسلامية عامـــة وثقافـــة المـــنطقة خاصـــة بل لعلها قد ساعدت على تحديد المواقف وتوضيح الاتجاهـــات، وتأكـــيد كل لدوره في بناء الحضارة الإسلامية، ولقد أكدت محنة الغزو المغولـــي للعالم الإسلامي أهمية التواصل والإيجابية في العلاقات بين العنصر العربي والعنصر الفارسي رغم مابينهما من خلافات فكرية وعقائدية، حيث لم تنقطع العلاقات بيـــن إيـــران وبين عرب الخليج حتى مع إعلان المذهب الشيعي الاثني عشري مذهبا رســـميا لإيـــران فـــي عهد الدولة الصفوية، لأن الخلافات المذهبية لم تمنع استمرار

العلاقـــات الاقتصادية في حين خضعت العلاقات السياسية لمؤثرات الأحداث الإقليمية من ناحية والسياسات الدولية تجاه المنطقة من ناحية أخرى.

يعتـــبر نجـــاح الـــثورة الإســـلامية في إيران وماأفرزته من نظام يتمثل في الجمهوريـــة الإســـلامية وولايـــة الفقيه التي تستند إلي عقائد شيعية يظاهرها فقه حي مـــتحرك ومـــرن يتيح لعلمائه إمكانية التعامل مع المستجدات والتواؤم مع الشخصية الإيرانية، إضافة إلى تجربة حرب الثماني سنوات مع العراق من الموجهات الأساسية لإيـــران في علاقاتها مع دول الخليج العربية، ولاشك أن قبول إيران وقف الحرب قد أدخلها مرحلة جديدة في علاقاتها مع العالم عامة ومع دول الخليج خاصة، حيث استتبع هـــذا القرار سلسلة من التغييرات في شكل النظام وتوجهاته مع تعديل في استراتيجيته بل وتطوير في نظرية ولاية الفقيه ذاتها بما يتلاءم مع المستجدات، إلا أن اتجاه النظام الإيرانـــي إلي الواقعية لم يكن يعني التخلي عن الأفكار الأساسية التي قام عليها وإنما محاولـــة التقارب مع معطيات دول الخليج، ومن أهم هذه المحاولات الدعوة إلى وحدة العـــالم الإسلامي وما تتطلبه من إجراءات، حيث بادر النظام الإيراني إلى تخصيص أسبوع للوحدة الإسلامية يحتفل به كل عام في ذكري مولد الرسول عليه السلام مابين ١٢ و١٧ ربـــيع الأول أي تاريخـــي ذكـــري مولده عند السنة والشيعة ، يقول الزعيم خامنئي:" ينبغي علي الأخوة المسلمين من سنة وشيعة أن ينسوا الماضي، وأن يوحدوا كلمـــتهم وتوجهـــاتهم وأخوتهم، ويمكن تأسيس دار للتقريب بين المذاهب على أساس التضـــامن والتعاون والوحدة الفكرية بين علماء السنة والشيعة، إننا لا نريد أن يدخل الأخوة من أهل السنة في مذهب الشيعة أو أن يدخل الشيعة في مذاهب أهل السنة، بل ينبغـــي أن تكـــون الوحدة والتضامن الأخوي الإسلامي حول محور ومجال مشترك"[5]. وإذا كـــان خامنئي قد فسر المحور المشترك بأنه محبة آل البيت باعتبارها واجبة لدى جمـــيع المذاهـــب والفرق الإسلامية، ولأنها تتفق مع مبدأ التولي والتبري الإسلاميين ومـــبدأ اللاشـــرقيةولاغربية اللذين تقوم عليهما السياسة الخارجية الإيرانية، وترضي فكـــرة إنشـــاء الحكومـــة العالمية للإسلام التي يؤمن بها علماء الشيعة، وتسهل عملية

---

[5]- صحيفة اطلاعات بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٦م

تصدير الثورة الإسلامية، فإن خامنئي يكون قدسبق بذلك إلى نقطة وسط يمكن التباحث حولها وسوف يؤدي تطبيقها إلى تحديد حجم العلاقات بين إيران ودول الخليج العربية، بل إنها سوف تجعل هذه العلاقات في منزلة بين المنزلتين حيث تتسع وتنكمش حسبما تحدده المصالح المشتركة، وفي هذه الحالة يمكن للتقية السياسية أن تقوم بدور فعال في حل المشاكل التي قد تطرأ بين الطرفين أصحاب المصلحة، تماما كما حدث في مسألة الحـــج السياسي، وقد عبر الكاتب محسن شهيدي عن هذه السياسة بقوله:" لا ينبغي أن تكون سياستنا سياسة خلق أعداء، ولكننا أيضا لا ينبغي أن نلبس العدو قناع الصديق أو أن نعتبره عدوا بلاخطر[٦]."

ولاشك أن متغيرات القوة الخليجية بعد حرب الخليج الثانية قد أتاحت الفرصة لإيــران كـــي تمـــد جسور العلاقات إلى الدول الخليجية، وأن تطرح مشروعات لحل المشاكل المعلقة مع كل منها وفيما يتعلق بأمن الخليج أيضا، ويؤكدكبار المسؤلين في إيـــران أن من أهم التحديات التي تواجه العلاقات الإيرانية الخليجية هي قضية الجزر المتـــنازع عليها مع دولة الإمارات العربية المتحدة، وقضية وجود القوات الأجنبية في الخليج والتي تعوق التوصل إلى اتفاق حول مشروع لأمن الخليج، وقضية العلاقات مع العراق .

وقـــد اعتمد النظام الإيراني في تقاربه مع دول الخليج العربية أسلوب المبادأة وهو أسلوب ضاغط لاينتظر مبادرات بل يقدمها وردود أفعاله جاهزة ليس فيها مجال للـــتردد، وهـــذا يعني أن إيران حريصة على هذا التقارب قد خططت له علي المدي القريب والبعيد ووضعت في خططها كافة الاحتمالات معتمدة على خبرتها في علاقاتها مـــع هـــذه الدول، وعلى قدرتها علي التحرك السريع الفعال وإمكانات الفقه السياسي المســـاعدة، وهذا يعني أيضا عدم وجود احتمال للتراجع، كما يشير كذلك إلى أن هذا التقارب لن يكون علي حساب مكاسب حققتها إيران في المنطقة أو في غيرها أو حتي داخـــل إيران، قبل الثورة أو بعد انتصارها، وإذا كان المشروع الأمني الإيراني يحل قضـــية اشـــتراك العراق في الترتيبات الأمنية في المنطقة، إلا أنه لايحل قضية جزر

---

[6]- صحيفة كيهان بتاريخ ١٩٩٣/٢/١م

الإمارات الثلاث إلا من خلال طرح استعداد إيران للدخول في مفاوضات مباشرة مع الإمــارات حــول مصــير الجزر، ومن الواضح أن هذه المفاوضات ليست من أجل ترتيــبات إعادة الجزر إلى دولة الإمارات، حيث أكدت إيران رسميا وشعبيا في أكثر مــن مناسبة أن هذه الجزر إيرانية، وأن إعادتها للإمارات محض وهم، وإذا فليس من المــتوقع من هذه المفاوضات أكثر من أن تعطي للمواطنين من أبناء الإمارات الذين كــانوا يســكنون هــذه الجــزر حق الإقامة الدائمة، والعمل والاستثمار والرعاية، أو تعويضــهم ماديا عن الأضرار التي لحقت بهم خلال الفترة الماضية، وحق التنقل بين هذه الجزر ودولة الإمارات، ومن الواضح أن هناك فرقا بين مثل هذه التسوية إن تمت وبين تسوية قضية الحج السياسي مع المملكة العربية السعودية وبين تسوية التوتر مع البحريــن وبيــن تسوية المشاكل المعلقة مع العراق، ولعل هذا الفرق يأتي من تباين موقــف كــل من الإمارات والسعودية والبحرين والعراق وعدد الأوراق الرابحة التي يملكهــا كــل طــرف، وهو يكشف أيضا طبيعة التقارب الإيراني الخليجي فإيران لا تــتعامل مــع دول الخليج مجتمعة ولو من خلال مجلس التعاون الخليجي، وإنما يأتي تقاربهــا مــع كل دولة على حده دون أن تتدخل في طبيعة العلاقات بين دول الخليج، وتعتــبرها شــأنا داخليا ودون أن تعطي الفرصة لأي تداخل بين هذه العلاقات وبين علاقاتها بكل منها، ويبدو أن دول الخليج قد فهمت الإشارات الإيرانية في هذا الصدد وتسعى لاحترام هذه الرغبة .

إن مستقبل التقارب الإيراني الخليجي رهن بالتحركات الإيرانية، وإيران تعي ذلــك تماما، ومن ثم فهي لاتقف عند محاولات تحسين العلاقات التقليدية، وإنما تبادر لتعميق وتطوير سبل التقارب لتشمل كافة المجالات من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافــية، رغم الاختلافات الجوهرية في هذا المجال وتسعى لابتكار وسائل وأساليب جديدة في هذا الصدد، وما جمعيات الصداقة التي تنشئها من جانب واحد إلا حلقة من سلســلة محاولاتهــا المســتمرة فــي هذا الشأن، يقول أحمد پور نجاتي رئيس جمعية الصــداقة الإيرانية السعودية:" إن الجمعية تهدف إلى القيام بدور المعادل في العلاقات بين طهران والرياض بعيدا عن التقلبات السياسية، والأخذ بمبدأ علاقة الصداقة، ولذلك

فهي تعتمد على الحوافز والامكانات الشخصية والشعبية مع التنوع الاجتماعي لمشارب مؤسسيها، والاهتمام بالمجالات المشتركة الواسعة بين الشعبين لتكون عاملا مؤثرا في تعمــيق الروابط بين البلدين، لذلك فقد طالبت هذه الجمعية المسئولين في الدولتين أن يأخذوا أهداف الجمعية على محمل الجد ويتعاملوا معها بإيجابية وفعالية[٧]."

إيران والقضية الفلسطينية:

كانت إحدي اللاءات الثلاثة التي اعترض بها الخميني على الشاه والتي أدت إلــى اعتقاله ثم نفيه هي لاعلاقات مع إسرائيل، وكان الكتاب الذي ترجمه رفسنجاني مــن العربــية إلــى الفارسية وأدى إلى اعتقاله هو كتاب قضية فلسطين للكاتب أكرم زعيــتر، وعــندما عــاد الخميني إلى إيران منتصرا كانت العلاقات الدبلوماسية مع إســرائيل قد قطعت، فقدم مكتب التمثيل الإسرائيلي في طهران هدية لمنظمة التحرير الفلســطينية، وأثبتــت الأيــام التي تلت ذلك أن القضية الفلسطينية قد صارت قضية محورية في فكر نظام الجمهورية الإسلامية الذي أقامته الثورة في إيران، إلا أن إيران قــد فرقــت منذ البداية بين تعبيرين أساسيين هما اليهودية والصهيونية، ويقوم الرأي الإيرانــي حــول اليهودية على نفس الأساس الذي وضعه الإمبراطور قورش الأول مؤسس أول امبراطورية فارسية عند تحريره اليهود من السبي البابلي وهو أن اليهود جنس له شبه كبير بالجنس الآري، ويمكن الاستفادة منه من خلال إغرائه بالمال، وقد اســتفاد الــنظام الإيراني من اليهود استفادة كبيرة خلال الحرب مع العراق كوسطاء يعقــدون الصفقات مع الدول الغربية واليهود غير الإيرانيين لإمداد إيران بما تحتاجه مــن المؤن والعتاد خلال فترة الحصار الأمريكي مقابل عمولات معقولة، لإدراكه أن هذه الأموال سوف تعود من خلال دوران رأس المال اليهودي في الاقتصاد الإيراني. أما الصهيونية فهي العدو الحقيقي لإيران لأن استراتيجيتها تتعارض تعارضا تاما مع اســتراتيجية النظام الإيراني، كما أن أنشطتها الفعالة تتقاطع مع الأنشطة الإيرانية في مخــتلف أنحاء العالم، وتمثل إسرائيل بؤرة النشاط الصهيوني مما يجعلها قطبا متنافرا مــع إيــران ويجعل العلاقات بينهما تبدو مستحيلة، ويؤكد الإيرانيون أن تحديات هذه

---

[7]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠/٢/٢٠٠٠م

العلاقـــات تحديـــات أمنـــية بالمعـــنى الواسع، لذلك فإن الموقف الإيراني من القضية الفلســـطينية لاينـــبع من فراغ بل من معطيات عقائدية وسياسية واقتصادية وحضارية تجعـــل الإيرانييـــن يفصـــلون بيـــن أمرين أساسيين في القضية، وهما حقوق الشعب الفلســـطيني ومســـألة القـــدس وعلى هذا فإن المواقف الإيرانية ليست واحدة مع كلا الأمرين، حيث تبدو متغيرة حسب الظروف والأحداث تجاه حقوق الفلسطينيين، وتبدو ثابتة تجاه مسألة القدس، فالقدس لها قيمة كبيرة لدى الإيرانيين منذ آلاف السنين عندما حررها الإمبراطور قورش الأول من أيدي البابليين وصاهر أهلها، ثم أصبحت قضية جهاديـــة لدى إيران تطبق عليها قواعد الجهاد الطويل المدي، وقد جعلها الخميني أحد رموز النضال خلال الحرب العراقية الإيرانية ووضع خطة عمليتين كبيرتين في إطار هـــذه الاســـتراتيجية، أسمى الأولى عمليات طريق القدس وأسمى الثانية عمليات بيت المقدس، لكن وقف الحرب جعل هذا الشعار يفقد معناه، وينسحب من مضمون الجهاد بمعناه العسكري المباشر ويدخل ساحة الجهاد الإعلامي والسياسي، وإن كان الاهتمام الإيرانـــي بالقضـــية الفلسطينية لم يفتر قط إلا أنه قد حدثت تحولات في كيفية التعامل معهـــا، لقـــد حاولت إيران أن تقنع الرأي العام العربي والإسلامي أن المفاوضات مع إسرائيل لن تحل القضية، وأن الجهاد هو السبيل الأمثل لحلها، يقول آية الله خامنئي في كلمته بمناسبة الذكري الأولى لوفاة الخميني:" إن قضية فلسطين هي القضية الإسلامية الشعبية الأولى وإن الكفاح وحده هو السبيل الوحيد لاقتلاع الغطرسة الإسرائيلية وإنقاذ العـــالم الإســـلامي من الأخطار المحدقة به، وإن مهادنة وسكوت كثير من الحكومات العربية وتظاهر البعض منها باللامبالاة وعدم الحساسية تجاه مصير فلسطين قد أوصل الأمر إلى أن تعلن إسرائيل بصراحة ووقاحة ودون حياء عن نواياها القذرة، فلعنة الله وعـــباده الصـــالحين على أول أيدي امتدت بالمصالحة إلى إسرائيل ولعنة الله وأوليائه وعباده الصالحين على كل من يستمر في هذا الطريق[٨]."

لقـــد بادر الخميني إلى قطع العلاقات مع مصر لتوقيعها اتفاق كامب ديفيد لما ظـــن أن يتبادر إليه من تداعيات، يقول المحلل السياسي سيد شهيدي:" كان سبب قطع

---

[8]- صحيفة جمهوري اسلامي بتاريخ ١٩٩٠/٦/٤م

العلاقات مع مصر هو توقيعها معاهدة كامب ديفيد مع النظام الصهيوني الغاصب، فلقد نتج عن هذا العمل الذي قام به السادات تحولات سياسية وعسكرية هامة في منطقة الشرق الأوسط، ومباحثات طويلة بين العرب وإسرائيل قام على إثرها كثير من الدول بإعادة علاقاته مع النظام الصهيوني استنادا إلى أن أصحاب القضية قد حلوا مشكلتهم مع إسرائيل، وأنهم ليسوا أفضل من أصحاب القضية، ومن ناحية أخرى فإن خروج مصر من مجموعة دول المواجهة أضاع احتمال نشوب حرب تقليدية كبيرة أخري بين العرب وإسرائيل، ولذلك فقد تغيرت استراتيجية الدول العربية حتى سوريا تجاه إسرائيل[9]." وقد اعتبر الزعيم خامنئي رفع المقاطعة العربية لإسرائيل ولو جزئيا خيانة عظمي للإسلام والعرب والفلسطينيين وذلك في حديثه إلي ضباط القوات البرية في ٥/ ١٠/١٩٩٤م، كما فعل رفسنجاني نفس الشيئ في خطبة الجمعة بتاريخ ١٩٩٤/١٠/٧ م، حيث اعتبرا أن دول الخليج العربية برفعها الحظر جزئيا عن إسرائيل قد قربت المسافة بين إسرائيل ونشاطاتها المعادية وبين إيران، حتى ولو كان في صورة وصول منتجات إسرائيلية إلى منطقة الخليج، لأن هذا يمثل مظهرا من مظاهر الاختراق الإسرائيلي للأمن الإيراني بمعناه الواسع.

لقد تابعت إيران أسلوبها المناهض لأية مباحثات سلام في الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل بوسائل مختلفة، ربما يبدو بعضها غير واقعي مثل إعلان اللواء محسن رضائي قائد جيش حراس الثورة الإسلامية عن تكوينه لجيش القدس، مؤكدا أنه الحل الوحيد ليس فقط لاسترداد الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م بل وتحرير كافة الأراضي التي استولت عليها إسرائيل[10]. وفي نفس المؤتمر أعلن الزعيم خامنئي رفضه لأية محاولة لتغيير شكل وحقيقة القضية الفلسطينية، كما أعلن رفسنجاني أن إيران تعتبر قضية فلسطين قضيتها، وإن قرار إيران هو الوقوف في الخط الأول للجبهة ضد إسرائيل[11]. وفي هذا الإطار اختارت إيران الجمعة الثالثة من شهر

---

[9]- صحيفة كيهان بتاريخ ١٩٩٢/٧/٧م

[10]- جاء ذلك في كلمته أمام مؤتمر طهران الدولي لدعم ثورة الشعب الفلسطيني ونشرت نصه صحيفة جمهوري اسلامي بتاريخ ١٠/٢١/ ١٩٩١م

[11]- صحيفة جمهوري اسلامي بتاريخ ١٩٩١/١٠/٢٠م

رمضـــان مـــن كـــل عام ليكون يوما للقدس تحتفل به وتطالب فيه بعودة القدس إلى المســـلمين، يقول خامنئي في كلمة له بهذه المناسبة:" لو أن العالم الإسلامي اهتم بيوم القـــدس بمعنـــي الكلمة، ووقف في وجه الصهاينة الغاصبين للقدس، فإن العدو سوف ينهزم ويضطر للانسحاب منها[12]." وعندما بدأت المحادثات الفلسطينية الإسرائيلية تتخذ مســـارا جادا، وأعلن عن اتفاق مبادئ لم تكن إيران هي الدولة الوحيدة التي عارضت الاتفـــاق ولكنها كانت الدولة الوحيدة التي نددت به واتهمت منظمة التحرير الفلسطينية بالعمالـــة وخـــيانة الشـــعب الفلســـطيني وإضاعة أمانيه القومية وأنهت القضية بشكل استسلامي، كما اتهمتها بخيانة الإسلام لأنها فرطت في القدس الشريف، ورغم معرفة إيـــران تفاصـــيل الاتفاق إلا انها أرادت إجهاض الحركة التفاوضية منذ البداية ، ومع اســـتمرار المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية بدأت إيران تغير من ردود أفعالها تجاه القضية الفلسطينية، حيث باتت تؤكد على أن القضية الفلسطينية هي قضية الفلسطينيين، وأن إيـــران لا تطالب إلا بعودة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، كما أكدت على إمكانـــية قـــيام حكم فلسطيني إلى جانب الحكم الإسرائيلي كخطوة نحو تحقيق الهدف النهائـــي، وأكـــد خامنئـــي في هذا الإطار أن إيران ليست بصدد عسكرة المنطقة أو تهيجها، بل إنها تدعم السلام والأمن في الخليج والشرق الأوسط وسائر مناطق العالم، لأن الســـلام والأمـــن فـــي المنطقة في مصلحتها ومصلحة سائر دول المنطقة[13]. كما صـــرح سفير إيران في ألمانيا لمجلة اكسبريس الألمانية بأن طهران لاتعارض السلام في الشرق الأوسط بأي وجه من الوجوه وليست ضد اليهود، ولكن ينبغي أن يسمح لنا أن نعلن رأينا في السلام الدائم[14]. لاشك أن هذا التطور في الموقف الإيراني جاء فيما يـــتعلق بجانـــب حقـــوق الفلسطينيين فقط ليواكب الظروف والمستجدات الأخيرة في المـــنطقة، وقد استغلت إيران ما أثير حول قضايا الإرهاب، مؤكدة أن معارضة إيران للمصـــالحة مـــع إســـرائيل سببها أنها دولة إرهابية، يقول الرئيس خاتمي: إن النظام

---

[12]- صحيفة جهوري اسلامي بتاريخ ١٩٩٤/٣/٥م

[13]- حديث لخامنئي إلي قادة الجيش والحراس بمازندران ، نشرته صحيفة اطلاعات بتاريخ ١٩٩٣/٥/٩م

[14]- صحيفة كيهان بتاريخ ١٩٩٤/٤/٧م

الصـــهيوني هو أكبر مظهر للإرهاب الدولي والعنصرية العالمية، إننا نريد السلام في فلسطين، السلام الذي يتمتع فيه المسيحي والمسلم واليهودي العربي وغير العربي وكل مـــن يعـــيش علي أرض فلسطين بحياة مستقرة وهادئة، إن النظام الصهيوني لم يكتف بالاعـــتداء علـــى حقوق الشعب الفلسطيني وإنما اعتدي أيضا علي شعب لبنان وسائر الـــبلاد العربية والإسلامية، إن اعتراضنا علي النظام المحتل للقدس إنما هو اعتراض على الإرهاب في العالم، إننا نعتبر المقاومة حق مشروع للدول الحرة المعتدي عليها، وإن جمهوريـــة إيـــران الإسلامية في إطار قيمها الثورية والإسلامية سوف تدافع عن حقـــوق هـــذه الشـــعوب، إن إيران لا تبغي التدخل في الشئون الداخلية للدول، ولكنها تعطي لنفسها الحق في أن تدافع عن المظلوم وتعارض الإرهاب في العالم[١٥]. ومن هنا تعـــتقد إيـــران أن مساعدتها لحزب الله في لبنان واجب مذهبي وثوري، وأنها سوف تســـتمر فـــي دعمه طالما ظلت أراضيه محتلة أو مهددة، يقول هاشمي رفسنجاني في لقائـــه مـــع نبيه بري رئيس مجلس النواب اللبناني: إننا مع تقديرنا للمواقف الشجاعة لشعب لبنان وحكومته في دعم جبهة المقاومة أمام محاولات التوسع للنظام الصهيوني نؤكـــد علـــى استمرار دعم إيران للمقاومة الشعبية في لبنان، إن الأعداء يسعون دائما لإيجـــاد شـــقاق بين الدول الصديقة وتحالف جبهة المقاومة ضد النظام المحتل للقدس بأشـــكال جديـــدة، ولذلـــك ينبغـــي إن نواجه هذه المساعي المستمرة والخطيرة بيقظة ووعـــي[١٦]. وإذا كان حديث رفسنجاني يمثل رأي القيادة الإيرانية فإنه يمثل أيضا رأي النخـــبة السياسية من محافظين وإصلاحيين، فلاخلاف بين الجميع على دعم حزب الله اللبناني دعما مفتوحا حيث يشعر الجميع أنه أحد أبناء الثورة الإسلامية في إيران، وأن دعمه يتجاوز المصلحة وحتى مبادئ الثورة إلى التعاطف العقائدي والوجداني ، ومن الواضـــح أنها حالة خاصة في إطار الموقف الإيراني من القضية الفلسطينية، لأن هذا الدعـــم لـــم يعـــد ينسحب على باقي فصائل المقاومة الفلسطينية، في حين أن الموقف الإيرانـــي مـــن القضية ينسحب على الجيع مما يشير إلى أن ظهور الإصلاحيين على

---

[15]- صحيفة رسالت بتاريخ ١٩٩٧/٩/٤م

[16]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠٠/٣/١م

ساحة السياسة الإيرانية ساهم في تعديل الموقف الإيراني تجاه الفلسطينيين إلى نوع من الذاتـية، حيـث يـري الإصـلاحيون أن إصـلاح الوضع الداخلي في إيران سياسيا واجتماعـيا واقتصـاديا علـى وجه الخصوص ينبغي أن يتقدم الأولويات وأن يوجه السياسـة الخارجـية، ومن هنا فإن الدعم الإيراني لأية دولة أو حزب أو جماعة غير إيرانـية أو شـيعية ينبغـي أن يخضع لمراجعات كثيرة ويجب أن يكون هدفه تحقيق مصـلحة مباشـرة لإيـران ولذلك، فقد انتهى دعم إيران لمنظمة التحرير الفلسطينية بدعوى انخراطها في مباحثات السلام مع إسرائيل، وكذلك انتهى الدعم الإيراني أو كاد تجاه سائر المنظمات الفلسطينية ماعدا النذر اليسير لبعض جماعات المقاومة، ومع أن إيـران لديهـا خـبرات جيدة في مجال التفاوض فإنها لم تعرض هذه الخبرات على الفلسـطينيين في مفاوضاتهم مع إسرائيل واكتفت بهذا الموقف السياسي الذي يبدو في ظاهره داعما للحقوق الفلسطينية، ولكنه لايقدم دعما واقعيا للموقف الفلسطيني، وسوف يظـل هـذا الموقف وربما يصبح أكثر سلبية في عهد حكومة الإصلاحيين إزاء الفكر الإصلاحي الذاتي من ناحية وللتجاوب مع الشكل الحيادي تجاه عملية السلام في الشرق الأوسط من ناحية أخرى ولظروف الأوضاع الاقتصادية التي تمر بها إيران من ناحية ثالـثة، ولقد التف الموقف الإيراني حول القضية الفلسطينية بمحاولة تحسين العلاقات مـع الدول العربية وخاصة الدول الخليجية وإثبات التعاطف مع العرب تجاه قضاياهم القومـية وتأكيد حسن النوايا التي تغلف التحركات الإيرانية، والحق أن الإيرانيين إذا كـانوا ينسحبون بصورة منظمة من موقفهم المتشدد تجاه القضية الفلسطينية، فإنهم لم يغـيروا موقفهم من قضية القدس ودعمهم لمساعي عودتها لأيدي المسلمين إلا أن هذا الدعـم يـبدو غير فعال نتيجة لعدم رغبتهم في التنسيق مع الأطراف العربية الأخري ومحاولـة فرض الرأي على هذه المساعي، كما أن جيش القدس الذي كانوا قد أعلنوا عـنه مـن قـبل دخل دائرة النسيان، وبقي التركيز علي يوم القدس الذي بات شعارا يطمحـون إلى جلب التفاف المسلمين حوله تحت زعامتهم، وعلى كل حال فليس من المـتوقع أن تقدم حكومة الإصلاحيين في إيران في الوقت الحالي أو المستقبل القريب للقضية الفلسطينية أكثر مما قدمت الحكومات السابقة بل لعله أقل بكثير.

إيران ودول الجوار:

في إطار سياسة خاتمي إزالة التوتر في المنطقة سعت حكومة إيران إلى حل مشاكلها مع تركيا خاصة مشاكل الحدود والتي تتيح الفرصة للدخول غير القانوني إلى البلدين، وقد اعتقلت السلطات الإيرانية نحو ٣٥٠ إيرانيا من بين ١٢٠٠ معتقلا أجنبيا يقـيمون في تركيا بصورة غير قانونية أو يمارسون فيها أعمالا غير مشروعة فضلا عـن ١٥٠ إيرانـيا آخريـن في المعتقلات التركية، وقد عالجت إيران هذه المشكلة بدبلوماسـية وحكمة[١٧]. وقد ناقشت وسائل الإعلام الإيرانية العلاقات الإيرانية التركية مؤكـدة أن الأزمة التي تمر بها أزمة مصطنعة، منها ما نشرته صحيفة كيهان العربي حـول هـذا الموضوع تحت عنوان تركيا والأزمات المصطنعة [١٨]، في حين أرجعت صحيفة همشهري هذه الأزمة إلي وجود مؤسسات تسعي لتخريب العلاقات بين البلدين مثل المخابرات الإسرائيلية ونقلت عن مسؤول سابق في المخابرات التركية تأكيده لهذا الأمـر وربطـه بين هذه الأحداث وبين محاكمة اليهود الإيرانيين المتهمين بالتجسس لحساب إسرائيل في إيران[١٩].

كذلك سعت حكومة خاتمي إلى البحث عن حل لمشكلة أفغانستان حرصا على إقـرار الأوضـاع على حدودها الشرقية، وقد استفاد خاتمي من رئاسة إيران لمنظمة المؤتمـر الإسلامي ووضع مشكلة أفغانستان في صدارة أعماله، وشكلت لجنة لتحقيق السلام في أفغانستان يرأسها محمد جواد ظريف وكيل وزارة الخارجية الإيراني الذي بذل جهدا كبيرا في الوصول إلى قرار مشترك مع دول الجوار للتوفيق بين الأطراف المـتحاربة هناك، حيث استمر في إجراء المشاورات مع كل من تاجيكستان وباكستان وأوزبكسـتان وطالـبان ورباني مؤكدا أن هدف اللجنة هو تشجيع الأطراف الأفغانية

---

[17]- وكالة الأنباء الإيرانية بتاريخ ٢٤/٥/٢٠٠٠م

[18]- وكالة الأنباء الإيرانية بتاريخ ٢٧/٥/٢٠٠٠م

[19]- صحيفة همشهري بتاريخ ١٥/٥/٢٠٠٠م

علـــى المفاوضات من أجل تشكيل حكومة وحدة وطنية[٢٠]، وعلى صعيد آخر اتجهت إيـــران إلـــى توطيد علاقاتها بالهند في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والصناعية والعلمية، وقد أكد الرئيس خاتمي في استقباله لوزير خارجية الهند على أن إيـــران والهند تستطيعان الاضطلاع بدور مميز على الصعيد الدولي في مجال حوار الحضارات، كما أن التعاون والمصالح المشتركة للبلدين بإمكانهما القيام بدور هام في إقـــرار الأمن والاستقرار في المنطقة، وتسعي إيران إلى المساعدة على حل المشاكل القائمة بين بين الهند وباكستان، فضلا عن مشكلة أفغانستان[٢١].

وتعتـــبر اليابان أولى الدول الأسيوية التي تحظى باهتمام حكومة خاتمي حيث تســـعى إلـــى دعـــم علاقاتها بها بشكل قوي ومباشر، وقد توجت الزيارة التي قام بها خاتمي أخيرا لليابان جهود هذه الحكومة في هذا السبيل والتي وصفتها أجهزة الإعلام الإيرانـــية واليابانـــية بأنها بداية فصل جديد في العلاقات بين طوكيو وطهران، حيث أســـفر لقاء خاتمي بالامبراطور الياباني ورئيس وزرائه وكبار المسئولين في حكومته والـــبرلمان وست مؤسسات اقتصادية كبيرة وكبار رجال الأعمال والمستثمرين هناك عـــن عـــدد من الاتفاقيات الضخمة بين البلدين، كان أهمها دعم حكومة اليابان لإيران بمـــبلغ ٧٠٠ ملـــيون دولار كتغطـــية لتأمين المشروعات الاقتصادية الإيرانية، كذلك الاستثمار المباشر لليابان في مجال النفط والغاز الإيراني فضلا عن الاستثمار المباشر للقطاع الخاص الياباني في المشروعات الاقتصادية الإيرانية[٢٢].

إيران والغرب:

كما تولي حكومة خاتمي اهتماما كبيرا بعلاقاتها مع دول أوربا وقطعت شوطا كبـــيرا في تحسين علاقاتها بها خاصة تلك الدول التي لم يكن بينها وبين إيران مشاكل سياســـية وأيديولوجـــية مثل أسبانيا حيث أسفرت زيارة رئيس وزراء أسبانيا الأخيرة لإيـــران علي رأس وفد اقتصادي كبير يضم خمسين مستثمرا أسبانيا عن تقديم أسبانيا

---

[20]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠١/٢/١٩م.

[21]- وكالة الأنباء الإيرانية بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢٤م

[22]- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٠٠١/١٠/٢٩م.

لإيـــران مـــبلغ ٦٠٠ مليون دولار كاعتماد تأميني لصادرات السلع الأسبانية لإيران، وعـــبر البـــيان الختامي لهذه الزيارة عن زيادة التبادل التجاري والسياحي وإنشاء خط طـــيران مباشـــر بيـــن مدريد وطهران ودعم التعاون الاقتصادي والسياسي والثقافي والعلمـــي[٢٣]. كذلـــك دخلـــت العلاقات الإيرانية الألمانية مرحلة جديدة بعد أن أصيبت بصدمة لاتقل عن صدمة اتهام محكمة ألمانية وزير المعلومات الإيراني بالاشتراك في عملية اغتيال معارضي النظام الإيراني في ألمانيا وهي عقد مؤتمر برلين الذي فهمت مـــنه إيـــران مساهمة ألمانيا في محاولات الإطاحة بالنظام الإيراني والذي أفسد نتائج زيـــارة الرئيس خاتمي لألمانيا في صيف عام ٢٠٠٠م، فقد أعلن رئيس لجنة السياسة الخارجـــية بمجلـــس الشـــورى الإسلامي عقب لقائه مع رئيس البرلمان الألماني علي هـــامش المؤتمـــر الدولـــي لاتحـــاد الـــبرلمانات العالمي أن رئيس البرلمان الألماني والمستشـــار الألماني سوف يزوران إيران في فبراير عام ٢٠٠١م، كما أشاد محسن مـــيردامادي رئيس لجنة الشئون الخارجية للمجلس بمباحثاته مع الألمان ورغبتهم في دعـــم العلاقات مع إيران في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية[٢٤]. وفي إطـــار الـــتقارب بين إيران والمملكة المتحدة أعلنت الحكومة البريطانية أن انتخابات مجلـــس الشـــورى الإســـلامي الأخيرة في إيران دليل على أن النظام الإيراني نظام شـــعبي[٢٥]. وقد جاءت زيارة رئيس برلمان إيطاليا لإيران خطوة كبيرة في سبيل دعم العلاقـــات بيـــن البلدين ودعم دعوة الرئيس خاتمي للحوار بين الحضارات والتعاون المشترك بين البلدين للقضاء علي الجماعات الإرهابية التي تهدد الأمن الإيراني[٢٦].

أما فيما يتعلق بالعلاقات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية فقد ساد نوع مـــن الـــتفاؤل في أن تتطور هذه العلاقات تطورا إيجابيا مع تولي الإصلاحيين زمام الأمـــور فـــي الحكومـــة والبرلمان الإيراني ويبدو أنه قد تمت خطوات محسوبة من الجانبين وتلميحات لها مغزاها خاصة خلال قمة الألفية لمنظمة الأمم المتحدة، وإن كان

23- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٤/١٠/٢٠٠١م.

24- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٦/١١/٢٠٠١م.

25- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٦/١١/٢٠٠١م.

26- صحيفة همشهري بتاريخ ٢٦/١١/٢٠٠١م.

المحـــافظون فـــي إيران وعلى رأسهم الزعيم خامنئي يقفون حجر عثرة أمام التقارب الإيرانـــي الأمريكـــي واضعين شروطا ثقيلة يأتي على رأسها عودة الأموال الإيرانية المجمـــدة في أمريكا وفك الحصار الاقتصادي، بل إن المحافظون يعلنون في كل يوم عـــن عقـــبة أمـــام العلاقـــات بين البلدين وقدمون اتهاما جديدا ضد الولايات المتحدة يتصـــدرها محاولة القيام بانقلاب ثقافي في إيران كما أعلن ناطق نوري رئيس مجلس الشوري السابق[٢٧]، وذلك في الوقت الذي تسعى فيه الدبلوماسية الإيرانية للاستفادة من كل فرصة تسنح لها داخل الولايات المتحدة لشرح وجهات نظرها ومواقفها الأصولية للشـــعب الأمريكـــي مـــن أجل الضغط على الحكومة الأمريكية لاتخاذ خطوات جادة وعملـــية تبرهـــن بهـــا علـــى حسن نيتها تجاه إيران لكي تعطي حكومة الإصلاحيين الأرضية المناسبة للتحرك في اتجاه عودة العلاقات السياسية بين البلدين[٢٨].

الحوار حول العلاقات مع أمريكا:

مـــن الواضح أن توقف اللقاءات الإيرانية الأمريكية بحضور طرف ثالث قد أثار الكثير من التساؤلات، فضلا عن إثارته نوعا من القلق لدى المسئولين الإيرانيين باعتـــبار أنه مؤشر على أن الولايات المتحدة قد باتت تضمر شيئا جديدا تجاه إيران، وقـــد أكـــدت الصحف الإيرانية أن توقف المباحثات بين طهران وواشنطن في جنيف يعتـــبر بداية مواجهة جديدة وحملة إعلامية جديدة أكثر عدائية وتشمل اتهامات جديدة، وقد عبر كمال خرازي وزير الخارجية الإيراني عن هذا القلق في مؤتمر صحفي مع نظيره الفرنسي عندما قال: إن على الولايات المتحدة أن تتجه إلى التعاون بدلا من كيل الاتهـــام[٢٩]. وقـــد حـــذر رفسنجاني من تمادي الولايات المتحدة في هذا الاتجاه، يقول رفســـنجاني: إن تحلـــيلات أمـــريكا الخاطئة بالنسبة لإيران هي التي تؤدي إلى فشل مشـــروعاتها تجاهنا، فلتطمئن إلى أن أية مؤامرة تدبرها ضد إيران ستفشل بعون الله وبـــركة آل البيت وعزيمة الشعب وروح الثورة، إذا لم تتعظ من الماضي، أمريكا لا

27- صحيفة ايران بتاريخ ١٩٩٠/٣/٩م.

28- صحيفة همشهري بتاريخ ١٩٩٢/٥/١٠ م.

29 - صحيفة اطلاعات في ٢٠٠٣/٤/٢٦م

تـريد مواجهـة عنـيفة مع إيران لذلك فهي تعتمد على خداع الشباب والضغط على الضعفاء، لكنها تخطئ لأن الرأي العام الوطني بشبابه يؤيد النظام والزعيم والثورة[٣٠].
كمـا أوضـح خامنئي أن أمريكا في مواجهتها مع إيران تلجأ إلى أربع وسائل، هي: إيجـاد الرعـب بين مسئولي النظام، إحداث الاضطراب في النظام، منع تقدم البلاد، إحداث توتر في المجتمع وخاصة الجامعات[٣١].

لكن تصريحات أخرى للمسئولين الإيرانيين قد كشفت اتجاها جديدا للتعامل مع الموقـف الأمريكي مثل ما جاء على لسان وزير الخارجية كمال خرازي عندما سأله الصـحفيون عـن سـر تحفظ بلاده على التوقيع على المنشور المكمل لتحريم انتشار أسـلحة الدمـار الشامل، فقال: إن إيران من أوائل الدول التي وقعت على ميثاق منع انتشار الأسلحة النووية، كما أنها تستخدم الطاقة النووية في الأغراض السلمية، وتسمح لمفتشي هيئة الطاقة النووية العالمية بزيارة مفاعلاتها النووية، فضلا عن أنها تعلن أن من حق أي دولة الدخول في المناقصات التي تطرحها إيران لبناء المفاعلات[٣٢]. وبذلك يكـون خـرازي قـد أعلن عن استعداد بلاده لتقبل مشاركة الولايات المتحدة في بناء البرنامج النووي الإيراني بما يسمح لها متابعة هذا البرنامج والتأكد من اتجاهه للتنمية السـلمية، وهـو موقـف إيجابي عبر عنه حميد رضا آصفي المتحدث الرسمي باسم الخارجـية الإيرانـية صراحة بقوله: لو أن أمريكا قلقة من البرنامج النووي الإيراني فلتشارك في استكمال المفاعلات النووية[٣٣]. كما أكده محمد جواد ظريف مندوب إيران الدائم لدى منظمة الأمم المتحدة عندما أعلن أن التوتر سوف يقل بين إيران وأمريكا[٣٤].
ويؤكـد هذا الموقف أيضا حسن روحاني أمين عام المجلس الأعلى للأمن القومي في لقائه مع رئيس لجنة السياسة الخارجية في البرلمان الهولندي عندما قال: إن إيران لم تكـن تسـعى لتوتر العلاقات بين واشنطن وطهران، بل كانت راغبة في تقليص هذا

---

30 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٥/٣١م

31 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٦/٩م

32 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٥/٣١م

33 - صحيفة انتخاب في ٢٠٠٣/٦/٣م

34 - صحيفة اطلاعات في ٢٠٠٣/٥/٣١م

التوتر الموجود، فإذا كان لدى الولايات المتحدة حسن النية فإن أوضاعا أفضل يمكن أن تظهر في أفق مستقبل العلاقات بين البلدين[٣٥].

ويبدو من هذا التصريحات تحول كبير في السياسة الإيرانية تجاه الولايات المتحدة، ليس فقط في إطار التجاوب مع المطالب الأمريكية فيما يتعلق بالقوة النووية الإيرانية، ومعالجة الضغوط الأمريكية على روسيا الاتحادية لوقف مشروعاتها النووية في إيران، ودعم دعوة روسيا للولايات المتحدة بمشاركتها في البرنامج النووي الإيراني، بل يتجاوزه إلى مشكلة الإرهاب وموقف إيران من تنظيم القاعدة، يقول علي يونسي وزير المعلومات: إن أعضاء تنظيم القاعدة يدخلون مع المهربين، وعندما نكتشفهم فإننا نعتقلهم ولا نتعاون معهم. ويقول حميد رضا آصفي: كل من دخل إيران من أعضاء القاعدة قد ووجه بحسم منذ بداية تشكيل هذا التنظيم، فإما طرد أو اعتقل وسلم إلى بلده أوحقق معه، وما يزال عدد منهم تحت التحقيق، ونحن في هذا نمارس صلاحياتنا وسيادتنا[٣٦]. وقد أصدر ١٥٤ نائبا إصلاحيا في مجلس الشورى الإسلامي بيانا في ذكرى الثاني من خرداد أكدوا فيه أن الإصلاحات السياسية وثقة المجتمع الدولي هما السبيل للدفاع عن النظام[٣٧].

هذا التحول في أسلوب الخطاب يمثل نقلة في نوعية الحوار الإيراني مع الولايات المتحدة، ورغم أن الأمريكيين قد فهموا هذه الإشارة إلا أن رفضهم غير المتوقع للمساهمة في المشروعات الإيرانية يعني إما أنهم فوجئوا بالموقف الإيراني فكان لهم هذا الرد فعل السريع بالرفض، وإما أنهم يشكون في حقيقة هذا التوجه الإيراني وأهدافه، ويحق للولايات المتحدة أن ترفض العرض الإيراني مبدئيا لحين دراسته دراسة مستفيضة، وذلك لأنها تعرف مما يجري على الساحة السياسية في إيران ما يناقض هذا التوجه، خاصة وأن الجبهة الداخلية في إيران مازالت منقسمة على نفسها تجاه العلاقات مع الولايات المتحدة، فضلا عن أن الطرف الرافض لهذه

---

35 - صحيفة همبستگي في ٢٠٠٣/٥/٢٥م

36 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٥/٣٠م

37 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٥/٨م

العلاقــات هو الطرف الأقوى حاليا على الساحة وعلى مائدة اتخاذ القرار في إيران، فمــازال زعيم الثورة الإسلامية على تشدده من أمريكا يظاهره في ذلك العلماء الكبار فــي الحــوزات العلمــية الدينية، ومعظم تكتل المحافظين اليمينيين بما له من ثقل في المجــالس الكــبرى والمجالس الإسلامية المحلية في المدن والقرى، فضلا عن جيش الجمهوريــة وجــيش حــراس الــثورة الإسلامية والبسيج واللجان الثورية، والسلطة القضــائية، والعديــد من الأجهزة الثورية، والتجمعات الثورية في الأوساط المحافظة وأوســاط العمــال والجامعــات، وبعض من النخبة الإصلاحية، إزاء هذا ليس على الولايــات المتحدة أن تخاطر فتتسرع بقبول العرض الإيراني قبل التأكد من صدوره عــن الأجهزة أو الشخصيات ذات الثقل السياسي، أو موافقة الزعيم أو عدم معارضته على الأقل، أو حتى تتلقى إشارات ممن تثق في قربهم منها داخل إيران، أو أنها لم تعد في حاجة إلى هذا الاقتراح!

والجدير بالطرح هنا هو: هل إيران جادة بالفعل في إشراك الولايات المتحدة الأمريكية في برنامجها النووي؟ أم أن الموافقة محض مناورة لفك الضغوط التي بدأت تــثقل كــاهل القيادة الإيرانية والتي تمثلت في تهديدات شديدة اللهجة! أم أن الولايات المــتحدة الأمريكية قد تمكنت من اختراق النظام الحاكم في إيران؟ ربما تكمن الحركة الإيرانــية فــي طبــيعة النظام واستراتيجيته ومسيرته الإصلاحية أو التعديلية لتحقيق أهداف غائية، حيث يسمح الفقه السياسي في إيران للنظام بمساحة لتحقيق هذه الخطوة، كمــا تسمح التقية السياسية بذات المساحة، ولعل هذا الاقتراح كان بمثابة بالونة اختبار لتبيــن الأرضــية التــي يقف عليها النظام الإيراني سواء في الداخل أو في مواجهة السياســة الأمريكــية الضــاغطة بهدف تثبيت الموقف الإيراني أو تطويره، وإذا كان الموقف الأمريكي لم يفصح بتمكنه من النفوذ إلى النظام الإيراني إلا من خلال استنتاج ســبب توقفــه عن المباحثات معه، ثم عدم تعجل الرد على اقتراحه، فقد كان الموقف الداخلــي أســرع في رد فعله، بل ربما كشف عن هذا الاختراق، حيث أشار آية الله مصــباح يــزدي فــي كلمته التي سبقت خطبة الجمعة في المسجد الجامع بالعاصمة طهران في ٢٠٠٣/٦/٦م إلى أنه تلقى معلومات من مدير وكالة أنباء تركمنستان تؤكد

حصول مسئولين إيرانيين على مبلغ ٥٠٠ مليون دولار من الولايات المتحدة الأمريكية كرشـــاوى للتفاهم معها، وأن عناصر من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بصدد محاولـــة شـــراء مســـئولين إيرانيين آخرين، وأضاف آية الله مصباح يزدي أن هناك أشخاصا يبدون الإيمان بالنظام وقيم الثورة لكنهم يقومون في نفس الوقت بدور واضح في إقرار علاقات مع الأعداء، أو يتصلون سرا بهم ويقيمون علاقات سرية معهم، كما ســـاعدوا على دخول جواسيس إلى البلاد لشراء عدد من المسئولين[٣٨]. وقد أحدث هذا التصريح دويا هائلا على الساحة السياسية في إيران لأنه يعني أن الولايات المتحدة قد تمكنـــت من اختراق النظام ونجحت في عملية البدء في تغييره أو تحويل مساره على الأقـــل، وقد سارع حميد رضا آصفي المتحدث باسم الخارجية إلى نفي الأمر ووصفه بأنـــه كذب محض، كذلك سارع محمد علي أبطحي مساعد رئيس الجمهورية إلى دفع الشبهة عن الحكومة مطالبا آية الله مصباح يزدي بضرورة إثبات دخول أموال أمريكية إلـــى إيـــران ووصولها ليد المسئولين، مؤكدا أن هذا النوع من الاتهامات يدمر أسس الـــنظام وصروحه، كما طالب الأجهزة المعنية بالتحقق من صحة هذا الكلام وبالبحث عـــن الخائنين الذين حصلوا على النقود في حال إثباته، وهو مع تأكده من عدم صحته يطالب بأن لا يستغل منبر الجمعة المقدس في تشويش أذهان الرأي العام، وطالب مير طاهـــر موســـوي نائب رئيس لجنة الأمن القومي والشئون الخارجية بمجلس الشورى الإسلامي بتعقب مثيري الشائعات المخربة والمضعفة لقوة النظام، وقد طالب كيانوش راد نائـــب الأهواز المدعي العام الإيراني بتقصي الحقائق والتحقق من صحة كلام آية الله مصباح يزدي، مؤكدا أن منبر الجمعة ليس مكانا لمثل هذا الكلام[٣٩].

ربمـــا تبدو تصريحات آية الله مصباح يزدي حلقة في سلسلة محاولات التيار المعـــارض لعـــودة العلاقـــات مـــع الولايات المتحدة قطع الطريق على أنصار هذه العلاقـــات، لكن أن تتم من خلال أحد كبار علماء الدين في الحوزة العلمية الدينية بقم، وتفجـــيرها على منبر الجمعة في العاصمة طهران ليس أمرا عاديا، ويثير الكثير من

---

[38] - صحيفة رسالت في ٢٠٠٣/٦/٧م

[39] - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٦/٧م

علامـــات الاســـتفهام حول جدية الموضوع وهل تمكنت الولايات المتحدة بالفعل من اختراق النظام الحاكم في إيران! خاصة وأن موضوع تلقي رشاوى والقيام باتصالات مـــع الأمريكيين قد سبق الإشارة إليه عند مناقشة مجلس الشورى الإسلامي لمشروع (او-ال-ال) الـــذي تقدمـــت به إحدى الشركات الأمريكية للمساهمة في نقل تكنولوجيا البتروكيماويات لإيران، حيث اتهم الدكتور عبد الرحيم بهاروند نائب خرم آباد بعض الأعضـــاء الإصلاحيين المتطرفين بلقاء السناتور الأمريكي جوزيف بايدن في قبرص والترتيب معه على نفوذ أمريكا إلى الاقتصاد الإيراني، مؤكدا إدانة الشعب لهم بالعمالة والخـــيانة وبيع الوطن، وقد أيد النائب المحافظ كافة النواب المحافظون، كذلك هاجمت الصـــحف المحافظة وعلى رأسها صحيفة اطلاعات هذا المشروع ووصفته بأنه يدار بواسطة أمريكيين ويغطي نشاط الطابور الخامس وطالبت بوقفه[40]. وأثاروا ضجة مما اضطر الإصلاحيين إلى سحب المشروع.

وقـــد أصدر مكتب آية الله مصباح يزدي بيانا برر فيه تصريحات آية الله من خـــلال عدد من المعلومات التي توفرت له مثل تخصيص الكونجرس الأمريكي مبلغ ٢٠ ملـــيون دولار لقلب نظام الحكم في إيران، وتخصيص ٥٦ مليون دولار لمساعدة دعاة الاستفتاء في إيران، تأكيد جورج باويت مساعد رئيس وكالة المخابرات المركزية بأن عملاء الوكالة في إيران نشطون جدا، تصريحات المسئولين الأمريكيين بضرورة مســـاعدة المعتدلين الإيرانيين المتوافقين مع السياسات الأمريكية وإيجاد معاونين جدد لهـــم، حصـــول أشخاص إيرانيين مثل سيامك بورزند وعباس عبدي على ٣٥ مليون دولار مـــن أمريكا للقيام بإصلاحات سياسية في إيران، القبض على أكثر من خمسين جاسوسا منهم حكوميين إيرانيين، معلومات الزعيم حول جماعة الاستسلام والإرعاب، ممـــا يجعـــل الحديث عن الاختراق الأمريكي للجهاز الحكومي واجب العلماء وليس تشويشـــا علـــى الـــرأي العـــام لأن وقـــت إخفاء الحقائق عن الناس قد انتهى ولابد للمعارضـــين أن يفكـــروا بطـــريقة أخـــرى إن كـــانوا يريدون الاستمرار في حياتهم

---

[40] - صحيفة اطلاعات في ٢٠٠٣/٦/٣م

السياسية[٤١]. ومع اندلاع المظاهرات الطلابية في الجامعات الإيرانية والتي باركتها الولايات المتحدة باعتبارها تعبيرا شعبيا عن رغبة الجماهير في الحرية والتقدم، اضطر الزعيم خامنئي الذي يقوم بجولة في المناطق الوسطى لإيران إلى أن يبدو أكثر تشددا ضد الولايات المتحدة، فقد أكد في خطابه للمواطنين الذين احتشدوا للقائه أن إيران لن تسمح لقلة مأجورة بأن تلوث مناخ المجتمع والجامعات بالفوضى وعدم الأمن، ومؤكدا أن إيران تفخر بحصولها على تكنولوجيا معقدة ومتطورة جدا في مجال الذرة إلا أنها لا تسعى في ذات الوقت لامتلاك أسلحة الدمار الشامل[٤٢].

ما الذي يمكن أن يحدث كرد فعل لهذا الأمر؟ وهل يمثل إلحاح رفسنجاني وأنصاره على الحوار مع أمريكا سببا في اندلاع مظاهرات طلاب الجامعات والشباب، وهل يمثل الحوار الإيراني الأمريكي ثقلا على النظام بحيث يدفع كبار علماء الدين في حوزة قم إلى التدخل لمساندة النظام بصورة أو بأخرى؟ أم أن يؤدي الحوار الإيراني الأمريكي إلى سعي النظام الحاكم في إيران إلى تعديل استراتيجيته وسياساته وتغيير مواقع رجاله وإفساح المجال للجيل الثالث للثورة للاشتراك في قيادة هذه المرحلة؟

إيران والحزام الأمني الجديد:

يدرك المتتبع للتحركات الإيرانية على الساحة الإقليمية والدولية منذ بداية الأزمة العراقية أن إيران تسعى لإقامة حزام أمني جديد لها، حيث تبينت أن موقف الحياد الفعال الذي اتبعته خلال الأزمة الأفغانية ثم بداية الأزمة العراقية قد استنفد أغراضه، وأصبحت في حاجة إلى موقف جديد أكثر فعالية تستثمر فيه عددا من الإيجابيات التي تحققت من خلال موقفها الأول، فضلا عن رصيد باتت تنميه خلال تلك الفترة لها عند بعض دول المنطقة وخارجها، وحتى تختبر قدرتها على المبادأة بعد أن تخلت عنها مؤقتا انتظارا لظروف أكثر مناسبة، وتشير الأحداث إلى نجاحها في ذلك، مما يقتضي التعرف على هذا الإنجاز.

---

41 - صحيفة ايران في ٢٠٠٣/٦/١١م

42 - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٦/١٣م

وإذا كانــت الرحلة الأخيرة لسيد محمد خاتمي رئيس الجمهورية إلى أربع دول عربية هـــي لبنان وسوريا واليمن والبحرين، وزيارة آية الله جنتي رئيس مجلس الرقابة على القوانين وزعيم المحافظين لمصر، وكذلك تحركات المسئولين الإيرانيين الأقل شأنا كل حسب أهمية المكان الذي يتوجه إليه، قد كشفت إلى حد ما عن التوجه الإيراني الجديد إلا أنهـا تعتبر حلقة في سلسلة التحرك الإيراني لتحقيق الهدف، لأن نظرة سريعة إلى الــتقارير الإخبارية التي وردت عن هذه التحركات تبين أن الدول التي تم التوجه إليها تشـــترك في شيئ يهم إيران أيديولوجيا، وهو وجود قاعدة جماهيرية شيعية مثل اليمن والبحرين، أو مراكز ضغط شيعية مثل حزب الله في لبنان، أو عناصر حكومية شيعية مؤثرة مثل العلويين في سوريا، أو توجه عاطفي تجاه آل بيت النبوة مثل مصر، فضلا عـــن حزب الوحدة الشيعي والجالية الشيعية الكبيرة في أفغانستان، فإذا أضفنا إلى ذلك عودة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية الشيعي من إيران إلى العراق في نفس التوقيت، أمكننا أن ندرك أن السياسة الخارجية الإيرانية تعمل على إقامة حزام أمني شيعي حول إيـــران فـــي مواجهـــة التهديدات المستمرة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية لها.
ويؤكـــد المحلـــل أمير يوسفي في مقاله بصحيفة إيران ذلك المعنى بقوله: ربما يرى بعـــض الأطـــراف أن زيـــارة خاتمي للدول العربية الأربع هي من أجل دعم الإسلام الشـــيعي، وتقوية قراءة الأصول الشيعية، وتأكيد أن ساسة إيران يرسمون حزاما أمنيا مـــع الدول الشيعية أو التي بها أغلبية شيعية، وإحباط الحركة الصهيونية في المنطقة، وتقديـــم بديـــل قـــوي للإسلاميين السنة، ولكن المؤكد أن هذا جزء من أهداف الرحلة والمصالح الإيرانية، وأن الجزء المهم الآخر هو الدعوة للمنظمات والحكومات الشيعية بالتدبـــير والحكمة في المقاومة ومواجهة الضغوط الأجنبية، ولا شك أن هذه السياسة تفـــتح الباب للتوسط بين المقاومة العنيفة والاستسلام، وتعلن عن توجه إسلامي جديد يتمثل في إسلام العقل والمنطق، الذي يدرك التنوع في عين التضامن والكثرة في عين الوحـــدة والثبات في عين التعايش[٤٣]. لاشك أن إيران تزرع لها جذورا في كل أرض تنبت فيها بذور التشيع، وهي تتعهدها على الدوام وفي كل الظروف وتحت أي مسمى

43 - صحيفة ايران في ٢٠٠٣/٥/١٥م

ولـدى أي نـوع مـن الحكومـات، منتظرة يوم يأتي الحصاد، يقول آية الله هاشمي رفسنجاني في حديثه لمجلة الطريق (راهبرد): إننا باعتبارنا دولة شيعية نساعد الشيعة في كل مكان، حتى لو كانوا حزبا أو أقلية برلمانية، لقد أصبح للشيعة مركزية الآن في إيـران بعد قيام الثورة الإسلامية وإقرار نظام ولاية الفقيه في الحكم، وإن الشيعة قوة إسلامية كبيرة وهم أكثر الفرق الإسلامية اعتدالا، لذلك فسوف تجد لها _ في رأيي _ مكانا بين المناضلين في المستقبل[٤٤].

تشـير تقارير مباحثات المسئولين الإيرانيين مع دول الطوق الشيعي إلى نقاط أساسـية، هـي: وضع القوات الأجنبية وخاصة الأمريكية في المنطقة، دعم المنظمة الدولـية لـتقوم بـدور محوري، إخلاء المنطقة من السلاح النووي بما فيها إسرائيل، محاربة الإرهاب في المنطقة، إدانة الإرهاب الإسرائيلي، الاتحاد والتضامن بين الدول الإسـلامية، انـتخابات حرة نزيهة في العراق لاختيار حكومة وطنية، دعم العلاقات الثنائـية علميا وثقافيا، عقد اتفاقات أمنية. كما عقدت إيران بعد زيارة خاتمي مؤتمرا أكدت فيه اهتمامها بهذه المسائل، تحت عنوان: الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات شارك فيه ٢٥٠ عالما من ثلاثين دولة منها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا وروسـيا والنمسـا فضلا عن البوسنه، إلى جانب عدد من الدول العربية مثل سوريا ولبنان واليمن والسودان والسعودية وفلسطين والعراق والمغرب والجزائر وتونس[٤٥]. وقـد اعتمد النظام الإيراني في تقاربه مع الدول الشيعية أسلوب المبادأة، وهو أسلوب ضاغط لاينتظر مبادرات بل يقدمها وردود أفعاله جاهزة ليس فيها مجال للتردد، يقول خاتمـي في لقائه مع علماء الشيعة والسنة في البحرين: إن إيران ليست في حرب مع أيـة دولـة، وتؤمن أن تعاون دول المنطقة يحقق أمنها والمصالح المشتركة لشعوبها، ويضـمن مسـتقبلها[٤٦]. وهذا يعني أن إيران حريصة على هذا التقارب قد خططت له علـى المـدى القريـب والبعيد، ووضعت في خططها كافة الاحتمالات معتمدة على

---

44 - صحيفة اطلاعات في ١٦/٤/٢٠٠٣م

45 - صحيفة همشهري في ١٧/٥/٢٠٠٣م

46 - صحيفة همشهري في ١٨/٥/٢٠٠٣م

خبرتها في علاقاتها مع هذه الدول، وعلى قدرتها على التحرك السريع الفعال، وإمكانات الفقه السياسي المساعدة، وهذا يعني أيضا عدم وجود احتمال للتراجع، كما يشير كذلك إلى أن هذا التقارب لن يكون على حساب مكاسب حققتها إيران في المنطقة أو في غيرها أو حتى داخل إيران، قبل الثورة أو بعد انتصارها، فنظرية الأمن الإيرانية مثلا تقوم على نفس فكرة المبادأة، باعتبار أن من حق إيران بما لديها من مبررات تاريخية وجغرافية وبشرية وسياسية وعقائدية أن تضع نظرية أمن تحقق مصالحها وطموحاتها، وتكون قابلة للتطبيق من خلال اتخاذ الأساليب المناسبة وفق المتغيرات الدولية، وتقدم هذه النظرية عددا من المعطيات القابلة للمناقشة، ولها إمكانية القبول من الأطراف الأخرى، أهمها:

١- إن الجانب العسكري في مفهوم الأمن _ رغم كونه الجانب الغالب _ لم يعد يلعب دورا أساسيا بعد الحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج الثانية وما تلاها من أزمات، لأن دول المنطقة تستورد السلاح ولاتنتجه والسلاح المستورد لا يحقق أمنا قوميا بل أمنا مستوردا.
٢- إن الاتحاد والتضامن والتعاون بين دول المنطقة وحدهم هو الأساس الذي يمكن أن يقوم عليه أمن المنطقة، ويتحقق من خلال القضاء على الخلافات بين هذه الدول أو خفضها إلى أدنى مستوى، وخاصة في أربع مسائل، هي: الخلاف الحدودي، الخلاف المذهبي، الخلاف العرقي، الخلاف الأيديولوجي.
٣- ضرورة توفر عدة عناصر للمشروع الأمني أهمها الإدراك المشترك لمعنى الأمن البعيد المدى، عدم التعارض مع الأمن العالمي، التطرق إلى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، قابلية التطور الطبيعي مع تقدم الأنظمة العالمية.

وتتدرج نظرية الأمن الإيرانية من هذه المعطيات إلى بعدين أساسيين: أحدهما بعد عقائدي، يتمثل في تغيير سلوكيات المنطقة في اتجاه قيم آل البيت للالتفاف حولها وتنفيذ وصاياها، ودمج العبادة بالسياسة، وبعد نضالي يتمثل في إيجاد قوة ذاتية من دول المنطقة بكل إمكاناتها البشرية والعسكرية والاقتصادية والأمنية تحول دون وجود

قـــوى أجنبـــية. يقـــول آية الله هاشمي رفسنجاني مخطط السياسات العامة في إيران: مبادئـــنا فـــي السياسة الخارجية ليست على مستوى واحد، فلنا أولويات وأشياء مقدمة علـــى أخرى سواء تجاه دول أو شعوب معينة وسواء تجاه أحداث أو ظروف معينة، ومن الصعب إيجاد اتفاق إجماعي حول المسائل الهامة في السياسة الخارجية تجاه أية دولـــة، لذلـــك عندما يحتدم الخلاف بين الأجهزة المختلفة يتدخل مجمع تحديد مصلحة الـــنظام لحســـم الأمور، فعلى سبيل المثال هناك اختلاف حول العلاقات مع الولايات المـــتحدة، وكذلـــك حول العلاقات مع مصر، فإن تحول هذا الخلاف إلى معضلة فإننا نـــتدخل، وإذا لـــم نجد حلا إلا الرجوع إلى الشعب فسنقترح عمل استفتاء شعبي، لكن بشرط موافقة مجلس الشورى الإسلامي وتأييد الزعيم[٤٧].

وإذا كان الرئيس خاتمي مع نفيه لوجود محادثات مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكـــية، ينفي أيضا نية الاتجاه لعمل استفتاء شعبي حول العلاقات معها، فهو يؤكد أسلوب التقية السياسية الذي يضع شروطا للعلاقات مع الأعداء من أهل الكتاب سواء في وقت السلم أو وقت الحرب، وهي تتيح في الوقت نفسه إعطاء مساحة للتفاوض من أجـــل المصـــلحة القومية أو المذهبية، يقول غلامرضا آصفي المتحدث الرسمي باسم الخارجـــية: إن أســـس السياسة الخارجية لإيران هي العزة والحكمة والمصلحة، وإن الموقـــف الرســـمي فـــي أيـــة ظروف يخضع لهذه الأسس ويقره الزعيم ويترجم في تحـــركات رئـــيس الجمهوريـــة ووزير الخارجية، وليست مواقف الآخرين أيا كانت مواقعهم داخل النظام أساس العمل في السياسة الخارجية[٤٨].

ويشرح علي شمخاني وزير الدفاع الإيراني الموقف الحالي للنظام بقوله: إن إيـــران تتـــبع سياســـة المواجهـــة الوقائية في مواجهة التهديد الأمريكي، حيث تسعى الولايات المتحدة إلى اتهام إيران من ناحية والضغط على المحافل الدولية لإدانتها، كما تســـعى لتوحـــيد صفوف معارضي الجمهورية الإسلامية من ناحية أخرى، فضلا عن الحـــرب الإعلامـــية والنفســـية التي تشنها علينا، إلا أننا لا نعتقد أنها ستقوم بعمليات

---

47 - صحيفة اطلاعات في ١٥/٤/٢٠٠٣م

48 - صحيفة همشهري في ٥/٥/٢٠٠٣م

عسكرية ضدنا لأسباب كثيرة منها: دعم الجماهير للنظام، العوامل الجغرافية، القدرة الدفاعية، البنية الشعبية للقوات المسلحة[49].

وفي إطار فكرة الحزام الأمني الشيعي يعمل قادة إيران في نفس الوقت على تقوية الجبهة الداخلية، وحصر الخلاف بين الأحزاب والجماعات السياسية إلى أضيق نطاق، من خلال تدخل علماء الدين لدى هذه الجماعات ودعوتهم لدعم النظام، يقول آية الله إمامي كاشاني في خطبة الجمعة: كفوا عن الخلاف، ولا تضربوا وحدة البلاد، هل ولاية الفقيه غير استقامة حياة الناس وعمارة الدنيا والآخرة؟ فلماذا تهزوا هذا الصرح؟[50] ويقول آية الله جوادي آملي: إن الدعوة للمباحثات مع أمريكا، أو إلى فصل الدين عن السياسة، أو إقرار وكالة الفقيه بدلا من ولاية الفقيه، أو الاستقالة الجماعية والخروج من الحكم والسياسة، كلها عوامل فتنة تضر النظام ولا تفيد أصحابها في الدنيا والآخرة، لماذا يرفض ولاية الفقيه من قبلها في عهد الإمام الخميني؟ اجعلوا خدمة الناس منهجا للعمل الدنيوي والأخروي[51].

وقد حاول الزعيم خامنئي أن يضع النقاط فوق الحروف عندما أعلن صراحة أنه لا مباحثات مباشرة مع أمريكا ولا عودة للعلاقات معها، محذرا من الترويج للاستسلام للولايات المتحدة وسياساتها، ومؤكدا أن التحدي الأمريكي النظري لإيران يهدف إلى خلق مجال لتحقيق أهدافها، ويشرح ذلك بقوله: إن أمريكا تسعى منذ عشر سنوات إلى محاربة إيران نظريا وعقائديا وأخلاقيا بالتوازي مع المواجهة العملية، مستهدفة قطع العلاقة بين النظام والجماهير من خلال إيجاد التردد والشبهة في أذهان الناس حول الأصول الاعتقادية والقيم الأخلاقية والثورية، مما يؤدي إلى إضعاف العلاقة بين الشعب والنظام، فضلا عن تهيئة الرأي العام العالمي لإجراءاتها العسكرية أو شبه العسكرية، إن تجربة العراق تعطي صورة لأسلوب الولايات المتحدة الذي يتلخص في نقطتين: الأولى تتمثل في فصل الشعب عن النظام، والثانية في إيجاد

---

[49] - صحيفة كيهان في ٢٠٠٣/٥/١٨م
[50] - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٥/١٧م
[51] - صحيفة اطلاعات في ٢٠٠٣/٥/١٧م

مجموعـــة تـــتأثر بالخوف وتقبل الاستسلام، وهي تعلم أن هذا الأسلوب لا يجدي مع إيران لأن الناس مع استيائهم من بعض الأمور يثقون في مسئولي النظام، وأن الشباب المتحمس مستعد للدفاع عن النظام الإسلامي، لذلك فإن طريق العلاج الوحيد لمواجهة تطلعـــات أمريكا وأكاذيبها هو دعم البناء الداخلي للبلاد والنظام، فليس لأحد حق تسليم الوطـــن للعدو ولأن تسليم الوطن ليس فرصة لا تهدر، إن الشعارات المطروحة مثل محاربـــة الفســـاد، طلب العدالة، الفكر الحر، النهج العلمي والإنتاج العلمي، الأسلوب الهادئ المتعقل، محاربة البطالة، دعم العملة الوطنية، تعميق دعم النظام، هي شعارات موضـــع ترحيب من القيادة، وتساعد على تقوية بنية النظام[٥٢]. وفي إطار تلك الجهود قـــدم حزب المؤتلفة الإسلامي المحافظ مبادرة إلى جبهة المشاركة الإصلاحية للتفاهم والتنســـيق بينهما من أجل حل المشاكل، وطالب مسئوليها بعدم الاستقالة، والكف عن التلميح في الأحاديث بتدخل الأجانب في الشئون الداخلية لإيران[٥٣].

إيران ومشكلاتها النووية:

لقـــد كان امتلاك إيران لقدرة نووية حلما يراود الإيرانيين منذ تولي محمد رضا بهلوي عرش الطاووس، باعتباره أحد وسائل تحقيق الحضارة العظيمة التي كان الشاه يبغي إنجازها كما ذكر في كتابه "نحو الحضارة العظيمة"، ومع العلاقات الودية التي أقامها مع الولايات المتحدة الأمريكية، والدور الذي اضطلع به كشرطي للمنطقة أمـــام امتداد النفوذ السوفييتي خلال الحرب الباردة بين الشرق والغرب، لم يكن هناك ســـواء في الداخل أو في الخارج من يعترض على تملك إيران قدرة نووية خاصة مع وجـــود الـــثروة البترولـــية في إيران كممول لهذا المشروع، ولقد بدأ الشاه المشروع بموافقة أمريكية وتأييد شعبي، حيث استطاع أن يعزف على أوتار عقائدية وقومية قوية عـــند الإيرانيين، فالطاقة النووية تمثل في الوجدان الإيراني قمة الوصول بالنار ذات القيمة الخاصة التي تصل إلى درجة التقديس لغايتها، فلم ينظر الإيرانيون إلى ما ينفقه الشـــاه علـــى هذا المشروع نفس نظرتهم لما أنفقه على احتفال مرور ألفين وخمسمائة

---

[52] - صحيفة كيهان في ٢٠٠٣/٥/١٣م

[53] - صحيفة رسالت في ٢٠٠٣/٥/١٨م

عام على تأسيس الإمبراطورية الفارسية، فرغم أن كليهما يمجدان الشخصية الإيرانية إلا أن الأول أدخـل إلى الوجدان والعقائد من الثاني، وعندما نجحت الثورة الإسلامية في إسقاط الشاه ونظامه قضت على كل آثار الملكية، وأوقفت مشروعاتها إلا ما ارتبط منها بالجانب الوجداني العقائدي للإيرانيين ومنها المشروع النووي.

وإذا كـان العمـل فـي مفاعل أبوشهر قد توقف فترة بعد الثورة فإن هذا ما اقتضـته ظـروف الحـرب العراقية الإيرانية، ثم عملية المراجعة التي قام بها نظام الجمهورية الإسلامية في فترة إعادة البناء من أجل أسلمة (وهو التعبير الذي استخدمه الـنظام فـي عملية التغيير) المشروعات الوطنية التي تمتد من العهد السابق، حيث تم وضـع تصور جديد لأهداف المشروع النووي الإيراني، وبرنامج زمني لتطويره بما يتناسـب مع الأهداف والقيم الجديدة، وكيفية تنفيذه، وشريك جديد لتزويده بتكنولوجيا مـتقدمة، وهكـذا تـم الاتفاق على استمرار العمل في مفاعل بوشهر لاستخدامه في الأغـراض السلمية وخاصة توليد الكهرباء، مع الاستفادة من التقنية الروسية بدلا من التقنـية الألمانـية، لكن هذا المفاعل لم يكن يرضي الطموحات الإيرانية سواء بالنسبة لحجمـه أو موقعـه أو مجـالات الاستفادة منه، فحجمه لا يفي باحتياجات إيران من الطاقة، وموقعه يجعله مكشوفا ويكون من السهولة بمكان لأمريكا وإسرائيل ضربه كما فعلت بالمفاعل العراقي، كما أن استخداماته ستظل قاصرة على مجال الكهرباء، ومن هـنا فكـر الإيرانيون في بناء مفاعلات جديدة متعددة الأغراض ترضي الطموحات السياسـية والعقائديـة والقومية والعسكرية في آن واحد، لكن القيادة الإيرانية في فترة الحصـار الاقتصادي كانت حريصة على تكتم أخبار نشاطها النووي الجديد حتى على المـنظمة العالمـية للطاقة النووية، ليس خوفا من اعتراض داخلي لأن الإيرانيين لا يخـتلفون حول أهميته، بل خوفا من تزايد الضغوط الغربية على إيران، وإيجاد مبرر جديـد للولايات المتحدة في مواجهتها، خاصة مع اكتشاف وجود اليورانيوم في إيران بكميات تجارية، فهل تعلمت إيران الحكمة من رأس الذئب التى توشك أن تطير؟

لكـن إعلان الرئيس الايرانى محمد خاتمي عن اكتشاف اليورانيوم فى إيران أثـار أسـئلة كثيرة تبحث عن إجابة فى قضية ليست جديدة ولكنها متجددة، فمنذ وقت

طويــل والمناوشـــات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية دائرة، تهدأ حينا وتشتد أحــيانا حول البرنامج النووي الايراني، والهدف الذى تسعى إيران لتحقيقه من وراء امــتلاكها لذلــك الــبرنامج! وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أعربت المرة تلو الأخــرى عــن قلقهــا البالغ إزاء البرنامج النووي الإيراني رغم التأكيدات الإيرانية المســتمرة علـــى أنه برنامج مخصص للأغراض السلمية، لكن الولايات المتحدة ليس بوســعها أن تصدق ذلك خاصة فى ظل التوتر الذى يشوب العلاقات بين الطرفين منذ مولد النظام الايراني الحالى، حيث حرصت على فرض الحظر على تصدير أى نوع من التكنولوجيا النووية إليه، ودعت كل من ألمانيا وفرنسا إلى عدم التعاون مع إيران، ألا أن إيران عملت على تنويع مصادر الحصول على التكنولوجيا النووية ففضلا عن روسيا مدت علاقاتها إلى الأرجنتين والصين وكوريا الشمالية وباكستان والهند، وكان الاتفاق الذى وقعته مع باكستان عام ١٩٨٦م يقضي بأن تقوم باكستان بتدريب العلماء الإيرانييــن والمساعدة فى البرنامج النووي، ثم وقعت إيران اتفاقا مع الأرجنتين عام ١٩٨٧م للحصــول علـــى وقود نووى أرجنتيني من اليورانيوم المخصب المخصص للأغــراض السلمية، أعقب ذلك الاتفاق إتفاق آخر مع جنوب أفريقيا خلال الفترة من ١٩٨٨_١٩٨٩م للحصــول علـــى كمـــيات من اليورانيوم المخصب لإجراء التجارب الـــنووية، ومـــع تزايد القلق الأمريكي تجاه البرنامج النووي الإيراني تزايدت الجهود الإيرانـــية للتعاون بشكل أكبر مع كافة الدول ذات الخبرة والتجربة النووية، ومن هذه الـــدول كازاخستان التى يوجد بها أهم وأكبر مركز للأبحاث النووية بالاتحاد السوفيتى الســـابق، حيــث يـــبلغ عدد الرؤوس النووية بها ١٨٠٠ رأس نووية، وحوالى ١٠٤ صاروخا عابرا للقارات، إلى جانب قاعدة لإطلاق رواد الفضاء، ثم تعاونت إيران مع الصـــين فى برنامج الاستخدامات السلمية للطاقة النووية وفقا للتشريعات واللوائح التى تضـــعها وكالـــة الطاقـــة الذرية، لكن إيران تكتمت تزويد الصين لها بأجهزة الفصل الكهرومغناطيســـى الخاصة بأغراض إنتاج النظائر المشعة علاوة على مفاعل نووى خطـــير، وكمية من الغاز الذي يساعد على إثراء اليورانيوم، كذلك تعاونت إيران مع كوريـــا الشمالية فى البرنامج النووي بدءا من عام ١٩٨٩م، خلال زيارة سرية قام بها

وفـد إيـرانى رفـيع المستوى، وأشيع أنها تركزت على التعاون فى مجال الأسلحة الكـيماوية والبيولوجـية، ثم جاء تتويج الجهود الايرانية بالاتفاق الإيراني _ الروسي على استكمال بناء محطة الطاقة النووية فى بوشهر، حيث وافقت روسيا على التعاون مـع إيـران ضاربة عرض الحائط بكل التهديدات الأمريكية، وأسفر ذلك التعاون عن الاستعانة بأكثر من ستمائة خبير نووي روسي في مفاعل بوشهر، وخطة لإنشاء ثلاث محطـات للطاقـة النووية في مناطق مختلفة من إيران، ورغم قيام الولايات المتحدة الأمريكـية بالضـغط على روسيا لعدم التعاون مع إيران، إلا أن اتفاقا عقد بين إيران وروسـيا يـنص على بناء ست وحدات لمحطات كهرذرية في إيران طاقة كل واحدة مـنهما ١٠٠٠ ميجاوات، وكذلك أربع وحدات للطاقة فى مفاعل بوشهر، وقد تم تسليم أول دفعـة مـن الوقود لمفاعل بوشهر من إنتاج روسيا، ومع اكتشاف استغلال إيران للاتفـاق مـع روسيا بحصولها على كمية أكبر من احتياجات مفاعل بوشهر، دافعت روسـيا عـن نفسـها بأن إيران لم تفعل ما يخرق القواعد الدولية الخاصة بالبرنامج النووي، خاصة وأنها وافقت على إعادة الوقود المستنفد إلى روسيا حسب الطلب الذى تقدم به خبراء أمريكيون، والذين شككوا في نفس الوقت فى مدى الحاجة التى قد تدفع إيـران إلـى بـناء مفـاعل نووى، رغم أنها ثانى أكبر منتج للنفط فى منظمة الدول المصـدرة للبترول، وصاحبة ثانى أكبر احتياطيات من الغاز فى العالم، وأن المفاعل النووى من الممكن تحويله للاستخدام فى الأغراض العسكرية، والجدير بالذكر هنا أن جماعـات معارضـة إيرانية مثل (شوراى ملى مقاومت ايران) أو المجلس الوطنى للمقاومـة الايرانـية كانـت قد أكدت هذا الشك من قبل، إلى جانب ذلك كانت إحدى الشـركات الأمريكـية التى تعمل فى مجال التجسس قد التقطت صورا جوية لبعض النشـاطات الـنووية غـير المعلنة من قبل ايران، وهو معمل فى مدينة نطنز لإنتاج اليورانـيوم المخصب، وآخر فى مدينة آراك لإنتاج المياه الثقيلة، وهوما يشي بخطة إيرانية لإنتاج مفاعلات نووية لأغراض متعددة.

جـاء إعلان إيران اكتشاف اليورانيوم فى أراضيها فى ظل الظروف الصعبة الـتى تتعرض لها المنطقة هذه الأيام مثيرا للدهشة وغامضا إلى حد بعيد، كما جاءت

دعوتهـا للوكالة الدولية للطاقة الذرية لزيارة المفاعل النووى الايرانى مثيرة لعدد من التسـاؤلات، علـى رأسها هل تعتبر إيران هذا الاعتراف دليلا على الشفافية وحسن الـنوايا؟ ممـا يغلـق الباب أمام الولايات المتحدة للهجوم على إيران بدعوى تنظيف المـنطقة مـن أسلحة الدمار الشامل كما تفعل مع العراق، خاصة وأن الدكتور محمد البرادعى رئيس الهيئة الدولية للطاقة الذرية قد وصل إلى إيران يوم الحادى والعشرين مـن فبراير ٢٠٠٣م على رأس وفد من المفتشين الدوليين بهدف تفقد المنشآت النووية الايرانـية، وقـد شملت الزيارة التفقدية المركزين النووين اللذين قيل أن إيران تتكتم أمـرهما فـى (نطنز) و(آراك)، كما التقى بالرئيس الايرانى محمد خاتمي لبحث سبل الـتعاون بينهما فى مجال التفتيش على المنشئات النووية، كما التقى البرادعى والوفد المرافق بالمسئولين وتباحثوا حول قيام المفتشين الدوليين بتفقد المنشآت النووية بشكل دائـم وبصـورة مفاجئة، ومن الواضح أن إيران قد رفضت هذا الأمر، بل أشيع أن البرادعي في زيارته لم يدخل المفاعلات الإيرانية الجديدة بل مر فوقها بالطائرة، ومع الضـغوط الأمريكـية طالبـت المنظمة الدولية إيران بالتوقيع على الاتفاق الإضافي لمنشور منع انتشار أسلحة الدمار الشامل التي رفضت التوقيع، وعندما سأل الصحفيون وزير الخارجية كمال خرازي عن سر تحفظ بلاده على المنشور المكمل لتحريم انتشار أسـلحة الدمـار الشامل، قال: إن إيران من أوائل الدول التي وقعت على ميثاق منع انتشار الأسلحة النووية، كما أنها تستخدم الطاقة النووية في الأغراض السلمية، وتسمح لمفتشـي هيئة وتسمح لمفتشي هيئة الطاقة النووية العالمية بزيارة مفاعلاتها النووية، فضـلا عن أنها تعلن أن من حق أي دولة الدخول في المناقصات التي تطرحها إيران لبـناء المفـاعلات[٥٤]. وبذلك يكون خرازي قد أعلن عن استعداد بلاده لتقبل مشاركة الولايات المتحدة في بناء البرنامج النووي الإيراني بما يسمح لها متابعة هذا البرنامج والـتأكد من خط سيره في اتجاه التنمية السلمية، وهو موقف أكده حميد رضا آصفي

---

[54] - صحيفة همشهري في ٢٠٠٣/٥/٣١م

المـتحدث الرسـمي باسـم الخارجية الإيراني صراحة بقوله: لو أن أمريكا قلقة من البرنامج النووي الإيراني فلتشارك في استكمال المفاعلات النووية[55].

ورغـم أن الأمريكييـن قـد فهموا هذه الإشارة إلا أن رفضهم غير المتوقع للمسـاهمة في المشروعات الإيرانية يعني إما أنهم فوجئوا بالموقف الإيراني فكان لهم هـذا الـرد فعـل السريع بالرفض، وإما أنهم يشكون في حقيقة هذا التوجه الإيراني وأهدافـه، ويحـق للولايات المتحدة أن ترفض العرض الإيراني مبدئيا لحين دراسته دراسـة مستفيضـة، وذلك لأنها تعرف مما يجري على الساحة السياسية في إيران ما يناقض هذا التوجه، خاصة وأن الجبهة الداخلية في إيران مازالت منقسمة على نفسها تجاه العلاقات مع الولايات المتحدة، فضلا عن أن الطرف الرافض لهذه العلاقات هو الطـرف الأقوى حاليا على الساحة وعلى مائدة اتخاذ القرار في إيران، إزاء هذا ليس علـى الولايـات المـتحدة أن تخاطر فتتسرع بقبول العرض الإيراني قبل التأكد من صـدوره عـن الأجهزة أو الشخصيات ذات الثقل السياسي، أو موافقة الزعيم أو عدم معارضته على الأقل، أو حتى تتلقى إشارات ممن تثق في قربهم منها داخل إيران.

والجدير بالطرح هنا هو: هل إيران جادة بالفعل في إشراك الولايات المتحدة الأمريكـية في برنامجها النووي؟ أم أنها محض مناورة لفك الضغوط التي بدأت تثقل كاهل القيادة الإيرانية والتي تمثلت في تهديدات شديدة اللهجة! على كل حال فقد اتخذت ايران جانب الحيطة والتعقل أمام ضغوط الوكالة الدولية للطاقة النووية عليها فأسندت إدارة أصعب مباحثات في تاريخ جمهورية إيران الإسلامية إلى الدكتور حسن روحاني أميـن عـام المجلس الأعلى للأمن القومي، وقد لقي أسلوبه في إدارة الأزمة النووية استحسانا كبيرا من الجميع، فقد بادر روحاني إلى إشراك مسئولين من الجهات المعنية بالقضـية فـي السـلطات الثلاث في إيران، بحيث لا يبدو منفردا بالعمل، ومن ثم لا يتحمل وحده تبعة الأمور، كما استمع إلى كل الآراء التي قيلت حول القضية، ومن ثم اسـتطاع توحـيد الكلمة والموقف الإيراني، كما أنه استطاع أن يقسم العمل بين ثلاث مراحل، استطاع في المرحلة الأولى أن يماطل في الموافقة على مطالب الوكالة الدولية

---

[55] - صحيفة انتخاب في ٢٠٠٣/٦/٣م

للطاقـة الـنووية حتى تستجيب لمطالب إيران بكشف الغموض عن بعض النقاط التي يتضـمنها الـبروتوكول الإضافي لمعاهدة منع انتشار أسلحة الدمار الشامل، وقد نجح روحاني في الحصول على كثير من التوضيحات التي أزالت القلق الإيراني تجاه كشف التفتـيش الدولي لأسرار عسكرية إيرانية، وحق إيران في الحصول على تقنية نووية، أمـا المرحلة الثانية فهي الإعلان عن استعداد إيران للتباحث حول توقيع البروتوكول الإضـافي، في حين تمثلت المرحلة الثالثة في المباحثات مع الوكالة الدولية للحصول على ضمانات في مقابل التوقيع، ثم مع وزراء خارجية ألمانيا وبريطانيا وفرنسا للتأكيد على حصول إيران على تقنية نووية، وقد حققت المراحل الثلاث الأهداف المحددة لها، حيـث أكد البيان الأوربي هذا النجاح عندما قدم لإيران عدة ضمانات، أهمها ضرورة أن تحل القضية الإيرانية داخل الوكالة الدولية للطاقة النووية، بمعنى استبعاد وصولها إلـى مجلـس الأمـن، والثاني أن من حق إيران الحصول على تقنية نووية في إطار معـاهدة عـدم انتشار الأسلحة النووية، والثالث أنه ينبغي ألا يؤدي توقيع إيران على الـبروتوكول الإضافي إلى المساس بسيادة وأمن إيران، فضلا عن الاتفاق على دعم المعـاملات الـتجارية والاقتصـادية مـع إيران، كذلك التعاون مع إيران في مجال الترتيـبات الأمنـية لمنطقة الشرق الأوسط، يضاف إلى هذا تبني أوربا دعوة إيران لإخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل.

وقد حقق روحاني بذلك عدة إنجازات قومية كبيرة، أولهما العبور من الأزمة وإحـباط المخطـط الأمريكي الإسرائيلي لتحويل الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمـن تمهـيدا لإدانـة إيران، والثاني هو قبول دور إيران الإقليمي من جانب الدول الكـبرى الثلاث في أوربا والاتحاد الأوربي بالتالي، والثالث هو الخروج من الحصار والعزلة التي كانت مفروضة على إيران، والرابع أن الموافقة الإيرانية تتخذ خطواتها القانونـية من خلال المؤسسات الدستورية مما يجعل هذه الموافقة غير مفروضة على إيـران مـن جانب أي طرف خارجي، والخامس أن إيران قد أثبتت للعالم أنها محبة للسـلام ولـيس لديهـا نـية الحصول على السلاح النووي، والسادس أن الدبلوماسية الإيرانية قد تطورت من اتخاذ مواقع دفاعية طوال السنوات الماضية إلى اتخاذ موقف

المــبادرة الفعالــة التــي تحبط عمل من يقودها إلى أزمة، فقبلت بتوقيع البروتوكول الإضــافي لمعــاهدة مــنع انتشــار الأسلحة النووية، كما قبلت تعليق نشاط تخصيب اليورانيوم، إلا ان هذا لا يوحي بتخلي إيران عن مشروعها النووي الذي سيظل موقع أخــذ ورد داخــل إيــران من ناحية وبينها وبين الوكالة الدولية من ناحية أخرى ومع الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي من ناحية ثالثة.